القدس


IRCICA

يسرنا أن نتقدم بجزيل الشكر وخالص التقدير والعرفان إلى

معالي الشيخ أحمد زكي يماني

رئيس مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
لدعمه الكريم في إصدار هذا الألبوم

الدكتور خالد أرن
المدير العام
لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول



القدس

من خلال الصور التاريخية



منظمة المؤتمر الإسلامي

مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول

PHONE +90 212 259 1742
FAX +90 212 258 4365
www.ircica.org
ircica@ircica.org

AL-QUDS, JERUSALEM IN HISTORICAL PHOTOGRAPHS
IRCICA © 2009
HISTORICAL PHOTOGRAPH ALBUMS SERIES 5
ISBN 978-92-9063-184-2

İSTANBUL 2009

مدير المشروع خالد أرن
ترجمة فاضل بيات
التنضيد داود تقير
التصميم والتنسيق الداخلي محمد نور انبارلي
تصميم الغلاف محمود اجار
الطباعة والتجليد نمونه مطبعه سي



منظمة المؤتمر الإسلامي

مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول

القدس

من خلال الصور التاريخية

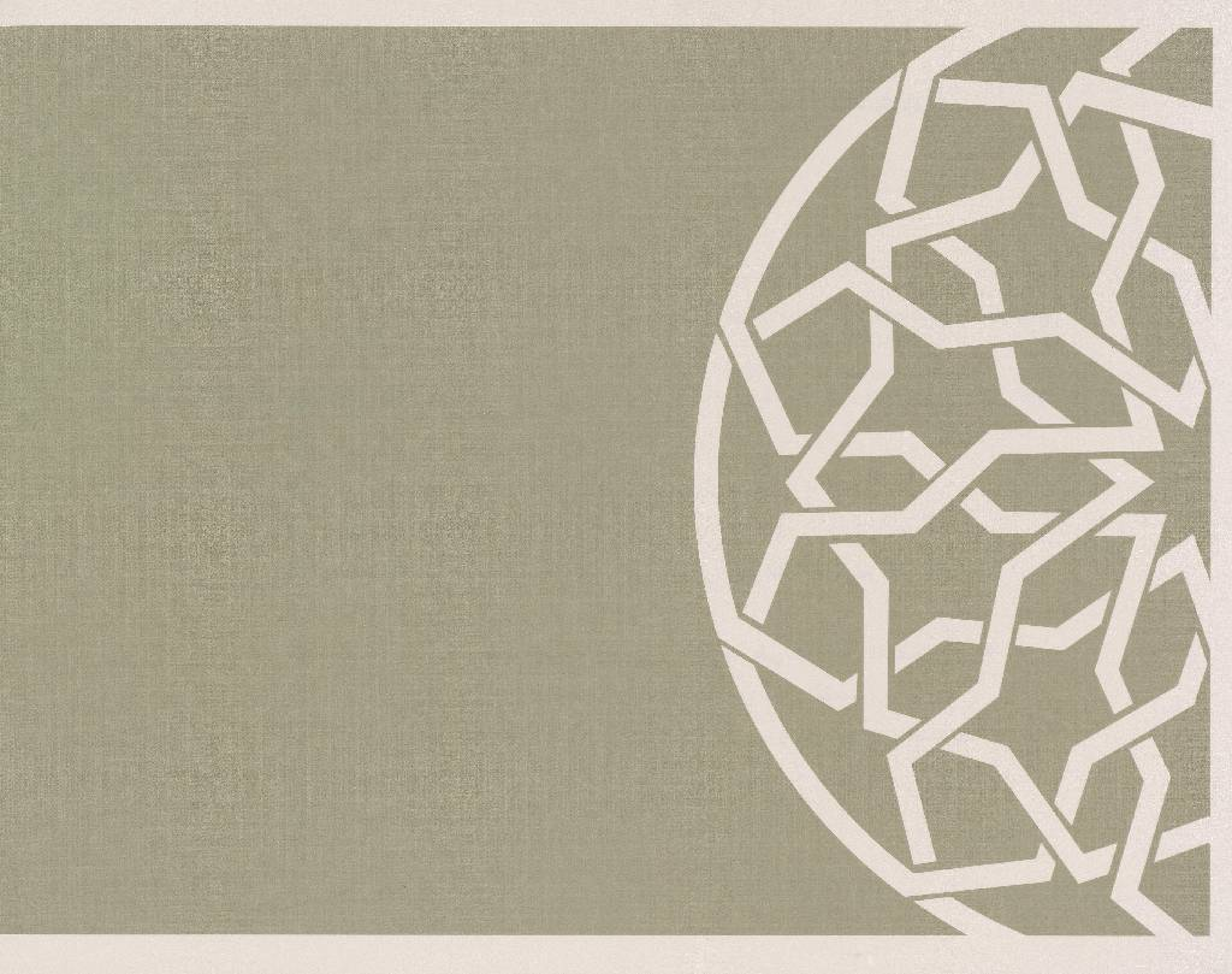


استانبول 2009م

المختصـرات

The Library of Congress, Prints & Photographs Division	**LC-PPhD**
Government Press Office	**GPO**
Palestine Exploration Fund	**PEF**
Directorate General of State Archives, Department of Ottoman Archives, Republic of Turkey	**BOA**

المحتويات



تقديم

أ.د. أكمل الدين إحسان أوغلي
الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

تعد القدس مدينة يرتبط بها اكبر عدد من الناس في العالم، فإذا كانت مكة والمدينة تحظيان باهتمام جميع المسلمين، وكربلاء والنجف باهتمام المسلمين الشيعة وروما باهتمام الكاثوليك وجنوه باهتمام البروتستانت والخليل باهتمام اليهود،فإن القدس تحظى باهتمام جميع المسلمين وجميع المسيحيين وجميع اليهود، فهي مقدسة لدى اتباع كل دين من هذه الأديان السماوية الثلاث، وتؤوي معابد تعد أكثر المعابد قداسة لدى أتباع هذه الديانات. لهذا السبب فإن القدس تأتي في مقدمة المدن في العالم وتحوز اهمية حياتية للسلام العالمي.

والمسجد الأقصى هو أول قبلة في الإسلام، والقدس هي ثالث مدينة مقدسة عند المسلمين بعد مكة والمدينة، ويُبرز القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة الأهمية التي يحظى بها المسجد الأقصى، ففي الآية الأولى من سورة الإسراء ورد: «بسم الله الرحمن الرحيم: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (١٧:١). والمعروف أن حادثة المعراج المتعلقة بإسراء الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى تحققت في المسجد الأقصى. وهناك آيات في القرآن الكريم وأحاديث نبوية تؤكد على قدسية المسجد الأقصى، ففي أحد الاحاديث ورد: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى».

واحتضنت القدس على مدى تاريخها الممتد لآلاف من السنين ديانات وحضارات مختلفة، بسبب دخولها تحت حكم دول متعددة، وهذه الخاصية أكسبتها التعددية في الدين واللغة والثقافة والعادات والتراث. وقد شكّل الخلاف المستمر على القدس وفلسطين منذ اواسط القرن العشرين ولحد اليوم أحد الأسباب الرئيسة لتاسيس منظمة المؤتمر الإسلامي وذلك في سنة 1969. وأصبح البحث عن حل لهذه المسألة الهدف الأساسي لهذه المنظمة التي أكدت في كل مناسبة على أن مسألة القدس ليست مسألة إسلامية فحسب، بل إنها تمتلك ابعاداً دينية عميقة. وواصلت المنظمة اعمالها من خلال لجنة القدس التابعة لها مراعية بُعد القدس الديني الذي يشمل العالم. وفي هذا الإطار وجهت الدول الأعضاء في المنظمة في القرارات التي اتخذتها الدعوة إلى حل هذه المسألة حلاً عادلاً ينسجم مع قرارات منظمة الأمم المتحدة، ويستند إلى المساواة، ويؤمن إعادة اوضاع المدينة الى ما كانت عليه قبل سنة 1967، والمحافظة على الطابع المقدس للمساجد وحرية الوصول إليها. ومما لا شك فيه أن المحافظة على خصوصية التعددية الثقافية للقدس وإبداء الاحترام اللازم لاتباع كل دين فيها ولمعابدهم هو امر لا يمكن التخلي عنه عند حل هذه المسألة والذي يمكن قبوله ومواصلته.

وفي هذا السياق هناك دعوة اخرى ولكنها صامتة تصلكم من هذا المجلد الذي بين أيديكم، إذ نجد في هذا الألبوم انعكاسات تاريخ المدينة وذلك في الصور التي تكشف عن الحياة الاجتماعية للمدينة ومناظرها ومبانيها. وقد اختيرت هذه الصور الثمينة من

البومات الصور التي كانت محفوظة في قصر يلديز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (اواخر القرن التاسع عشر -اوائل القرن العشرين) وتوجد نسخة مستنسخة من هذه الصور في ارشيف مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (ارسيكا) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، كما اختيرت من مجاميع أخرى للصور. ويمثل الألبوم بمجموعه تاريخاً وتراثاً لديانات متعددة، ويفصح عن ضرورة فهم الرابطة التاريخية لكل دين مع القدس والمحافظة على خصائصها التي تنعكس في بنية المدينة.

ويسعدني أن أهنئ إرسيكا لقيامه بنشر هذه المجموعة من الصورة المهمة والذي أغناها بنصوص توضيحية، واعتقد ان هذا العمل سيأخذ كل من يطلع عليه إلى رحلة مشوقة إلى تاريخ القدس، وعلى وجه الخصوص إلى مراحل السلم والازدهار في هذا التاريخ، كما سيشكل مصدراً مهماً للباحثين. ولا يسعني هنا إلا أن اقدم شكري لكل من بذل جهداً في إعداد هذا الألبوم.

المقدمة

د. خالد أرن
مدير عام إرسيكا

إن أحد العناصر الرئيسية التي تبرز هويات المجتمعات كحضارات وأمم هو مجموعة من النقاط المحورية التي تربط هذه المجتمعات بعضها ببعض ضمن إطار البداية المشتركة والتاريخ المشترك والتراث المشترك. وتعد القدس نقطة محورية لكل من الديانات السماوية الثلاث، كما أنها تحظى بأهمية خاصة في تاريخ الإنسانية وذلك لكونها القاسم المشترك بين هذه الديانات الثلاث في الوقت ذاته.

ويستدل مما ورد في المصادر المختلفة أن القدس أصبحت مركزاً للاستيطان منذ حوالي أربعة آلاف سنة، في حين أظهرت المكتشفات الأثرية بوجود القدس كمركز استيطاني منذ خمسة إلى ستة آلاف سنة. وقد عرفت بشكل عام بأسماء توحي إلى القدسية، وغدت محوراً للوجود الإنساني على سطح الكرة الأرضية أكثر من كونها مجرد اسم.

وتعتبر القدس ثالث مدينة مقدسة عند المسلمين بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، أما المسجد الأقصى الذي تحتضنه فهو أولى القبلتين. امتد الحكم الإسلامي الى القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي زار المدينة في سنة 637 واستلم مفتاحها من البطريرك سوفرونيوس. وأعطى الخليفة عهداً مكتوبا لسكان المدينة أمن بموجبه لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وهذا العهد سمي بالعهدة العمرية. وأمر الخليفة ببناء جامع هناك. واستقر المسلمون في المدينة، وبدأت بذلك وتيرة اكتساب المدينة طابعاً إسلامياً. وبعد إنشاء قبة الصخرة والمسجد الأقصى أصبحت المدينة تحتل مكانا مهما في التاريخ الإسلامي كثالث مدينة إسلامية بعد مكة والمدينة لها طابعها الإداري والثقافي، وغدت مركزاً من المراكز العلمية وذلك اعتباراً من القرن الرابع الهجري. وتحظى القدس بأهمية كبيرة لدى الديانات السماوية الثلاث، ولهذا يدّعي أتباع كل ديانة من هذه الديانات الحق فيها.

وشهدت القدس على مرّ تاريخها حركة عمرانية شارك فيها مختلف قطاعات المجتمع من اداريين وتجار وعلماء وغيرهم. وقد اكتسبت هذه الحركة قوة أكبر في العهد العثماني على وجه الخصوص، ففي عهد السلطان سليمان القانوني تمّ ترميم قبة الصخرة وبناء أسوار المدينة وتعمير قنوات المياه وإقامة السبل والأسواق والمؤسسات الخدمية للأهالي، وارْتَدَت المدينة بكل ذلك ثوباً جديداً، كما عُيِّنت للقدس أوقاف كثيرة، وتمّ توفير السبل الكفيلة باستمرار الخدمات الخيرية فيها.

ونظراً للأهمية التي تحظى بها القدس فقد أصبحت تثير الاهتمام على مرّ التاريخ، وأصبحت مادة دسمة لكتب الرحلات. وغدت هذه الكتب مصدراً من المصادر التي لا يستغنى عنها في الدراسات المتعلقة بالقدس. وهي حافلة بمعلومات غنية تتعلق بمناحي الحياة المختلفة للمدينة بدءا من البنية العمرانية إلى البنية الاجتماعية والإثنية، ومن الحياة اليومية والعادات والتقاليد إلى الفعاليات

الاقتصادية، ومن الحياة الدينية إلى الناحية الفنية، كما أن هذه الرحلات لا تخلو ولا سيما التي أعدها السياح الغربيون من الرسوم المتعلقة بالقدس.

أما الصور التي التقطت عن القدس فيعود تاريخ بدايتها إلى أواخر القرن التاسع عشر، فإلى جانب التطور الذي شهده فن التصوير أصبحت الأراضي المقدسة (فلسطين والقدس) على رأس المناطق التي حظيت باهتمام طلائع السياح الأجانب، فالكثير من المصورين الذين زاروا القدس قاموا بالتقاط صور مختلفة لأهالي المدينة وطرقها ومبانيها. وقد أولت أوساط كثيرة اهتماماً بهذه الصور. ويأتي السراي العثماني على رأس أكثر المهتمين بهذه الصور، حتى نجد أنها تحتل حيزاً لا يستهان به ضمن مجموعة الصور الخاصة التي أعدت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي أولى اهتماماً خاصاً بها. وهذه المجموعة ليست عبارة عن صور التقطها المصورون السياح من الأجانب، بل تشمل عدداً كبيراً من الصور التي التقطها المصورون العثمانيون. وقد تمت المحافظة على هذه الصور في مركزنا إرسيكا إما بطبعها أو بخزنها في أجهزة الحاسوب.

والمعروف أن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم 57 دولة عضوة موزعة في القارات الأربع أبدى اهتماماً كبيراً بحماية الوثائق التاريخية والكتب المرجعية وتشجيع استخدامها بمختلف السبل والوسائل. وإحدى المهام الرئيسية التي يضطلع بها إرسيكا هي المساهمة في تطوير الدراسات المتعلقة بتاريخ الحضارة الإسلامية وتاريخ الدول الإسلامية والكتابة التاريخية والعمل على إعداد ونشر الكتب المرجعية المتعلقة بها، ونقلها من جيل إلى آخر بشكل صحيح وموضوعي، وتصحيح الأفكار والمفاهيم التاريخية الخاطئة التي طرحت في مجال تاريخ الحضارة الإسلامية والدول الإسلامية. وفي هذا السياق وضع المركز نصب عينيه نشر الكتب المعدة ضمن إطار برنامجه في مجال الدراسات المختلفة، وتأمين استخدامها من قبل شريحة واسعة من المثقفين؛ كما قام بعقد ندوات ومؤتمرات متعددة وبمختلف اللغات في الدول الإسلامية وكذلك في الدول التي تضم تراثاً إسلامياً في مجال التاريخ والثقافة ساهم فيها باحثون وخبراء من مختلف دول العالم، ونشر الأبحاث المقدمة في هذه الندوات والمؤتمرات. والأهمية التي تحظى بها الكتابة التاريخية في مجال المعيار الحضاري الإسلامي والسياق البحثي المتعلق بالمناطق والدول واضحة في بلورة الوعي التاريخي والهوية الثقافية التي يتم تقاسمها وبالتالي تأمين التعارف بين الأمم المختلفة بهذه الطريقة. والشرط الأساسي لهذا الأمر هو بلا شك، استخدام المصادر الأصلية وبضمنها الوثائق الأرشيفية التي توجد الملايين منها على شكل كتابات ورسوم وصور في مراكز الأرشيف في الكثير من الدول والتي لم يتم تصنيفها ووضعها في متناول الباحثين. ولهذا رأى مركزنا/ إرسيكا أن من المهام الملقاة على عاتقه المساعدة على تثبيت هذه الوثائق وتدوينها وحمايتها وتصنيفها ونشرها. وانطلاقا من هذا الأمر قام المركز بتبني مشروع يستهدف نشر مجاميع الصور التاريخية المحفوظة في أرشيفه أو في مراكز الأرشيف الأخرى ووضعها في متناول الباحثين على شكل البومات يتم

اختيار صورها وفق المواضيع. وقد سبق أن قام ارسيكا بنشر ألبوم للصور المتعلقة بمصر وألبوم للصور الملتقطة عن استانبول والمحفوظة في أرشيفه.

والألبوم الموجود في متناول أيديكم تمّ اختيار القسم الأكبر من الصور الواردة فيه من مجموعة البومات صور قصر يلديز. والمعروف أن أصول هذه الصور محفوظة في مكتبة جامعة استانبول. وقد تم استنساخ نسخة منها لأرشيف إرسيكا وذلك نتيجة للجهود التي قام بها الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي والمدير العام المؤسس لإرسيكا (1980-2004) وذلك للأهمية التي تحظى بها هذه الصور لكونها مصدراً مرجعياً للمجالات التي يعنى بها إرسيكا. وتضم هذه المجموعة 480 صورة فوتوغرافية من صور القدس بضمنها الصور المكررة. وفضلا عن هذا اقتنى المركز صورا أخرى للقدس تمّ اختيارها من مجاميع مختلفة؛ وبذلك يصل مجموع ما يقتنيه المركز من صور القدس الى 738 صورة. وقد أخذت 123 صورة من صور هذا الألبوم البالغة 454 صورة من مجموعة إرسيكا. ومما لا شك فيه إن هناك صوراً أخرى كثيرة عن فلسطين وعلى رأسها القدس محفوظة في مراكز الأرشيف المختلفة في العالم.

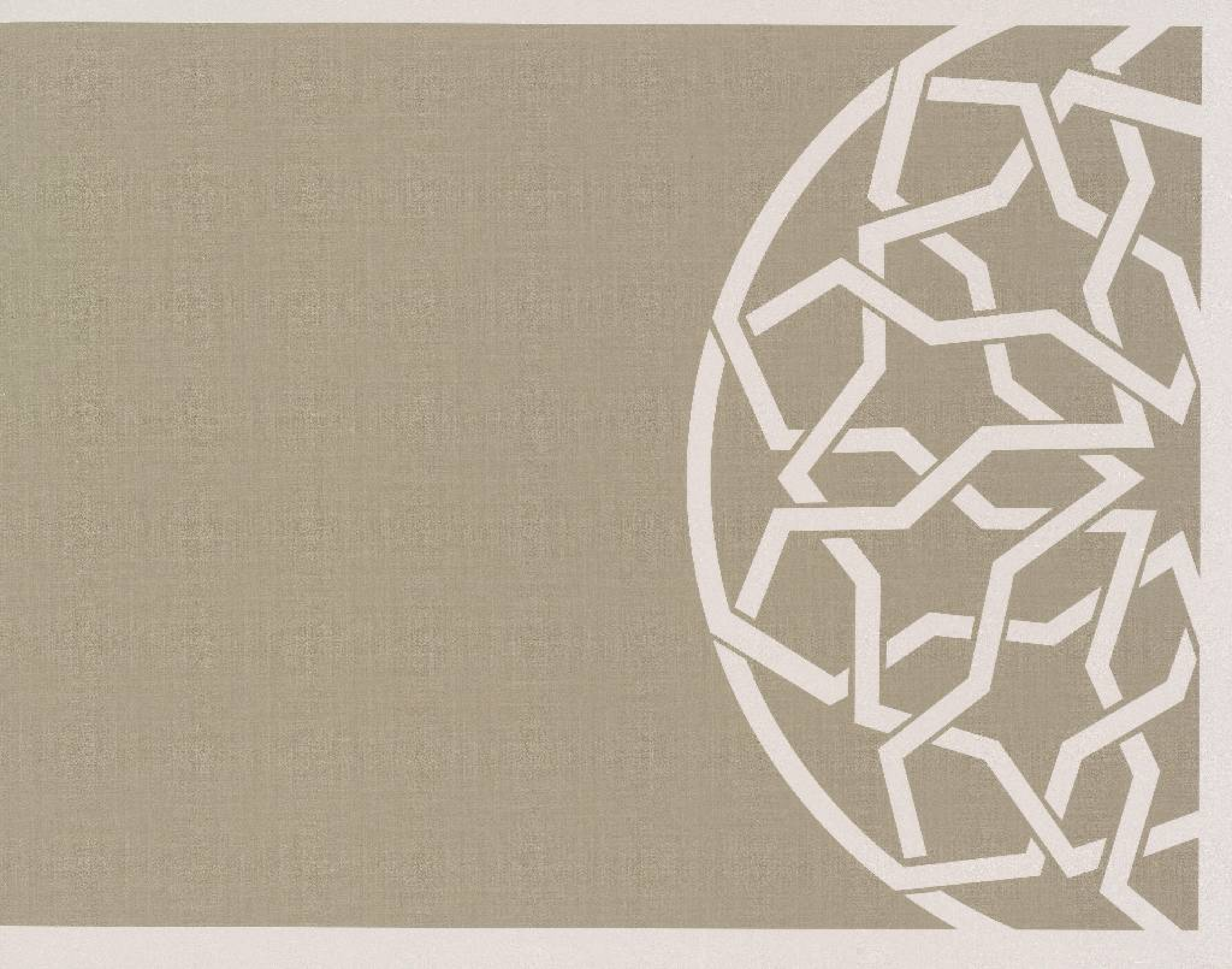
وقد سبق أن قام مركزنا بإصدار هذا الألبوم باللغتين التركية والانكليزية ويسعدنا اليوم أن ننشر الترجمة العربية له ونأمل أن يتمكن الباحثون المعنيون بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية للقدس من الاستفادة من هذه الصور المختارة للقدس في دراساتهم.

وأعتقد أن الأمل الذي يحدو الكل هو صيانة التراث التاريخي للقدس ومكوناتها الثقافية المتعددة والتي تم تصوير قسم منها في هذا الألبوم؛ وذلك في إطار توافق يمثل بحق الحضارات التي أنتجت هذا التراث.

» 001 | أعلام عثمانية على برج الساعة

الاحتفالات التي أقيمت في باب الخليل (يافا) بالقدس بمناسبة الذكرى الثلاثين لتولي السلطان عبدالحميد الثاني الحكم.





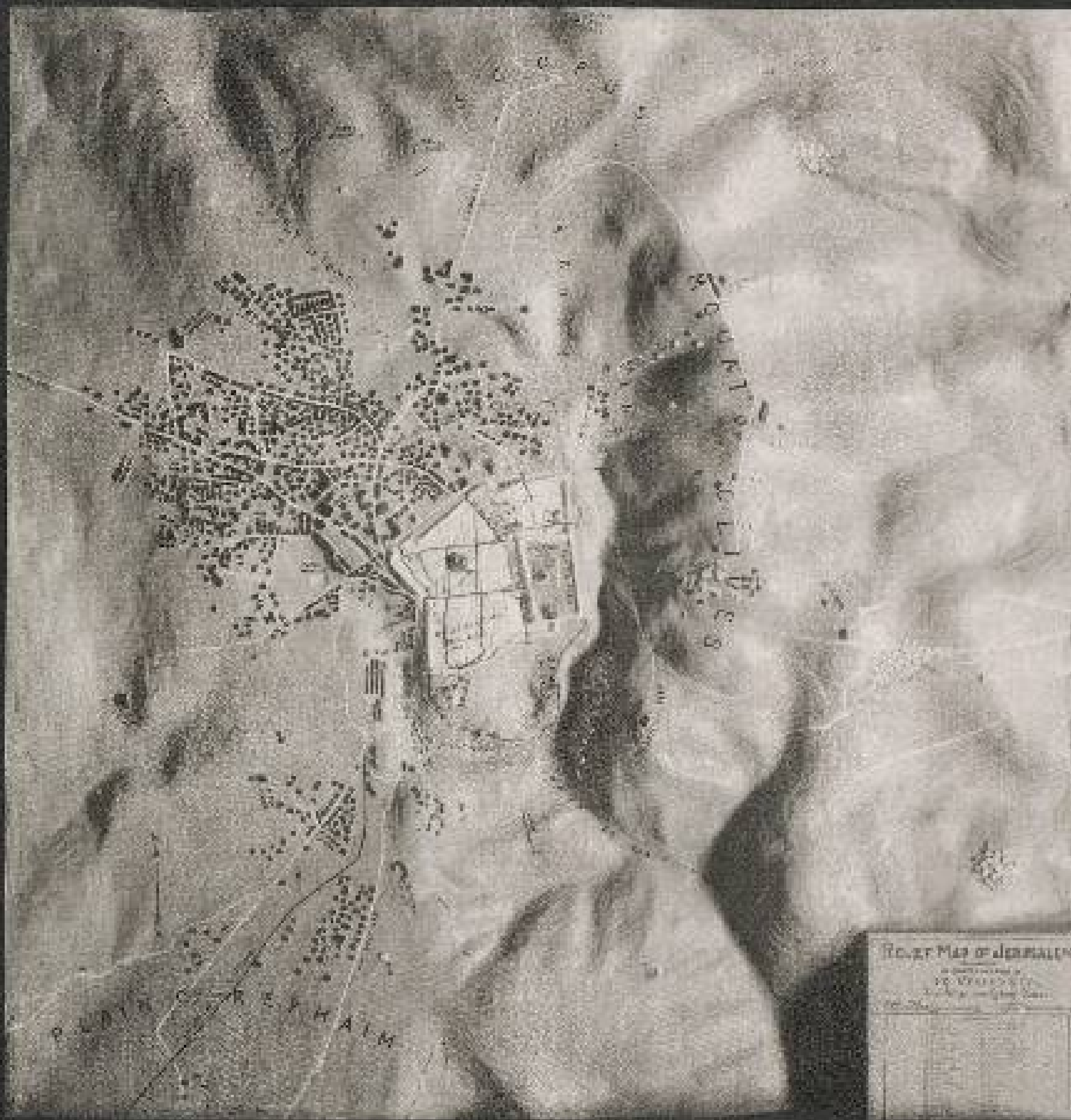
المدخل

يا قُدسُ، يا مدينة تفوح أنبياء
يا أقصر الدروبِ بين الأرضِ والسماء
يا قدسُ، يا منارةَ الشرائع
يا طفلةً جميلةً محروقةَ الأصابع
حزينةٌ عيناكِ، يا مدينةَ البتول
يا واحةً ظليلةً مرَّ بها الرسول
حزينةٌ حجارةُ الشوارع
حزينةٌ مآذنُ الجوامع...

***

يا قدسُ.. يا مدينتي
يا قدسُ.. يا حبيبتي
غداً.. غداً.. سيزهر الليمون
وتفرحُ السنابلُ الخضراءُ والزيتون
وتضحكُ العيون..
وترجعُ الحمائمُ المهاجرة..
إلى السقوفِ الطاهره
ويرجعُ الأطفالُ يلعبون
ويلتقي الآباءُ والبنون
على رباكِ الزاهرة..
يا بلدي..
يا بلد السلام والزيتون

من قصيده القدس ...... للشاعر نزار قباني





002 | قوة الخيال في الرسوم

تعد هذه اللوحة التي رسمها روبرتس مؤشراً هاماً على كيفية قيام الفنان بتطويع الواقع بقوة الخيال. فقد استخدم روبرتس الانسان في هذه اللوحة كمنظور وعنصر مقارنة للأبعاد. ولهذا فان ظهور اشخاص يمارسون العبادة متوجهين نحو الغرب وليس نحو القبلة لا معنى كبيراً عنده. وبركة بني اسرائيل التي تظهر في الرسم – ولعلها مستوحاة من الإنجيل – قد رسمت بحجم اكبر مما هي عليه واكثر روعة.



003 | الخارطة المنقوشة للقدس وضواحيها

هذه الخارطة اعدت من قبل شركة Fr. Vester and Co. وذلك في مطلع القرن العشرين. وكان يتم عرضها من قبل مخزن الكولونية الأمريكية. وتبدو في الخارطة الزيادة الحاصلة في مجال الاعمار وذلك في الجزء الشمالي والشمال الغربي من المدينة القديمة. والوادي الواقع الى الشرق من المدينة هو وادي القدرون (وقد ورد في الخارطة بشكل Kedron). اما التل الواقع الى الغرب منها فهو جبل الزيتون. وقد كوّن هذان الموقعان الجغرافيان حدود نمو مدينة القدس نحو الشرق على مر التاريخ.

004 | ديفيد روبرتس في الأراضي المقدسة

رسم ديفيد روبرتس مجموعة من اللوحات خلال الزيارة التي قام بها إلى الأراضي المقدسة. وطبعت هذه اللوحات في سنة 1842م. وقد غدت رؤيته ومنظوره في هذه اللوحات مصدر الهام للمصورين الذين زاروا المنطقة في نفس الفترة.

«المصور الشمسي» هو من يقوم بالتقاط الصور الشمسية: وهذه العبارة نجدها على إحدى الصور التي التقطها المصوّر المقدسي بونفيلس سنة 1875م. والشخص الذي دوّن هذه العبارة وجد كلمة المصور مناسبة في اللغة العربية للدلالة على من يلتقط الصور. وكان المصورون يستخدمون ضوء الشمس لاستخراج نسخة من الواقع، ولهذا ليس من الصحيح أن نعتبرهم رسامين عاديين.

وفي الوقت الذي التقط بونفيلس صورته التي جعل بها عبارة «مصور شمسي» ملكاً للتاريخ كان فن التصوير في القدس بلغ في جودته درجة بحيث أصبح يضاهي فن التصوير العالمي. ولا نعرف فيما إذا كان الكيمياوي والفنان الفرنسي لويس جاك ماندي داجير (1787-1851) الذي اخترع أول آلة تصوير في سنة 1839 والتي سميت باسمه داجيروتيب (daguerreotype) يدرك أن اختراعه هذا سيغيّر مسار تاريخ الفن؟ ولكننا نعرف أن آلة داجيروتيب والنسخة المعدلة له والتي طوّرت من قبل وليام هنري فوكس تالبوت (1800-1877) والمسماة تالبوتيب أو كالوتيب انتشرت انتشاراً سريعاً، حتى غدت في غضون فترة قصيرة اللعبة رقم 1 عند الأغنياء الأوروبيين والامركيين. وكان فن التصوير، ولا سيما في هذا الوقت المبكر، لا يحتاج إلى المواهب الطبيعية التي يحتاجها فن الرسم أو إلى الدراسة التي تستمر لسنوات عديدة. وكان التجار الغربيون الذين يقلّدون دائماً الرسامين ولكنهم يعجزون عن إمساك الفرشاة بشكل سليم بدأوا بالخروج في جولات سياحية عالمية وهم يأخذون معهم آلات التصوير التي امتلكوها. وهكذا تعرفت القدس إلى مغامرين يحملون آلات التصوير من الممكن أن نطلق عليهم اسم فناني التصوير بمعناه الحديث.

إن هذا الانفتاح السريع لآلة التصوير نحو الشرق لم يكن شيئاً غير متوقع، فآرثر شوبنهاور (1788-1860) كان قد وضع كتابه قبل هذا التاريخ، وادعى فيه أن الشرق هو المصدر الأصلي للفضائل . وحملت حملة نابليون بونابرت على فلسطين سنة 1799 والتي انتهت بالفشل، قصصاً عن الشرق إلى اوروبا لا يمكن تصديقها بسهولة. ومن جهة أخرى كانت الاوساط الدينية البروتستانتية على شفا رفض العهدين القديم والجديد بعد أن قامت بنقدهما نقداً نصياً تاريخانياً بالكامل، حتى بدأ بعض النقاد يدعون بان الاحداث المروية في العهدين القديم والجديد والاشخاص والاماكن كلها مختلقة. وإزاء هذه الظروف كان للشرق جاذبية لا تقبل الجدل. ولهذا ينبغي الا يُستبعد ان فن التصوير تطور متزامنا مع نزعة اكتشاف الشرق او فتح افاق للسياحة إلى الشرق.

وفضلا عن هذا فان هناك أسبابا فنية لجعل الشرق مبعث اهتمام للمصورين: وجود ضوء شمسي أكثر حيوية قياساً إلى اوروبا الغربية التي تطور فيها فن التصوير، وتأتي القدس لأسباب دينية وتاريخية واضحة ضمن الأماكن التي حظيت باهتمام المصورين الأوائل كالأهرامات المصرية وأطلال بابل في بلاد ما بين النهرين..

وعند حلول سنة 1840 كانت مصر والقدس تحت حكم محمد علي باشا، ونجح خديوي مصر في إقامة علاقات ودية ومتطورة مع الدول الغربية، إلا أنه دفع ثمن هذه العلاقات بالموافقة على قيام الاجانب بالتجوال الحر في أراضيه، وفتح الدول الأوربية قنصليات لها في القدس. وغصّت مصر بالسياح والرحالة الأوربيين الراغبين في مشاهدة النيل الساحر والاهرامات وجبل الطور في شبه جزيرة سيناء. وكان بينهم من يجازفون بعبور صحراء

سيناء، أو يمتلكون إمكانات مادية للنزول إلى ميناءي يافا وحيفا بالسفن، فكانوا يمرون – ولو لمدة قصيرة – بالقدس وبيت لحم والناصرة، ويزرون الأماكن الاصلية التي عاش فيها النبي عيسى. وكان الناس يقابلون ما يرون عن زيارتهم بعد عودتهم إلى بلادهم بنظرات مريبة. ولهذا فان الصور اصبحت تعينهم في هذا الصدد وتعزز كلامهم.

وهكذا فلم تمر سنة على اعلان داجيري لثورته في تاريخ فن التصوير في سنة 1839م، حتى بدأ مصورو الداجيرو الأوائل بغزو الشرق. ويقال أن اول من زار القدس من المصورين هو فردريك كوبي – فيسكو والرسام هوراك ويرتيه vernet . وقد تم إرسالهما إلى القدس من قبل بائع نظارات فرنسي لغاية اقتصادية استثمارية. وقد طبع من اعمالهما Excursions Daguerriennes وهو يضم إحدى الصور من القدس. ويذكر نير (1985: 29) ان القدس ليست أول مدينة يتم التقاط صورة لها، بل هي اول مدينة يتم طبع صورتها.

وبدأت الثورة الثانية في فن التصوير مع قيام سكوت آرشر في سنة 1851 بتطوير اسلوب النكتيف المبتل. وكان فرانجيس فريث الذي زار القدس سنة 1856 يستخدم هذا الأسلوب الذي يستوجب عمل النكتف على الزجاج الذي كان يبقى مبتلاً بشكل مستمر. وقد تفوّق هذا النظام دون منازع على نظام الـ Daguerrotipe، فالصور التي يتم انتاجه بهذا النظام كان يتم عملها على اسطوانه نحاسية رقيقة مغطاة بطبقة رقيقة جداً من الفضة. ولم يكن بامكان الـ Daguerrotipe إنتاج نكتف لأجل تكثير الصورة. في حين كان من الممكن بنظام النكتف المبتل طبع مجموعة من الصور الايجابية (بوزيتيف) وذلك باستخدام نظام النكتف المبتل. وقد أدى هذا الأمر إلى الرخص في الإنتاج. ولكن الثورة الحقيقية تحققت في سنة 1875م وذلك بتطوير اسلوب النكتف الجاف، غير أن هذا النظام كان يتطلب زمناً طويلاً. وكان المصور يحتاج إلى أن ينتظر حوالي دقيقتين امام نفس المشهد عند التقاط صورة واحدة. وعلى الرغم من كون هذا الاسلوب اسرع من Daguerrotipe، إلا انه لم يكن سريعاً بالشكل المطلوب لالتقاط صورة تضم انساناً. ولهذا فان اغصان الاشجار التي تحركها الرياح تظهر مشوشة، وفي الصور التي تتضمن اناساً كان يتبغي استخدام الموديلات البشرية (العارضين) إذ لم يكن بالامكان تامين إبقاء الناس بدون حركة لمدة دقيقتين وذلك في الصور التي لا تتضمن موديلات.

في سنة 1871 تم تطوير المواد الكيمياوية المستخدمة للنكتف بنسبة كبيرة فتقلصت مدة العرض. ولكن ولأجل التقاط صورة إنسان قريبة لما تمتاز به الآن، كان ينبغي الانتظار حتى سنة 1886 حيث تم وضع سدادة الإغلاق أمام العدسة. وكان المصور في السابق يرفع الغطاء الموجود أمام العدسة، ويعد الثواني بجهاز التوقيت الذي يستخدمها، وقد يؤدي هذا إلى اخطاء تسبب فقدان اجزاء من المشهد بشكل كبير، كما يؤدي إلى تقليص مجال الإمكانات لدى المصورين الهواة.

وفي مطلع القرن العشرين، حدث تغييران مهمان. فالكتب والمجلات غدت تطبع الصور بكل سهولة. وهذا أدى إلى ايقاف بيع الصور، وازداد محله استخدام بطاقات البريد. ولأجل هذا لم يكتف المصورون بالتقاط الصور فقط، بل قاموا بمعالجة هذه الصور لجعلها في وضع مغر لبطاقات البريد.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان يقدر

عدد المصورين الذين يقيمون في القدس أو يزورنها أكثر من 300، ومن الظلم وضع هؤلاء المصورين كلهم ضمن هذه الفئة أو تلك. وكان بينهم أناس يطمحون تصوير الاطلال الأثرية (Du Camp 1851) أو جمع مواد تدعم ادعاءً ايديولوجياً (Bridges 1958) أو جمع ثروة بالصور التي يقومون ببيعها (فريث 1859). وفي كل حالة كان مصورو القدس من الممكن أن يكونوا من الباحثين، والمبشرين، والاكاديميين، والرومانسيين، ومنتسبي الكنيسة، والامبرياليين، وأصحاب القطاع الخاص، والحجاج.. أو من كلهم مجتمعين.

ونكتشف في فن التصوير المقدسي المبكر في كل مرة ثلاثة دوافع أساسية: المصورون ذوو الروح الإنجيلية، وهم المبشرون الباحثون عن شهادة صورية عن عهد الكتاب المقدس بمشاهد شرقية، والمؤسسات البحثية والرحالة الذين يهوون التقاط الصور لتسجيل عما يكتشفونه عن الشرق وتدوين وضعه الأصيل، واخيراً الاغنياء الغربيون المستعدون لدفع مبالغ عالية من النقود لأجل التقاط مشاهد صورية من الشرق، فضلاً عن توفير صور للمتاجر.

إن السعي لإتباع غاية دينية من خلال صور القدس والاراضي المقدسة (يمكننا تسميته بالتصوير الانجيلي) ليس شيئاً لا يمكن فهمه. ومما لاشك فيه أن العهدين القديم والجديد قد خرجا إلى الوجود في وسط هذه التلول والوديان التي من الممكن أن تنعكس على الصور أيضا. وذكر إمبراطور هبسبرك فرانس جوزيف الذي زار القدس سنة 1869 انه تابع مندهشا الانسجام الوارد بين المناظر التي تخيلها عندما كان يستمع إلى قصص الانجيل وهو صغير وبين مناظر القدس وجبل الزيتون ووادي الجوز. وبقي أن نذكر ان المسيحية كانت بحاجة ماسة لدعم كهذا، فالوقت الذي أخترع فيه التصوير تزامن مع الجدل الذي جرى حول أصالة الإنجيل والعهد القديم، وما طرحه النقاد حول ما اذا كان النبي عيسى قد عاش بالفعل ام لا. وفي مرحلة كهذه كانت صور الاراضي المقدسة يُنظر إليها من قبل مؤمن مسيحي بانها «الانجيل الخامس»، لكونها تظهر حقيقة الاماكن التي سمع عنها اعتباراً من طفولة النبي عيسى. حتى أن الزائر الامريكي J.M.P. Otts اعد كتاباً عن صور فلسطين والقدس بدأ به قائلا: «انه عند النظر إلى هذه الصور بنظرة صحيحة يكون هذا الكتاب الانجيل الخامس الذي يؤيد الاناجيل الاربعة» (Otts, 1893:5). ولهذا فان الصورة بهذا المعنى كانت بمثابة قوة خفية جديدة من الممكن ان تحل محل فن الرسم في الكنائس والذي ظهر في القرنين الرابع والخامس.

ويرى المصورون الذين تبنوا التصوير الانجيلي ان الناس في الشرق يعيشون الآن مثلما كانوا يعيشون قبل ألفي سنة، فيأكلون وينامون ويعملون مثلما كانوا.. فإذا ما سجل هذا المشهد وانتشر في العالم، فان هذه الصور توحي بأنها جاءت من عهد النبي عيسى بالذات ومن الأماكن التي تجول فيها.

وفي الوقت الذي ظهر فيه فن التصوير فان المصادر الانجيلية ورسومها في الكنائس تتعرض إلى الانتقاد، لأن هذه الرسوم كانت تعكس عما يجول في مخيلة الرسامين. وعند التعريف كان ينبغي أن تكون المصادر الإنجيلية كلها كذلك. وبالمقابل فان الصورة أصيلة، وتعكس الحقيقة نفسها أو كما هي. والاصح من هذا ان صورة اوربا في ذلك الوقت كانت تحسس بهذا الشكل: تصوير الحقيقة بشكل ايجابي. ونظراً لان هذا الأمر لا يمكن تكذيبه، فان المصادر الانجيلية – باستقراء مغاير



« 005 | خارطة الخطوط البرقية لفلسطين في العصر العثماني

اعدت هذه الخارطة في اواخر العهد العثماني من قبل قلم الهندسة (دائرة الهندسة) بوزارة البريد والتلغراف، وكما يبدو فيها فان الخطوط البرقية تبدأ من مدينة عكا وتصل الى يافا عبر الناصرة وجنين ونابلس، ويتفرع فرع منها من يافا الى غزة والعريش، ويصل الفرع الثاني منها عبر القدس الى مكة المكرمة مرورا بمدن معان وتبوك ومدائن صالح وهدية والمدينة المنورة.

– لا يمكن تكذيبها ايضا. وبهذا تقام صلة في غضون أمد قصير بين الادعاء القائل بان الصورة تعكس الحقيقة كما هي، وبين الوصول إلى الحقيقة الاصلية والصحة المطلقة وصحة القصص الانجيلية وذلك بواسطة الصور.

وكان المصورون الإنجيليون يأملون في انهم إذا قاموا بتصوير فلسطين في صورهم فانهم سيقنعون الناس بان النبي عيسى قد عاش فعلاً، وان القصص الواردة في الانجيل صحيحة. وهذا الأمل دفعهم إلى البحث عن مشاهد شبيهة بالمشاهد الواردة في القصص التي قرؤوها في الإنجيل وتحقيق هذه المشاهد بوجه خاص مع تدخل خارجي وذلك في بعض المواقف. فعلى سبيل المثال قام استوديو الكولونية الامريكية وانطلاقاً من المزمور 23 (الله هو راعي نفسي)، بالتقاط صور الاغنام والراعي وتسويقها كما سعى إلى زيادة التأثير بكتابة بعض القطع المأخوذة من العهدين القديم والجديد على المناظر الطبيعية. وترك لنا صندوق استكشاف فلسطين عدداً كبيراً من الصور، وكان قد طلب صوراً مفهرسة لأجل «المحافظة على الثقافة الإنجيلية». والمصورون الذين تعهدوا بتنفيذ ذلك قاموا باختيار وجوه «أصيلة»، وسعوا إلى إحياء فترة ما قبل ألفي سنة في الأراضي المقدسة. وكانت هذه الوجوه التي تتميز بلحاها الطويلة وزيها الذي لم يتغير منذ قرون مبعثا للمشتري الغربي لربطه بما قبل الفي سنة، حتى نجد انتشار كتب تحمل عنوان «الادلة التي تثبت صحة رسالة الانجيل».

في سنة 1862 طوّر اوليفر ويندل هولمس ستريو سكوب، وقد أصبح هذا التطوير مبعث حماس آخر للتصوير الانجيلي. وهذا التكنيك عبارة عن طبع مشهدين مماثلين جنباً إلى جنب. وهذه الصور كانت تطبع على الزجاج وعند وضعها امام العين يتجسم المتظر، وتظهر الأشخاص والأماكن بنفس حجمهم الطبيعي، ويظهر المشاهد كأنه يدخل المشهد ويتجول فيه. وعند التظر من حيث ظاهرة الحج بالصور فان تأثير ستريو سكوب لا يمكن الجدال فيه. ومما لا شك فيه أن هذه المشاهد تجرد الانسان من واقعه وتاخذه إلى الحج بالصور. وعلى الرغم من أن ستريو سكوب قد تم انتاجه لكل المدن في العالم، إلا أن ما كان يخص الاراضي المقدسة كان ينال اقبالا لدى المشترين اكثر من الانواع الأخرى.

مع دخول القرن العشرين لم تكن الصور تطبع على اوراق الصور الخاصة فقط بل أصبح بالامكان طبعها كذلك على اوراق الصحف والكتب، وقد أدى هذا إلى تغيير هدف التصوير واتجاهه مرة أخرى. ثم بدأت الصور توضع جنبا إلى جنب مع نص الكتابة، والشخص الذي ينظر إلى الصورة يتاثر بما كان يريد المصور من مشاهدته. وفي الأعمال الأولى لهذه المرحلة من الممكن ان نلاحظ سيادة التصوير الإنجيلي. وقد ساهم طبع الصور في الكتب في تخفيض كلفة النسخ الزائدة، وبدأت الصور التي لم يكن الانسان العادي يتمكن من شرائها لغاية هذا الوقت، بمخاطبة الناس في أزقة اوروبا وامريكا. وقد أمّن قصص الإنجيل الموضحة بالصور إمكانية اتصال كبير مع الكنيسة، فغدا «الإنجيل الخامس» يدخل إلى كل بيت.

والاتجاه الثاني الذي يمكن ملاحظته في التصوير المقدسي هو الرغبة لحماية وجه الشرق الاصيل الذي كان يتوجه نحو الفناء، وهذه الرغبة كان لها تأثير يدفع بالمصورين إلى تجاهل الحقائق المحلية التي تبعدهم عن الصور الموضوعية وغير الأصيلة. فعلى

سبيل المثال كان صندوق استكشاف فلسطين قلقاً من زوال الثقافة الرومانية والأزياء الرومانية بمرور الزمن فوجه دعوة للإسراع بتصوير هذا الوجه الغريب للاراضي المقدسة. وتعهد بهذا العمل سيرجنت فيليب والتقط 27 صورة خصص ثلثها للأرمن والساميين. وهذه النسبة – وكما هي واضحة لا تعكس الواقع الفلسطيني.

تعد عائلة ميسون بونفيلس التي كانت تقيم في بيروت الممثلة الناجحة للتصوير الشرقي الأصيل. ولم تكن هذه العائلة تعاني من هاجس ديني أو هاجس موضوعي آخر، بل كانوا يرغبون تسجيل الشرق الذي يثير إعجابهم والذي غدا متوجهاً نحو حافة الزوال تحت انظارهم. ولهذا السبب لم يترددوا من استخدام العارضين (الموديلات البشرية) أو جمع أشخاص يرتدون زياً أصيلاً مع بعضهم البعض في آزقة القدس والذي كان من المستحيل جمعهم، أو تقديم وجه غريب ذي لحية طويلة أو يهودي يمني أو مسلم مغربي كزائر.. كل ذلك برؤية البونفيلسيين.

وكان رجال الدين الأرمن يقفون امام آلات التصوير لتقديم لقطات ساحرة، ويتبعهم معلمو الحرف اليدوية من اليهود. ولهذا السبب فان الصور الملتقطة عنهم من قبل بونفيلس كثيرة رغم قلة عددهم قياساً إلى المسلمين والقرويين في القدس. وعلى الرغم من أن البدو كانوا يشكلون جزءاً قليلاً من سكان القدس، إلا أنهم ظهروا في الصور ليخلفوا انطباعاً عن كون القدس مستوطنة بدوية. وكان القرويون العرب المسلمون لا يلفتون انتباه المصورين الا عند انتشار مرض الجذام بينهم.

وقام اليهود الذين كان من الممكن مصادفتهم في كل مدينة من المدن الأوروبية بالتدفق الى فلسطين، إلا أنهم لم يظهروا إلا في الصور التي التقطها مصوروهم. وهم بدورهم قاموا بتصوير انفسهم في القدس أيضا، إلا أنهم لم يروا أي شيء يستحق الخلود.

ومما لا شك فيه أن المصورين الشرقيين الواقعيين التقطوا صوراً ناجحة إلى حد ما. وكانت عائلة بونفيلس تستخدم العارضين عند التصوير. وعلى الرغم من استخدامهم تقنية قديمة في التصوير إلا ان الصور التي التقطوها كانت واضحة وضوح ما التقط فيما بعد بمدة طويلة. ولكن الصور التي التقطوها كانت بعيدة كل البعد عن تمثيل القدس بكاملها، ومن الممكن ملاحظة نفس النقص في الصور التي التقطها المصورون الذين مارسوا التصوير لاسباب مالية وذلك لتلبية طلبات الزبائن.

وتزامن اختراع التصوير مع كونه باباً للرزق، فالمصورون الاوائل الذين قدموا إلى القدس كان يتم تمويلهم من قبل رجال الأعمال الذين خططوا لبيع الصور التي يتم التقاطها وذلك في اوروبا. فظهر إلى الوجود فئة المصورين التجار الذين ينتسبون إلى الغرب.

وكان على المصورين القيام بسلسلة من الإجراءات وذلك لكي تحظى صورهم باهتمام الزبائن الغربيين وتسويقها، ويأتي على رأسها مضاهاة المنظور في الرسوم واللوحات التي رسمت باليد قبل هذا التاريخ، النظر إلى المدينة من الزاوية نفسها، وحتى استخدام الاهالي المحليين كعنصر للأبعاد كما كان مستخدماً في تلك الرسوم. وكانت الصور تثبت بشكل اختياري، وتحدد الاماكن التي تجذب اهتمام المشتري الغربي، وذلك بالاستناد إلى تجارب الرسامين الأوائل والقصص الواردة في الانجيل.

وفي النتيجة كانت نتاجات المصورين التجار تعرّف الطبقة التي تخاطبها، وعلى ضوء ذلك يتم الإنتاج. وكانت الصور تحمل مدلولات مختلفة بالنسبة إلى دارسي الصور في القرن العشرين. ويمكننا القول عن هذه الصور وبكل سهولة: أن هذه الصور كانت تمثّل زبائن الصور في القرن التاسع عشر أكثر مما كانت تمثّل القدس في القرن التاسع عشر. ولهذا السبب كانت هناك حاجة إلى تفسير جديد لذلك.

والخاصية التي يشار إليها في الصور المقدسية في القرن التاسع عشر هي علاقة هذه الصور بمفهومي الزمان والمكان. وكان الهدف من المستوى الفني هو التقاط صورة من الاماكن التي زارها المصورون وشاهدوها، ثم وضعها في الحقيبة لأخذها إلى الدول الغربية، وذلك بغض النظر عما اذا كان المصورون المقدسيون الاوائل قد تأثروا بأي إجراء من الإجراءات الثلاثة المذكورة، ولهذا السبب فان الصورة كانت مهمة من حيث تجميدها المكان وليس الزمن. وربما لهذا السبب لم يضع معظم مصوري هذه المرحلة تاريخاً على الصور التي كتبوا عليها اسماء الاماكن.

وبدأ بعد مدة إدراك العلاقة الموجودة بين الصورة ومفهوم الزمن، إذ ان الصورة بالنسبة إلى قسم من المصورين الشرقيين وبضمنهم الاخوة بونفيلس المتحدرين من اصول لبنانية كانت وسيلة للمحافظة على ما هو موجود وتركها تراثاً للمستقبل، وهؤلاء المصورون شاهدوا الغرب والتحول الثقافي والحضري الكبير في الدول الغربية فنذروا أنفسهم لتدوين الصورة الواقعية للشرق والمعرضة للزوال والتي لن يتسنى للجيل التالي مشاهدتها مطلقاً. وكانت الصورة بالنسبة إليهم يُعد الجسر الممتد من الزمن الحالي نحو المستقبل، وهذا الجسر هو الذي يؤمن تذكير الجيل القادم بالوقت الراهن، فكان هناك مصورون اثريون ومؤرخون يعتقدون بان الاثار الرومانية الموجودة في الاراضي المقدسة والمناظر الطبيعية فيها متوجهة نحو الزوال، ولهذا ينبغي توثيقها بالصور لوضعها في متناول الأجيال القادمة لدراستها، كما كان هناك العلماء الطبيعيون الذين يدرسون أنواع النباتات والحيوانات في فلسطين. وكان الهاجس المشترك للجميع هو تسجيل ما هو موجود.

أما الفئة الثانية التي مارست التصوير مركزة على العنصر الزمني فهي ممن يعدون الصورة جسراً يمتد من الوقت الراهن إلى الماضي. ويتكل المتحمسون من المعتقدين بالمسيحية معظم هذه الفئة، ويرى هؤلاء ان الشرق لم يتغير أبداً منذ العصور الرومانية، فجبل الزيتون في سنة 1850 هو نفسه الذي كان عليه عند صعود النبي عيسى منه إلى السماء. وكأن أصحاب العمائم الكبيرة الذين يتجولون في الأزقة، وأصحاب الجبب والشيوخ ذوي اللحى والجذامين والشحاتين والجنود تم اقتطاعهم من صفحات العهد الجديد ووضعوا في ازقة القدس. وان الانسان عند تجوله من أحد الأزقة كأنه يصبح كمن يتقابل مع النبي عيسى أو مريم المجدلية. وكان المصورون المسيحيون يجولون أزقة القدس بهذا الشعور، ويعدون ما يلتقطون من الصور دليلاً على ما ورد في العهدين القديم والجديد لا يمكن انكاره.

وبغض النظر عن اهدافهم فقد كان للمصورين المقدسيين الاوائل مسار مشترك: انهم لم يكونوا يلتقطون الصور لأجل الفن. كان لقسم منهم هاجسهم الديني، كما كان لبعضهم هاجس ثقافي او مالي. وكان الأخيرون في حقيقة الأمر يكادون أن يبتلعوا الاخرين.



» 006 رخصة بناء في القدس

توصية من قبل شورى الدولة في سنة ١٩١١ بالسماح للمدعو محمد افندي بن عبد السلام بالقيام بإقامة مبنى على ثلث مساحة الأرض السكنية التي يمتلكها والواقعة خارج أسوار مدينة القدس القديمة على أن يترك ثلثيها ساحة خضراء.

» 007 طابو من القدس في العهد العثماني

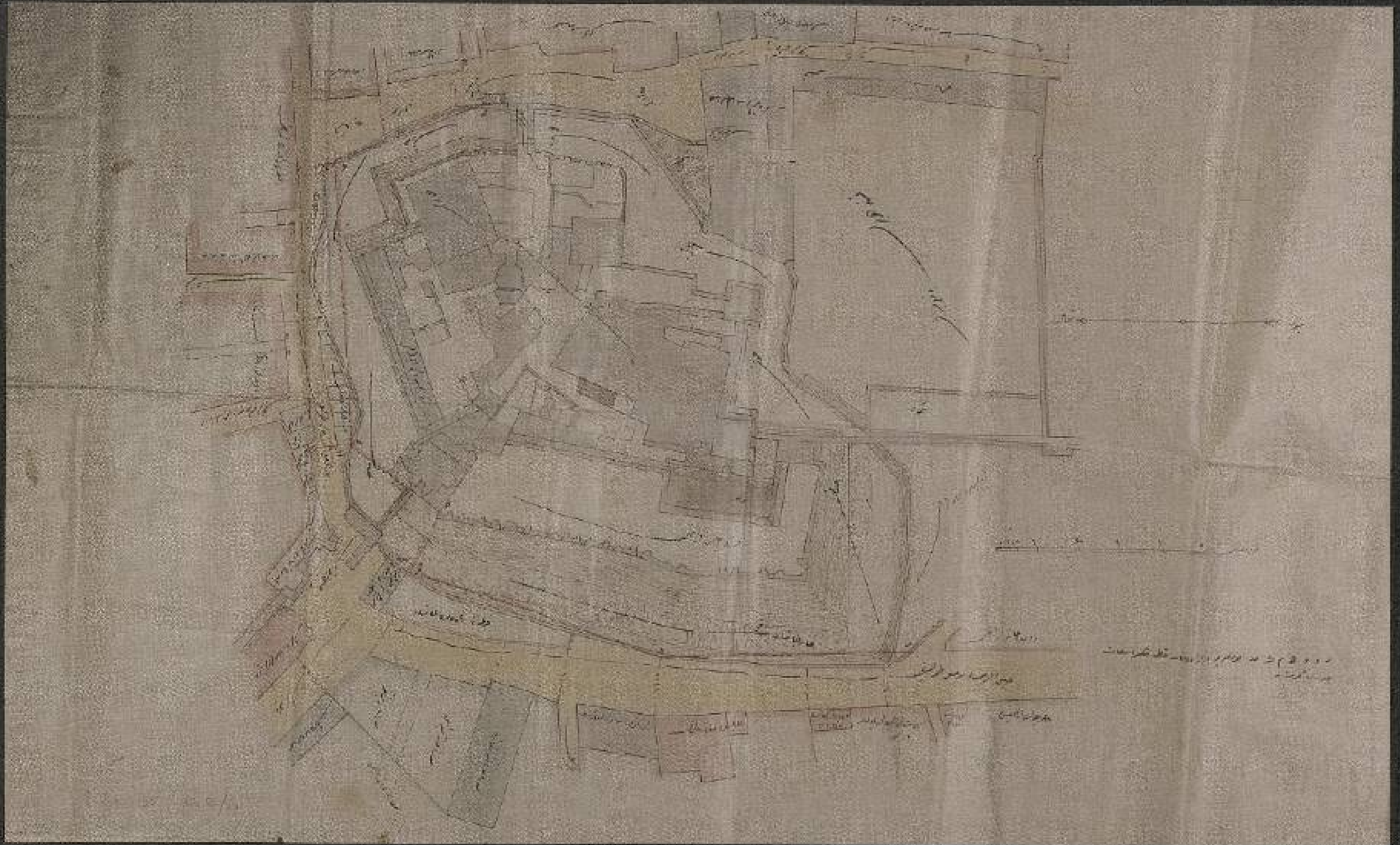
ان سند الطابو الظاهر في الصورة اعد في سنة ١٨٧٤، ففي النصف الاخير من الوجود العثماني في القدس ازداد بيع وشراء الأراضي فيها وتحول الامر إلى قضية إشكالية من الناحية السياسية، لأن اليهود القادمين من أوربا سعوا إلى شراء أراض جديدة، في حين سعت الادارة العثمانية الى اعاقة هذه المساعي لكونها تضر بالتركيبة السكانية للمدينة.

وهؤلاء المصورون راوا في مهنة التصوير باباً للرزق، وربما نجانب الصواب إن قلنا باب الغنى لهم، فكانوا يرتزقون من هذه المهنة، وفضلاً عن هذا فقد كانوا يسعون وراء الصور التي من الممكن بيعها اكثر من الاخرى، أو تجعل المؤسسة التي تغطي نفقات زيارتهم الى القدس اكثر امتناناً، فعلى سبيل المثال كان الاخوة بونفيلس الذين كانوا يرتزقون من هذا العمل اكتشفوا أن اكثر الصور جاذبية للسياح الغربيين هي المشاهد التي تُظهر الإنسان الشرقي بزيه الحقيقي. ولهذا السبب كانوا يستخدون العارضين، فعلى سبيل المثال يقومون بإيجاد الأزياء التي لم تعد تستخدم في المدن، ويجعلون من ابنية المدينة خلفية لصورهم مستخدمين هؤلاء العارضين (أي وهم في هذه الازياء التي لم تعد تستخدم). وذلك لأن الشرق بدأ بالتغير وذلك بتأثير الغربيين الذين يترددون إليه بشكل مستمر، وبفضل الإصلاحات التي طبقتها الدولة العثمانية. وبعد مدة لم يبق وجود لهذه الأزياء التقليدية التي من الممكن ارتداؤها لهؤلاء العارضين.

كان الإخوة بونفيلس يقيمون في القدس، إلا انهم يقومون بتصوير المشاهد المتعلقة بالقدس في استديوهاتهم ببيروت. وهذا يعني أن الأشخاص الظاهرين في الصور لم يكونوا مقدسيين رغم كونهم من أهالي المنطقة. وترجع بداية التصوير في القدس إلى سنة 1856م حيث بدأ كل من م.ج. دينس وبيتر بركهايم (وهما تحوّلا من اليهودية إلى المسيحية) والبطريرك الارمني في القدس يسايي غرابديان بالاهتمام بالتصوير. وعلى الرغم من كونهم من الأهالي المحليين إلا انهم وبطبيعة الحال تلقوا تعليمهم عن التصوير عند المصورين الغربيين واكتسبوا منهم رؤيتهم لهذه المهنة الجديدة.

وأسس غرابيد كريكوريان وهو أحد تلاميذ يسايي استوديو له في سنة 1885م وذلك في خارج باب الخليل بالقدس، وقد استمر هذا الاستوديو بنشاطه حتى سنة 1948م. وقد أحيت الزيارة التي قام بها القيصر ويلهلم الثاني في سنة 1898م إلى القدس كريكوريان وأستوديو الكولونية الأمريكية، فبعد هذه الزيارة اصبح كريكوريان يعرّف نفسه بأنه المصور الرسمي للسراي، كما ارسل في نفس الوقت صوراً إلى استانبول بغية المشاركة في البومات يلدز للسلطان عبدالحميد الثاني. ومن تلاميذ كريكوريان خليل رعد وهو من مسيحيي القدس، وعمل مصوراً لجمال باشا وجمال باشا الصغير.

ومن المصورين الذين أدت زيارة القيصر إلى تألّق نجومهم اريك ماتسون رئيس مصوري استوديوهات الكولونية الامريكية. والكولونية الامريكية تأسست في القدس سنة 1881 ككوميون لها تاملاتها المسيحية. إلا أن الفريق تحول في سنة 1898 إلى أستوديو للتصوير. وخلال الحرب العالمية الاولى تمكنوا من استحصال الرخصة لتصوير تحركات الجنود الأتراك والألمان والنمساويين. وقد حوّلت الكولونية الأمريكية التصوير إلى نوع من الدين الحديث. فكانت الصور تلتقط بنشوة العبادة ويتم توثيقها، ثم تسويقها الى السوق. وتم تكثير صور هذا الاستوديو بعشرات الآلاف. وتم رسم بعض الصور واستخدمت بعضها كبطاقات بريدية، واذا تم الحديث عن مدرسة غرابيديان – كريكوريا في التصوير المقدسي فانه من الممكن ذكر الكولونية الامريكية إلى جانبهما كمدرسة متطورة.



008 | مخطط قلعة مدينة القدس

أعد هذا المخطط قبل سنة ١٨٩٨م، ويظهر فيه أن الخندق الواقع بين باب يافا والقلعة لم يتم بعدُ طمره وتحويله إلى شارع وأن أسوار المدينة لا زالت باقية في هذه المنطقة. كما يلاحظ وجود مقر لإقامة الضباط وردهات في الركن الشرقي من ميدان القشلة السلطانية (الثكنة العسكرية) الكائنة في الجزء الجنوبي من القلعة والتي لا تنعكس على الصور الملتقطة. ولم يبق اليوم أي من هذه المباني. وتوجد على المخطط عبارة: «توضيح بعض الأبنية والملاحق التي يتم إنشاؤها بمناسبة الزيارة التي يزمع الامبراطور الألماني القيام بها إلى القدس». ويستدل من هذا أنه أعد في ضوء قرار السلطان عبد الحميد المتعلق بفتح عدة طرق وذلك بهدم السور الكائن قرب باب يافا وطمر الخندق.

القدس بالصور القديمة

اعتباراً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى خروج العثمانيين من القدس سنة ١٩١٧ التقطت عشرات الآلاف من الصور عن القدس، الأمر الذي يدل على مدى الاهتمام الذي حظيت به القدس، وزاد هذا الاهتمام بعد الاحتلال الإسرائيلي للمدينة سنة ١٩٤٨ فاعدت مجموعة من الألبومات وذلك في الربع الثاني من القرن العشرين. ولا شك أن رغبة ناشري هذه الألبومات اثرت في اختيار الصور، ففي الألبومات التي صدرت من اجل دعم الطروحات الصهيونية تقدمت في الواجهة وجوه الساكنين من اليهود في القدس واظهرت وعلى وجه خاص المسجد الاقصى وارجاؤه اماكن متروكة. واعدت هذه المجاميع الصورية من صور تم التقاطها من قبل شخص واحد او من قبل مؤسسة، وبرز إلى الوجود شكل القدس وقد تزاحم بين تحفيز المصور وامكاناته الفنية، ففي الألبومات المتقدمة على وجه الخصوص ظهر تأثير التصوير الانجيلي او التصوير الشرقي الواقعي، كما كانت تعيش في مخيلة المصور والتي اصبحت ملكا للماضي وتاريخاً زائلا اكثر من القدس التي كانت تعيش وقت تصوير الصورة. وكان جميع الألبومات يتميز بنقص مشترك وهو عدم دراسة اوضاع البيئة التي تم تصويرها او المصور الذي التقط الصورة أو امكانات المرحلة التي انتجت فيها الصورة او فكر المصور.

ولم تكن المسألة الوحيدة في جميع الصورة التي التقطت في العصر العثماني تنحصر في مشاكل ذهنية أو فنية، فالمسلمون لم يحبذوا آلات التصوير لمدة طويلة، ولكي يتعلموا التصوير من الغرب ويبدؤوا بالتقاط صورهم احتاجوا لمرور خمسين سنة، كما أن عدم اهتمام المصور اليهودي بالقدس يعد خسارة، ففي تلك المرحلة كان يهود القدس متدينين الى حد ما، ويتعاملون مع هذا النتاج الجديد للتكنولوجيا مثل المسلمين بتحفظ. كما ان اليهود المنحدرين من اصول روسية والساكنين في الكيبوتز لم يروا أي شيء جدير بالتخليد ليتم تصويره في القدس.

وبطبيعة الحال فان لكل ذلك استثناءات، فالالبومات التي تم نشرها لحد هذا اليوم فضلت الحس البصري للصور على الحقائق التاريخية للقدس العثمانية، وهذا أدى إلى إفراز البومات لقدس خيالية.

وعلى الرغم من اننا لا نجزم في هذا الصدد بشكل مبالغ فيه إلا انه يمكننا القول ان هذا الالبوم الموجود في متناول ايديكم يُعد خطوة في سبيل سد الفراغ. وهذا الالبوم ليس البوماً عادياً اعد من مجموعة من صور للقدس تم التقاطها في العصر العثماني، بل انه البوم للقدس التي عاشت وحافظت على وجودها في العصر العثماني. وان استقراء البيئة التي التقطت فيها الصورة من الصورة نفسها يحتاج الى معلومات تاريخية شاملة ودراسات ارشيفية ونقد مقارن للصور.

ان فكرة هذا الالبوم ليست هي نظام «تسجيل» صوري كما يُعتقد، فالصور التي انتجت في المراحل المتقدمة لاسباب خارجة عن نطاق فكرة «الفن» للتصوير، لم تكن اكثر ثقة من اللوحات التي تم اثراؤها بقوة خيال الرسامين وذلك من حيث تمثيلها الحقائق. فقد اثبت احد التحليلات المتعمقة ان صور القدس المبكرة قد تم تطويعها وفق متطلبات الزبائن اكثر من الواقعية التي تبرزها او كيفيتها في الساحة. والالبوم الذي بين ايديكم يسعى الى تخليص تلك الصور مما يعانيها



009 | **القدس العثمانية من على ارتفاع 1800م**

التقطت هذه الصورة – كما يستدل من ملاحظة وردت عليها – من الطائرة المرقمة 304 من على ارتفاع 1800م في 23 تشرين الثاني/ نوفمبر سنة 1917. وهي احدى اوائل الصور الفوتوغرافية للقدس التقطت من الجو من قبل العقيد هولتاوزن Holthausen، وهي تعكس الايام الاخيرة للدولة العثمانية في مدينة القدس وتبدو فيها الملامح العامة للقدس الحديث.

من نقص وذلك بالاستفادة من المعلومات الواردة في خلفية الصور نفسها.

واستفدنا في هذا الألبوم من ثلاثة مصادر بصورة كبيرة. ويأتي على رأسها ارشيف يلدز للصور والذي يحتفظ به ارسيكا. والمصدر الثاني هو المجموعة التي اهدتها استوديوهات الكولونية الامريكية الى مكتبة الكونغرس الامريكي في سنة ١٩٧٠م. كما أخذنا بعض الصور وبدرجة أقل نسبياً من أرشيف صندوق استكشاف فلسطين. ونظراً لذكرنا اسماء المصادر التي استمدنا منها الصور وذلك تحت كل واحدة منها فاننا لن نتطرق هنا إلى المصادر الأخرى التي أخذنا منها الصور بدرجة أقل.

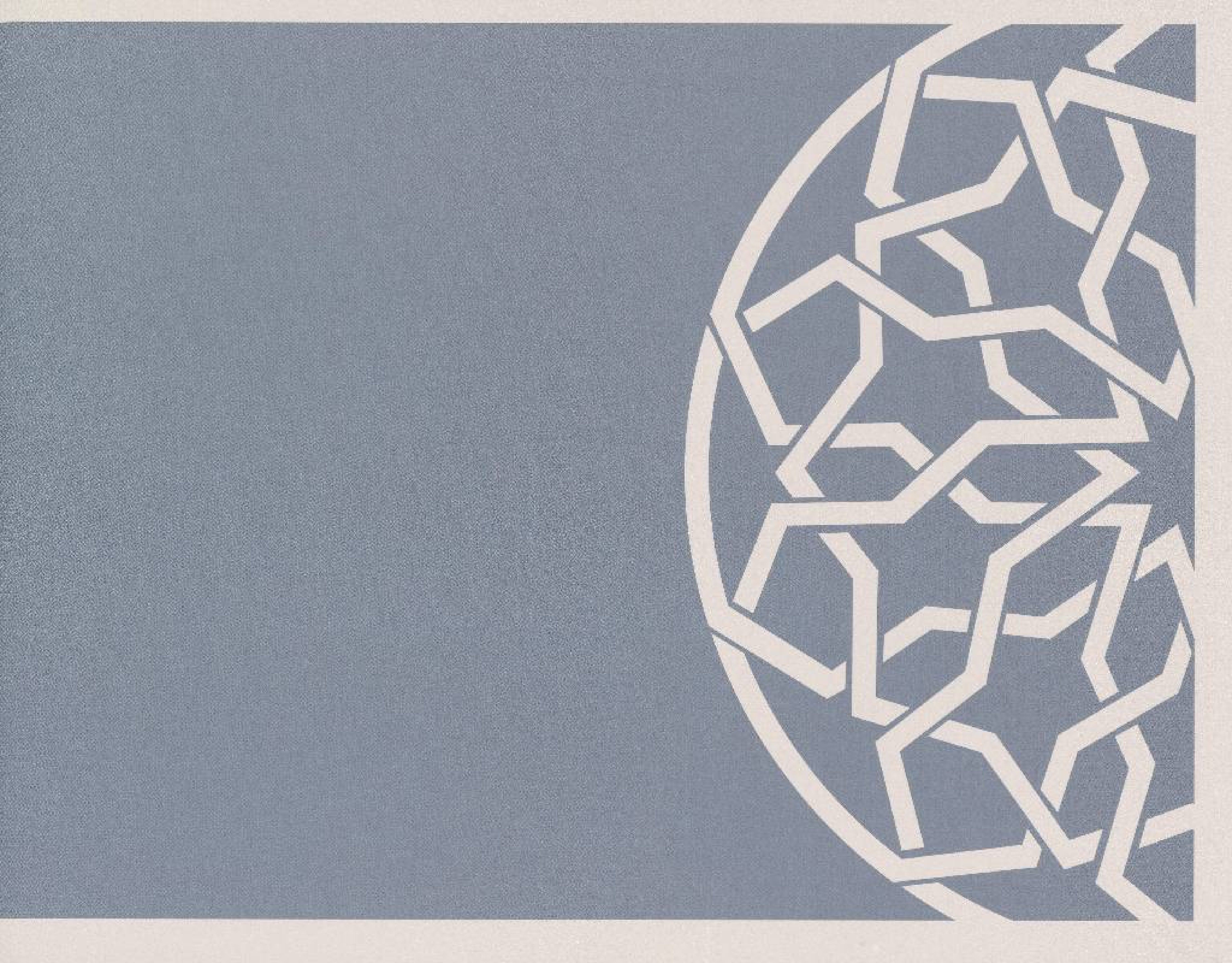
وتحتل الصور المحفوظة في ارسيكا والواردة ضمن هذه المصادر مكانة خاصة. والمعروف ان آرشيف يلدز للصور ظهر بعد الاهتمام الكبير الذي أولاه السلطان عبد الحميد الثاني للصور. وقد ساعد هذا الارشيف على اجتياز نقدنا المتعلق بالاتجاهات التي نصادفها في عملية تطور التصوير المقدسي إلى حد ما. وذلك لان ارشيف يلدز للصور تم جمع صوره بالاستفادة من المصورين المحليين الى درجة كبيرة. كما أدخلت فيه الصور التي التقطها بعض المصورين الموفدين من استانبول بشكل خاص؛ فعلى سبيل المثال كان المصور الارمني المقدسي غرابيد كريكوريان يختار بعناية الصور التي يرسلها إلى استانبول ، ولم يتبع الهواجس التجارية التي تشاهدها في الصور التي تم التقاطها للزبائن الاوروبيين. وفي النتيجة كان زبونه في هذه المرة هو خليفة العالم الاسلامي والسلطان العثماني؛ ولكي يجعله ممتنا كان عليه ان يجعل الرعايا العرب والمسلمين جزءاً من الصورة.

والقيمة الثانية لارشيف يلدز للتصوير الذي يحافظ عليه ارسيكا تكمن في اقتنائه بعض الصور الفريدة التي لا نجدها في آي مصدر من المصادر. كما اننا وجدنا النسخ الاصلية لمجموعة من الصور في ارسيكا فقط، ووجدنا نسخاً أخرى منها في مراكز الأرشيف الأخرى وهي ملونة بطريقة الفوتوغرام. ووجدنا من المناسب نشر هذه الصور الأصلية مع نسخها الملونة. ويحتفظ ارسيكا أيضاً بمجموعة من الرسوم المتعلقة بالقدس وهي مهمة لاظهار ما كانت تعني القدس بالنسبة للإدارة العثمانية في تلك المرحلة.

وعلى الرغم من ان هذا الالبوم يعد الاول من نوعه في هذا المسار، إلا انه لا يمكن الادعاء بأنه أكمل مهامه؛ لأن مسعىً كهذا يتطلب اجراء دراسات ارشيفية كثيرة تتعلق بالقدس في العصر العثماني. ويكفينا سعادة إن توفقنا في تقديم مناظر إنسانية من نافذة الماضي لمحبي القدس.









القسم الأول

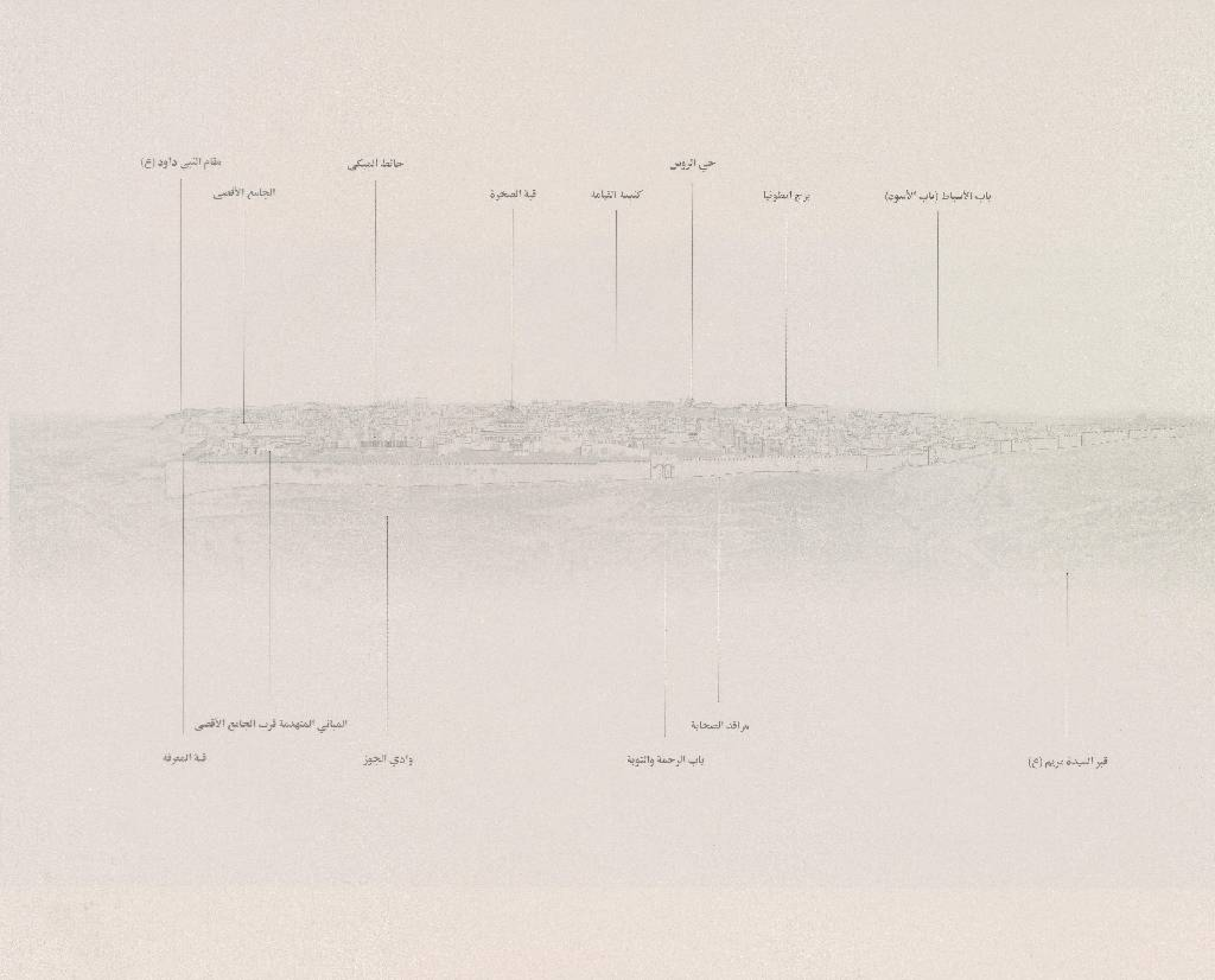
بانوراما

ستائر في المدخل الرئيسي للقلعة الجديدة




PANORAMA DE JERUSALEM.




مقام النبي داود (ع)
حائط المبكى
حي الروس
الجامع الأقصى
قبة الصخرة
كنيسة القيامة
برج انطونيا
باب الأسباط (باب الأسود)
المباني المتهدمة قرب الجامع الأقصى
مراقد الصحابة
قبة المعرفة
وادي الجوز
باب الرحمة والتوبة
قبر السيدة مريم (ع)





» 012 | القدس من جبل الزيتون

بهذا المنظر الرائع تبدو مدينة القدس من على جبل الزيتون، وقد أصبح هذا المنظر مصدر إلهام لعشاق القدس عبر التاريخ، وهو يعكس المدينة من الجهة الغربية، ويُظهر صخور القدس، وعلى وجه الخصوص عند غروب الشمس: وهي تتلألأ كأنها ورود يابسة. والتقطت هذه الصورة من قبل مخزن الكولونية الأمريكية، وأدرجت ضمن دليل يعود الى سنة ١٩١٤، ويمكن القول انها التقطت بين سنتي 1898 و1914.

» 013 | القدس من جبل المنظار

التقطت هذه الصورة من السفوح الشمالية لجبل الزيتون وتبدو فيها حديقة غيتسيمان بوادي الجوز. وطبقاً للمعتقدات المسيحية فإن هذه الحديقة هي المكان الذي أمضى فيه النبي عيسى (ع) أيامه الثلاثة الأخيرة وهو على سطح الارض، وتعرض فيه إلى خيانة احد حوارييه واعتقل من قبل الجنود الرومان. والحديقة التي تظهر في الوادي وتحيط بها الأسوار هي حديقة غيتسيمان، والباب المختوم الكائن في وسط الأسوار الشرقية لمدينة القدس هو «باب الرحمة والتوبة» الذي كان يمر منه النبي عيسى عند تردده إلى المدينة والمعبد.


EGLISE ST-ANNE VUE GENERALE DE JERUSALEM
SABOUN



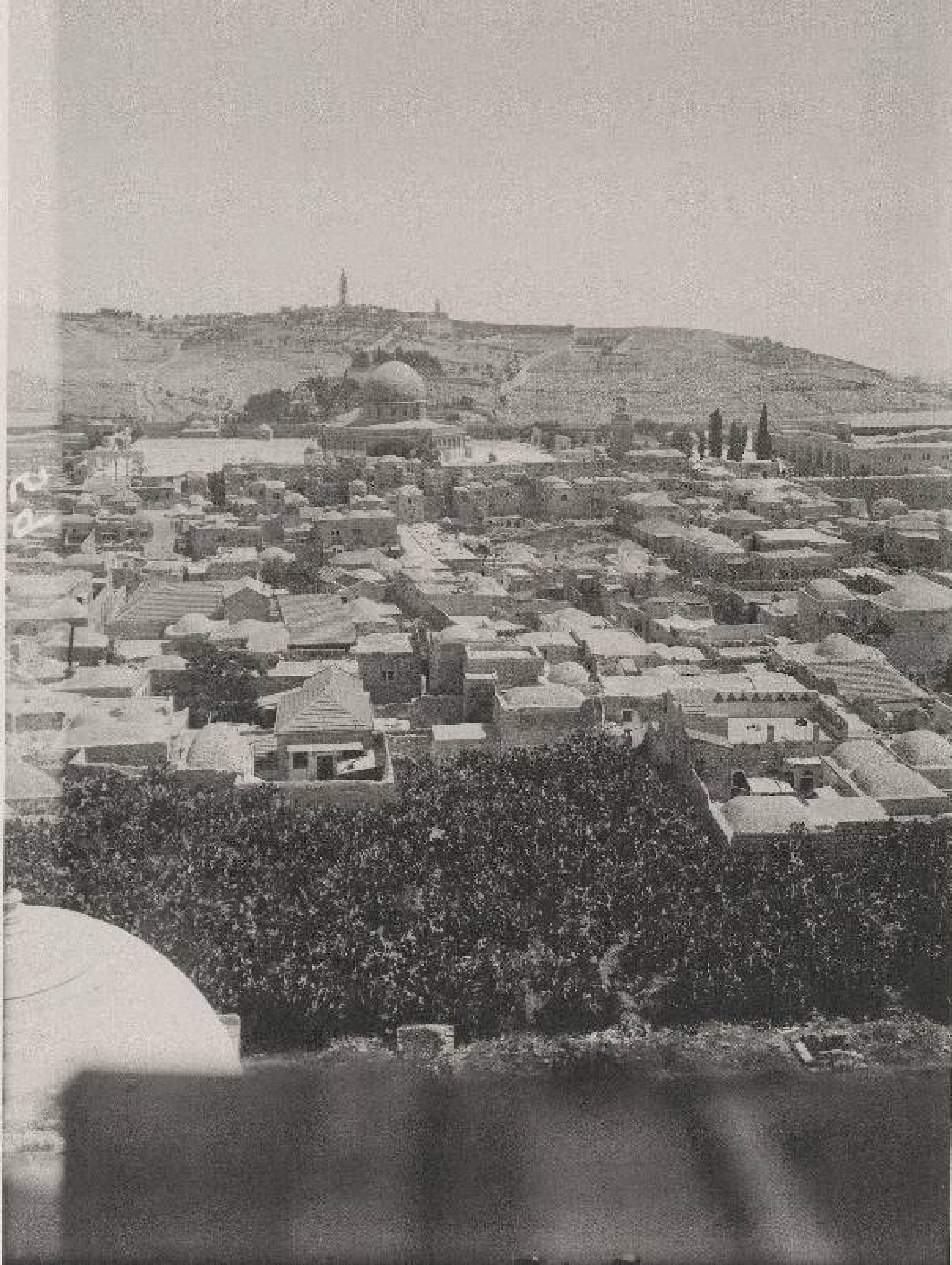
« 014 | المدرسة الصلاحية وقبة الصخرة

التقطت هذه الصورة من خلف أسوار المدرسة الصلاحية، ويظهر فيها كذلك حي اليهود في الجهة الغربية من قبة الصخرة، ويعود إنشاء المدرسة الصلاحية إلى عهد صلاح الدين الأيوبي، إلا أن إحياءها وتعميرها تمَّ في أواخر العصر العثماني بغية إعداد اداريين لإدارة البلاد العربية في المستقبل. وكنيسة القديسة حنه الكائنة في هذا المكان نذر للسيدة مريم العذراء، وتوجد في هذه الكنيسة بركة بيت حسدا التي يعتقد أن النبي عيسى (ع) كان يُعالج المرضى في مائها.

« 015 | أسطح منازل القدس العثماني

هذه الصورة التقطت من على سطح فندق كازا نوفا (Casa Nova Hotel) الواقع في الجزء الشمال الغربي من حي النصارى بالمدينة القديمة، وهي تمثل القدس قبل الحرب العالمية الأولى. وتغلبت على معالم المدينة القديمة قبتان هما قبة كنيسة القيامة التي تعد أقدس مكان عند المسيحية وهي تظهر على يسار الصورة، وقبة الصخرة. وتظهر في الصورة أيضاً مئذنة الجامع العمري، وتبدو أصغر من البرجين الكائنين في الطرف الأيمن. والبرج الثاني هو برج الجرس لكنيسة لوثر. أما البرج الموجود في الجزء الخلفي أي على قمة جبل الزيتون فهو برج الجرس المشهور للكنيسة الروسية. ويعتقد الأرثوذكس الروس أن هذا المكان هو المكان الذي كانت السيدة مريم العذراء تراقب منه ابنها السيد المسيح عند صعوده إلى السماء. كما يعتقد إن السيد المسيح سينزل إلى هذا البرج عند مجيئه الى الأرض للمرة الثانية وليس الى اي مكان في جبل الزيتون.


SABOUNCI
N° 4 JERUSALEM RÉSERVOIR D'EZECHIAS



» 016 | أماكن مسيحية محفوظة بين المآذن

استخدمت بركة حزقيال الواقعة خلف كنيسة القيامة مخزناً للمياه لحي النصارى حتى الأدوار الأخيرة للدولة العثمانية. وفي هذه الصورة تظهر احدى قبتي كنيسة القيامة وهي لم تغط بعد بالرصاص، كما أن برج الجرس لكنيسة لوثر لم يتم بناؤه بعد، ولهذا فان هاتين الحقيقتين تثبتان ان هذه الصورة التقطت بين سنتي ١٨٩٠ - ١٨٩٨. والمئذنة الظاهرة إلى اليمين من الصورة هي مئذنة الجامع العمري، اما المئذنة الواقعة إلى اليسار فهي مئذنة جامع الخانقاه، وهذا الجامع بناه صلاح الدين الأيوبي عند مكوثه في القدس بعد الفتح واتخاذه من المدينة قاعدة عسكرية لحروبه ضد الصليبيين.

» 017 | مدينة القبب والأسطح

التقطت هذه الصورة من على سطح كنيسة القيامة بين سنتي ١٩٠٢ - ١٩١٧ وتظهر فيها اسطح منازل حي المسلمين بين الكنيسة والمسجد الأقصى، والبرجان الظاهران خلف قبة الصخرة وعلى قمة جبل الزيتون هما البرج الروسي وهو الأطول وبرج الجرس لكنيسة بيتر نوستر وهو الأقصر. ويظهر في الزاوية اليمنى قبة الجامع الاقصى والى جانبها القسم العلوي من حائط المبكى.





« 018 | حي المغاربة وحائط المبكى

حي المغاربة وقد حلّت محله اليوم الساحة الواقعة أمام حائط المبكى واصبحت كأنها ضاحية من الضواحي الإملاكية بعد حي اليهود وحائط المبكى، وعلى الرغم من بساطة هذا الحي فانه برز في العصر الأيوبي إذ خصص لإسكان المغاربة الذين تم جلبهم إلى القدس من افريقيا الشمالية. وهذا الحي الذي امضى فيه فيما بعد الرئيس الفلسطيني السيد ياسر عرفات طفولته قد ازيل من قبل الإسرائيليين سنة ١٩٦٧ حيث سيطروا على المدينة. ويستدل مما يظهر في هذه الصورة النادرة أنها التقطت في سنة ١٩١٠ إذ يظهر فيها برج الكنيسة وهو ما يزال في طور البناء. والمعروف ان هذا البرج المتعلق بمستشفى اغوستا فكتوريا أمر ببنائه القيصر ويلهلم الثاني في القمة الشمالية لجبل الزيتون وذلك في سنة ١٩٠٨ واكتمل سنة ١٩١٠. وبعد خمس سنوات من التقاط هذه الصورة استخدم المستشفى مقراً للجيش الرابع العثماني الذي كان يقوده جمال باشا.

« 019 | أسوار مدينة القدس من طريق الخليل

التقطت هذه الصورة من الطريق الذي يربط القدس بمدينتي بيت لحم والخليل، وتظهر فيها الاسوار القريبة للمدينة القديمة. والمئذنة الظاهرة في الوسط تقع في داخل القلعة الواقعة بالقرب من باب الخليل الذي اصبح الباب الرئيسي للمدينة اعتباراً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر. والقلعة والاسوار التي تغلب على الصورة كأنها ختم تملك ضربه العثمانيون على المدينة. وقد أنشئت هذه الأسوار في عهد السلطان القانوني وبقيت صامدة على مدى خمسة قرون لتحدد حدود المدينة القديمة. وهذا الطريق الذي يقطع مقدمة الوادي يشكل سداً صناعياً لتجميع مياه الامطار. واطلق على هذا السد الذي يظهر في الصورة اسم بركة سليمان. والماء المتجمع في هذه البركة استخدم على مدى ثلاثة قرون لبعطي حاجة المدينة إلى مياه الشرب. وتعود الصورة إلى النصف الأخير من القرن التاسع عشر حيث كان صندوق استكشاف فلسطين يقوم بإجراء دراسات حول الآثار والمياه في فلسطين. وفي هذه السنوات تحولت بركة سليمان الى ساحة لإقامة اسواق ذات أغراض مختلفة وفي أيام مختلفة من كل أسبوع.


JÉRUSALEM

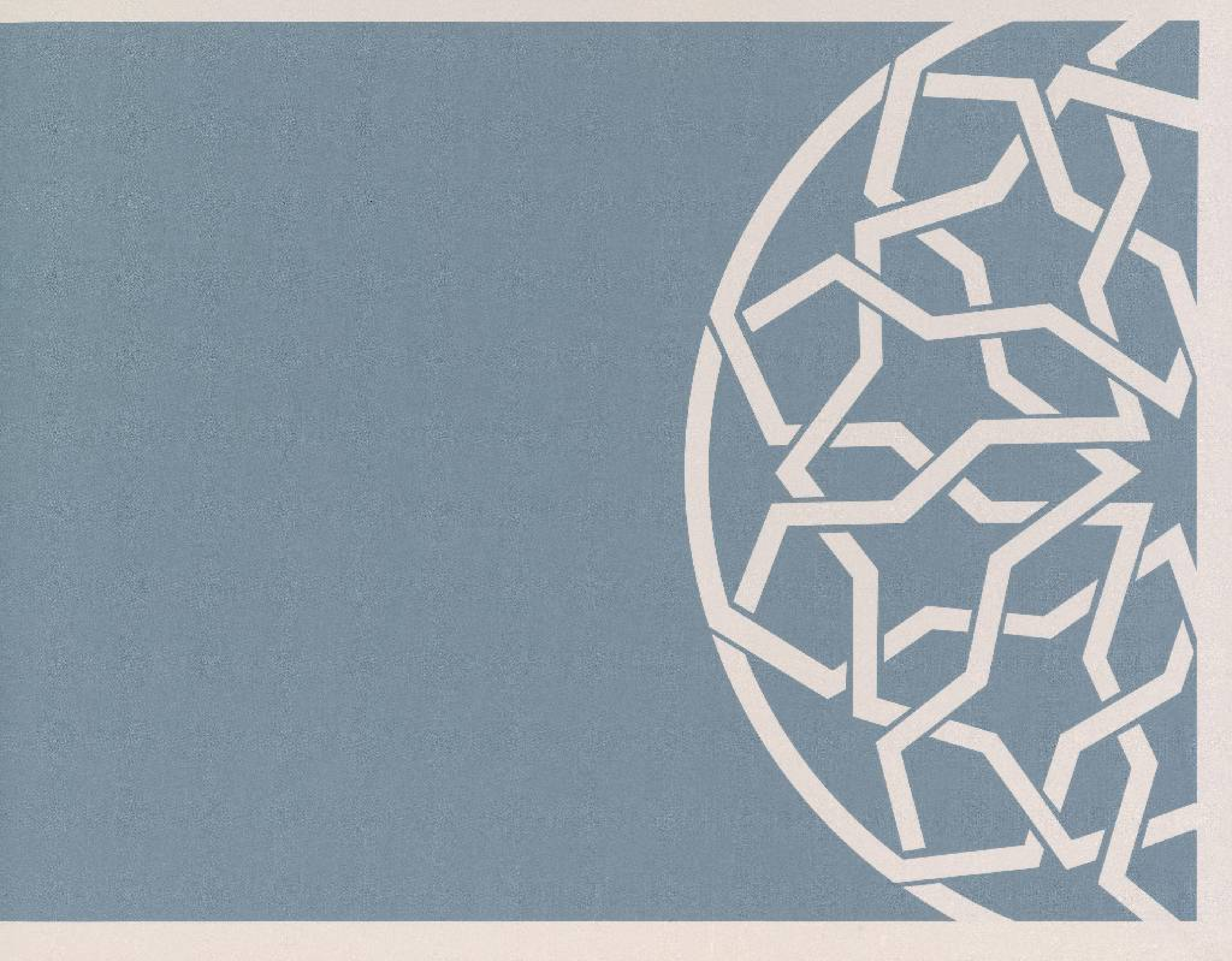


» 020 | قبر النبي زكريا

يمثل هذا المشهد أحد المشاهد التي توقف فيها الزمن: فهذا المقطع من وادي الجوز الممتد بين جبل الزيتون والمدينة القديمة لم يتغير أبداً على مدى التاريخ. فالذين ينظرون إلى هذا الوادي من نفس النقطة لن يلاحظوا تغييراً كبيراً سوى مستشفى المقاصد الذي يتحكم على التل الواقع خلف كنيسة مريم المجدلية ذات القبة البصلية: أما الأبنية الموجودة في الوادي فهي يد أبشالوم ذو القبة القمعية، ومرقد النبي زكريا ذو القبة الهرمية، أما المكان الذي يبدو خلفه نوافذ والواقع خلفهما فهو المغارة التي دفنت فيها إحدى العوائل التي ينتمي إليها أداربو القدس في عهد النبي عيسى وكانوا ذوي مستويات رفيعة.

» 021 | الأسوار الجنوبية وطريق العيزرية

لا يعرف بالضبط تاريخ هذه الصورة ومن المحتمل أنها تعود إلى أواخر العصر العثماني. وعلى الرغم من انتهاء الحكم العثماني في القدس في هذه الفترة إلا أن هذه الأسوار التي بنيت على يد العثمانيين لا زالت تسيطر حتى اليوم على البنية المعمارية للمدينة، وهذه البقعة التي تطل على المسجد الأقصى والمدينة القديمة، تقع اليوم على الطريق المؤدي إلى أبو ديس والعيزرية. واستمدت العيزرية اسمها من اسم النبي عزير عليه السلام لكونها قريبة، وعلى مقربة من هذا الطريق توجد المغارة التي شهدت حادثة الحشر إذ مات فيها النبي عزير مع حماره ثم بعثا من جديد بعد سنوات طويلة. والساحة الترابية الواقعة خلف الأسوار الجنوبية للمدينة تم احتلالها اليوم لتتحول إلى متنزه أوهل الأثري. والنوافذ الموجودة في الأسوار الجنوبية هي نوافذ مسجد مروان الذي يقع في الجزء الأسفل من المسجد الأقصى.

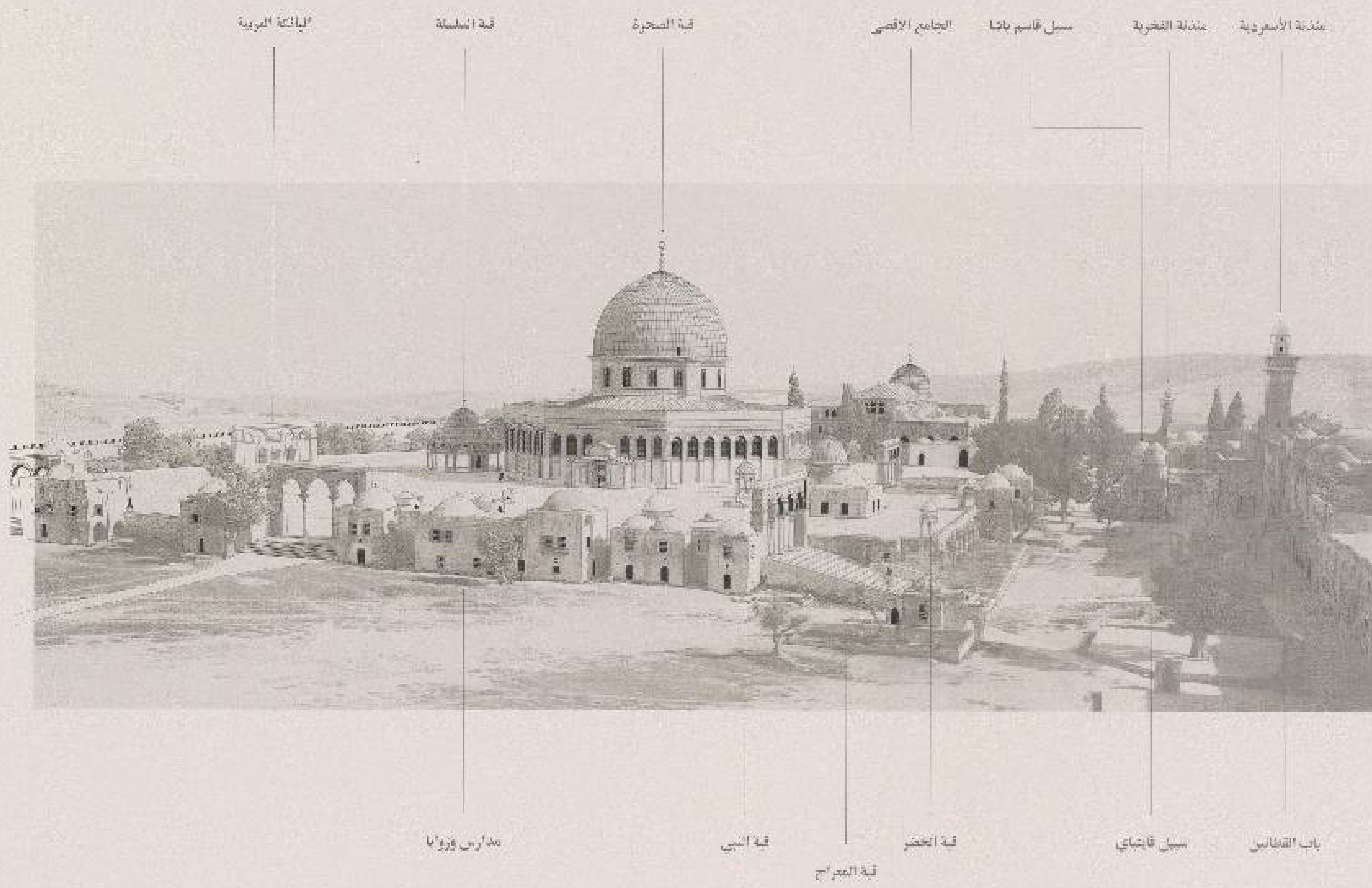




القسم الثاني

المسجد الأقصى

مضلع نجمي نقش على المدخل الشمالي للعمارة العامرة



مئذنة الأسعردية
مئذنة الفخرية
سبيل قاسم باشا
الجامع الأقصى
قبة الصخرة
قبة السلسلة
البائكة الغربية
باب القطانين
سبيل قايتباي
قبة الخضر
قبة المعراج
قبة النبي
مدارس وزوايا

« 022 | أين المسجد الأقصى؟

ورد اسم المسجد الأقصى في القرآن الكريم في سورة الإسراء: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأقصى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ». والمسجد في اللغة هو المكان الذي يُسجد عليه، والمسجد الأقصى ليس هو قبة الصخرة الظاهرة في مركز هذه الصورة ولا هو الجامع الأقصى الذي يقع جنوبها، بل يشمل جميع الساحة الظاهرة في الصورة ويضمها حوالي مائة مبنى ما بين صغير وكبير.







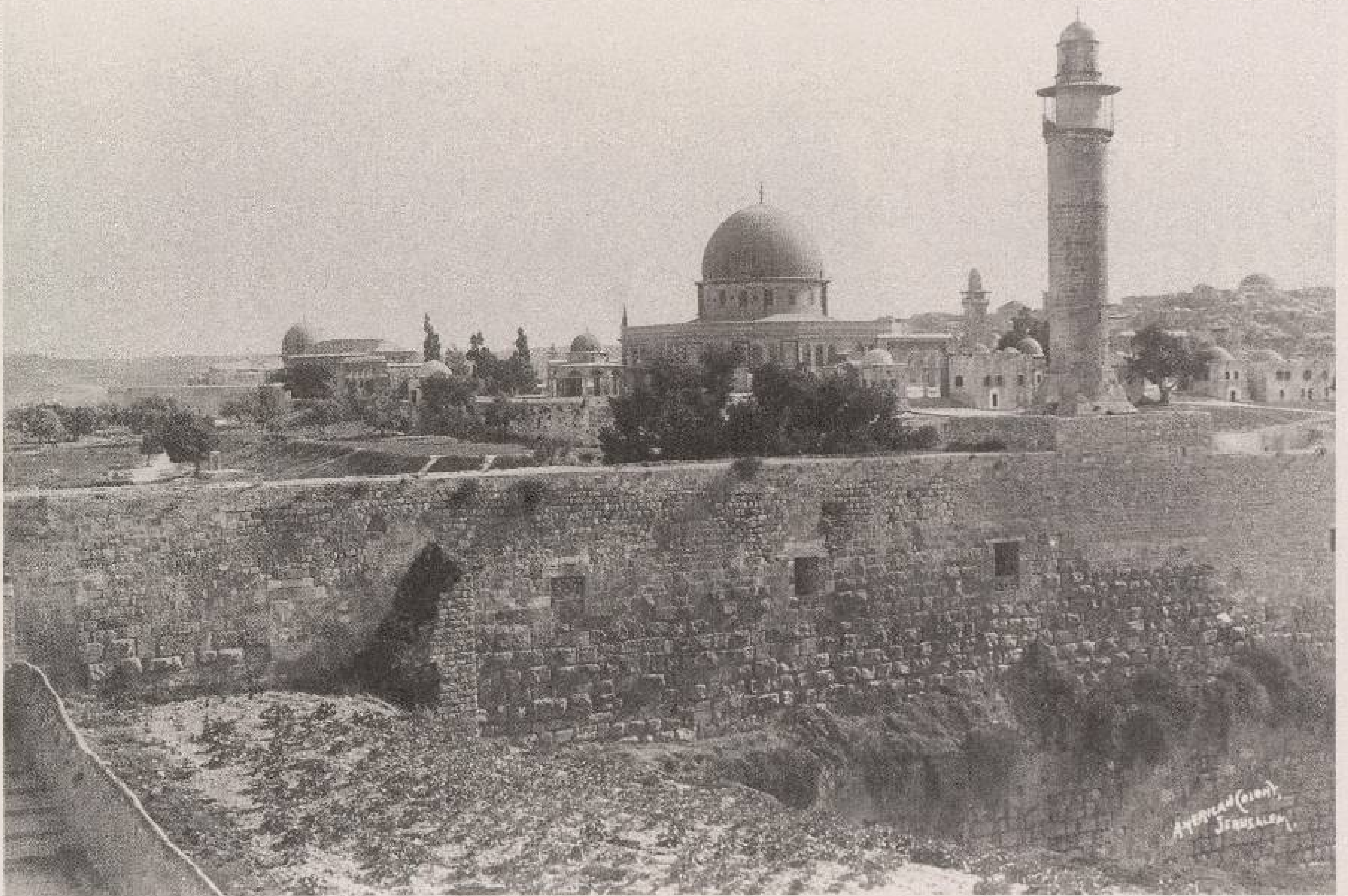


« 023 | قدسية عبر التاريخ

يقع مجمع المسجد الاقصى على تل يحظى بقدسية في الدين الاسلامي وذلك لقيام النبي (ص) بزيارته ليلة المعراج وصعوده منه الى السماء. غير ان هذا الحدث وكذلك المؤسسات الإسلامية التي اقيمت على هذا التل بعد هذا الحدث، يكن احتراماً للمقدسات العائدة إلى ما قبل هذا العصر. فقد استمر الاعتقاد بان بيت المقدس الذي أنشاه النبي سليمان يقع على هذا التل، كما ان هنالك اعتقاداً حول اقامة النبي عيسى في المعبد الثاني الكائن على هذا التل، وهذا الاعتقاد ساد عند المسلمين. وتعد قبة الصخرة التي اكتمل بناؤها في سنة ٦٩٥م كنصب تذكاري للتقاليد الإسلامية يوصل هذا الماضي بالمستقبل.

« 024 | قبة الصخرة داخل المسجد الأقصى

من الأخطاء الشائعة المتعلقة بالمسجد الاقصى هو اعتبار قبة الصخرة الذهبية او الجامع الاقصى الواقع إلى الجنوب منها بانها المسجد الأقصى؛ فالمسجد الأقصى عبارة عن مجمع يشتمل الى جانب هذين المبنيين سلسلة من المباني المختلفة كالمسجد والمصطبة والسبيل والزاوية والقبة وأراض فارغة؛ ولهذا فان المسجد الأقصى يحتل مكانا مساحته ١٤٤ دونم. والتقطت هذه الصورة من على مئذنة الغوانمة (برج انطونيا) الواقعة في الطرف الشمالي الغربي من المسجد الأقصى ويظهر فيها المسجد الأقصى بالكامل.



025 | قبة الصخرة والمسجد الأقصى من الشمال

التقطت هذه الصورة قبل سنة ١٩٠٥ من خارج الاسوار الشمالية للمسجد الأقصى وتظهر فيها مئذنة الاسباط وقبة الصخرة والمسجد الأقصى في اليسار، والبركة العميقة الظاهرة امام الجدران الشمالية وعلى الجزء الأيسر هي بقايا قناة مائية قديمة. وقامت سلطات الانتداب الانجليزية بطمرها في أواخر سنة ١٩٣١، وتحوّل موقعها إلى مواقف حديثة للسيارات. وكانت تستخدم كمخزن للمياه لساحة المعبد وذلك منذ العهود القديمة. ويرد اسم هذه البركة في المصادر القديمة بشكل «بركة بني اسرائيل» وفي الجزء الأيسر منها يوجد باب الأسباط وهو لا يظهر في الصورة. اما المئذنة الموجودة الى اليمين فقد اطلق عليها اسم مئذنة الأسباط.



026 | منصة القباب للمسجد الأقصى

يتكون المسجد الأقصى من منصتين، احداهما أكثر ارتفاعاً لعلوها قبة الصخرة التي تتلألأ اليوم بقبتها الذهبية. وهذه الصورة التقطت من الركن الشمالي الغربي من منصة قبة الصخرة ويظهر فيها الجزء الشمالي من قبة الصخرة، وقبة السلسلة الى اليسار وقبة المعراج إلى اليمين. ويتميز الباب الشمالي لقبة الصخرة عن الأبواب الثلاثة الأخرى ولهذا سمي باسم خاص وهو : باب الجنة.



027 | قبة الصخرة من الجنوب

التقطت هذه الصورة من مدخل الجامع الأقصى ويظهر فيها الباب القبلي لقبة الصخرة والقناطر، ويقع بين المبتيين الكأس (الشادروان). وتم تخفيض مستوى الكأس (الشادروان) ليكون في مستوى قناة السلطان التي لتقل المياه إلى المسجد الأقصى. ويُعد هذا الكأس اقدم كأس في المسجد الأقصى، ولم يخطط في البداية ليكون الماء فيه جاريا لكون القسم الأعظم من الاهالي على المذهب الشافعي؛ فالمعروف ان هذا المذهب يجيز الوضوء من الماء غير الجاري. وفي الوقت الذي اقيم شادروان قاسم باشا في المسجد الأقصى في العهد العثماني تمت تسميته بالشادروان الحنفي.



028 | قبة الصخرة من الشرق

قبة الصخرة عبارة عن قبة عميقة إلى حد ما أقيمت على بناء مثمن الشكل، وتوجد أبواب في أربعة أضلاع من أضلاعها الثمانية. وترتكز قبة الصخرة على رقبة مستديرة تستند إلى رواق مستدير محمولة على أربعة أركان واثني عشر عمودا. والتقطت هذه الصورة من جوار باب التوبة والرحمة الثائر إلى الشرق من قبة الصخرة، وتظهر فيها قبة السلسلة بين البائكة الشرقية وقبة الصخرة.



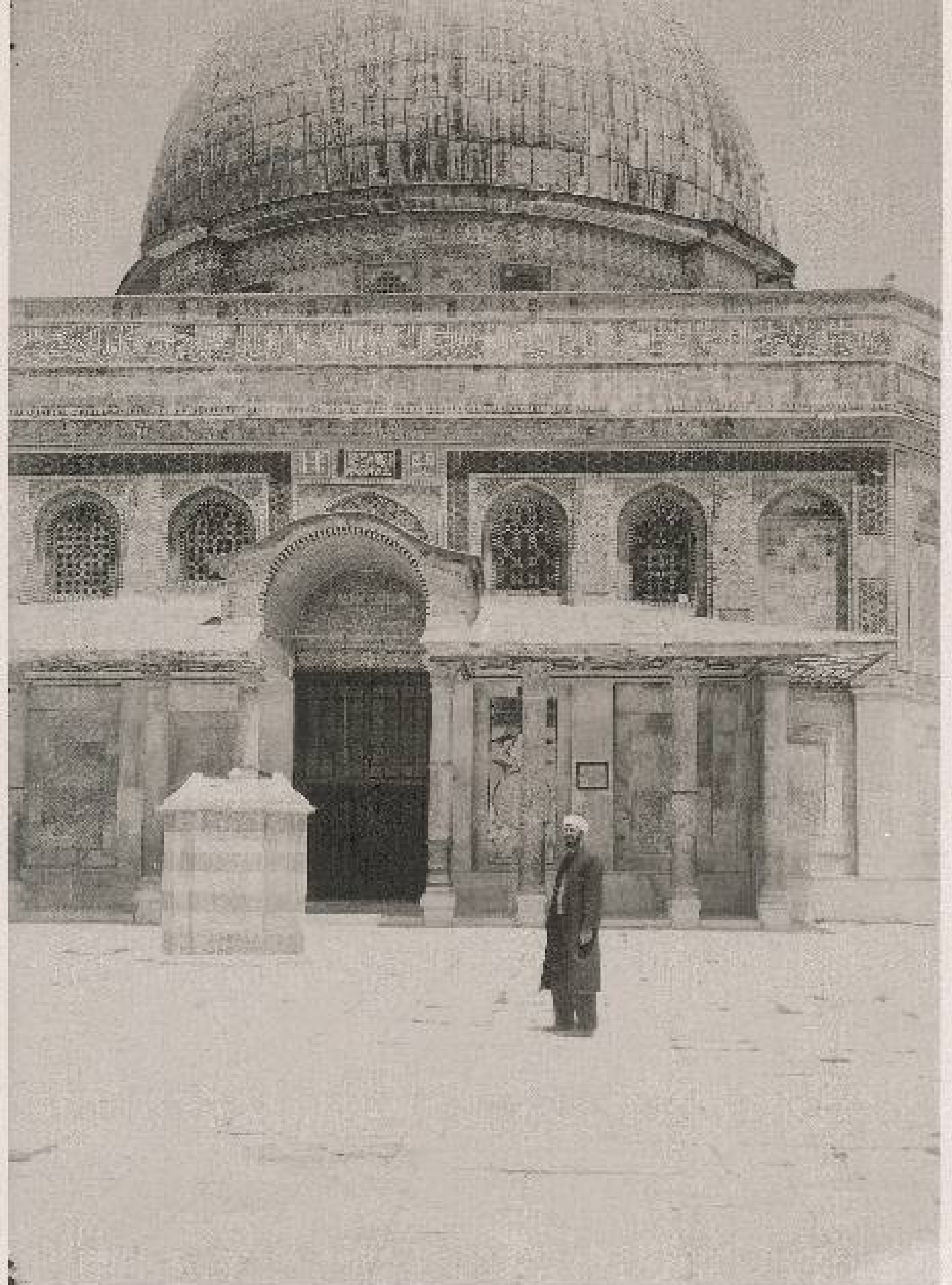


029 | الختم العثماني لقبة الصخرة

تعد قبة الصخرة أقدم مبنى إسلامي باقٍ حتى اليوم، ولم تهدم هيئتها إلا مرة واحدة عبر العصور أما المبنى فقد نجح في البقاء صامداً ولكن في عهد السلطان سليمان القانوني تم إكساء الأجزاء الظاهرية من المبنى بالبلاط القاشاني الأزرق وتزيينه بخطوط جميلة، وكان المبنى مكسواً قبل عهد القانوني بالفسيفساء على الطراز البيزنطي فأمر القانوني بكسائه بالرخام وبارتفاع أكثر من قامة إنسان ثم بالبلاط الأزرق، وتدخل النوافذ الزجاجية الملونة لقبة الصخرة ضمن التجديدات التي أجراها العثمانيون على المبنى.

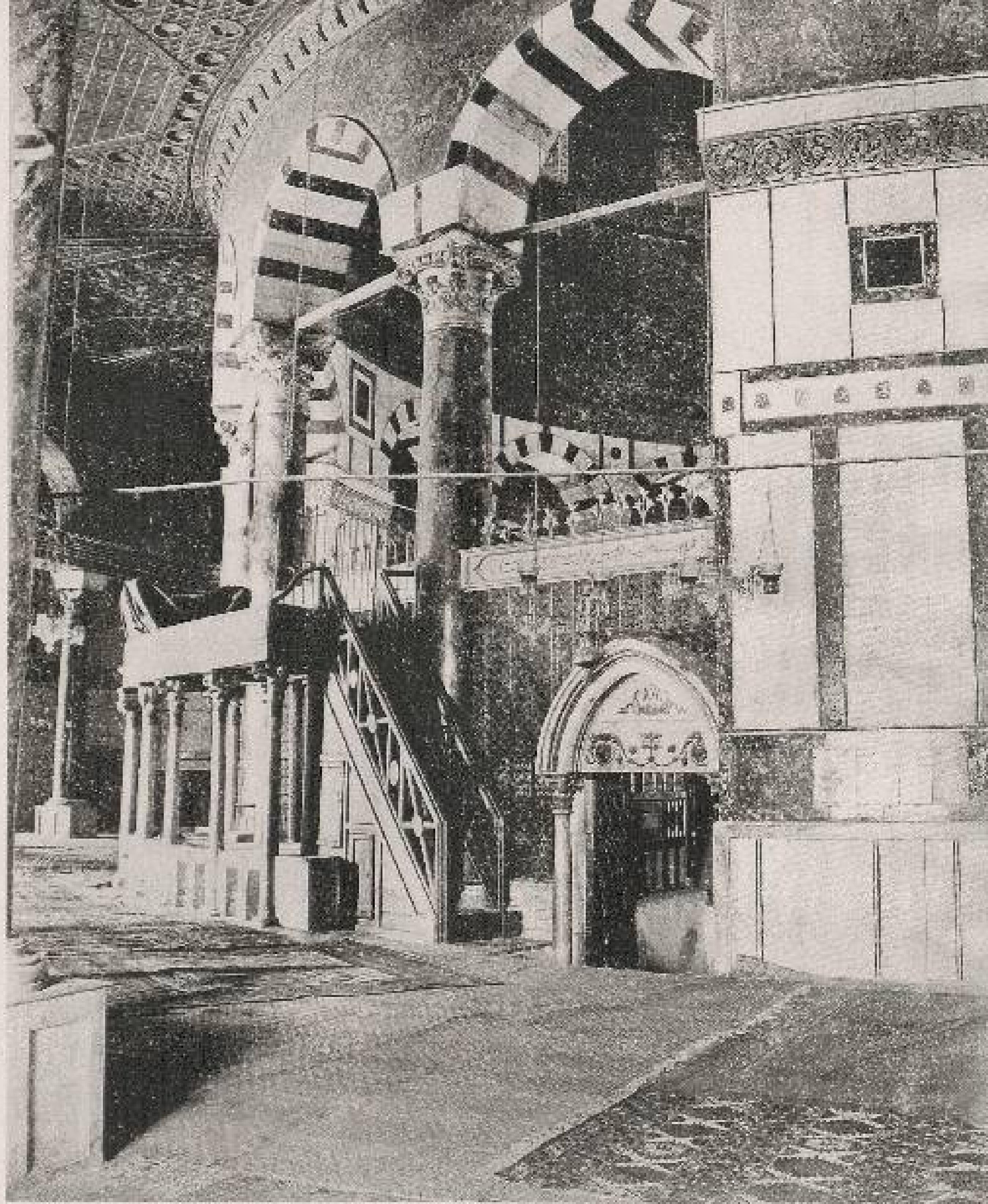
030 | المسجد الأقصى قبيل احتفالات النبي موسى

يتجمع المسلمون من سكان فلسطين في المسجد الأقصى مرة كل سنة، ثم يسيرون نحو قبر النبي موسى بالقرب من أريحا حيث تقام الاحتفالات على مدى أسبوع، ويروى أن أول من أقام هذه الاحتفالات هو صلاح الدين الأيوبي وذلك بغية التصدي للمسيحيين القادمين لأجل الحج والذين كانوا يسعون للهيمنة على ثقافة المدينة، ولهذا فإن احتفالات النبي موسى كانت تقام قبل أسبوع من عيد الأضحى. واستمرت هذه الاحتفالات حتى سنة [illegible] حيث منعتها سلطات الانتداب الانجليزية إثر التصادم الفلسطيني اليهودي، وتبدو في الصورة الحشود المتجمعة في المسجد الأقصى بمناسبة احتفالات النبي موسى.



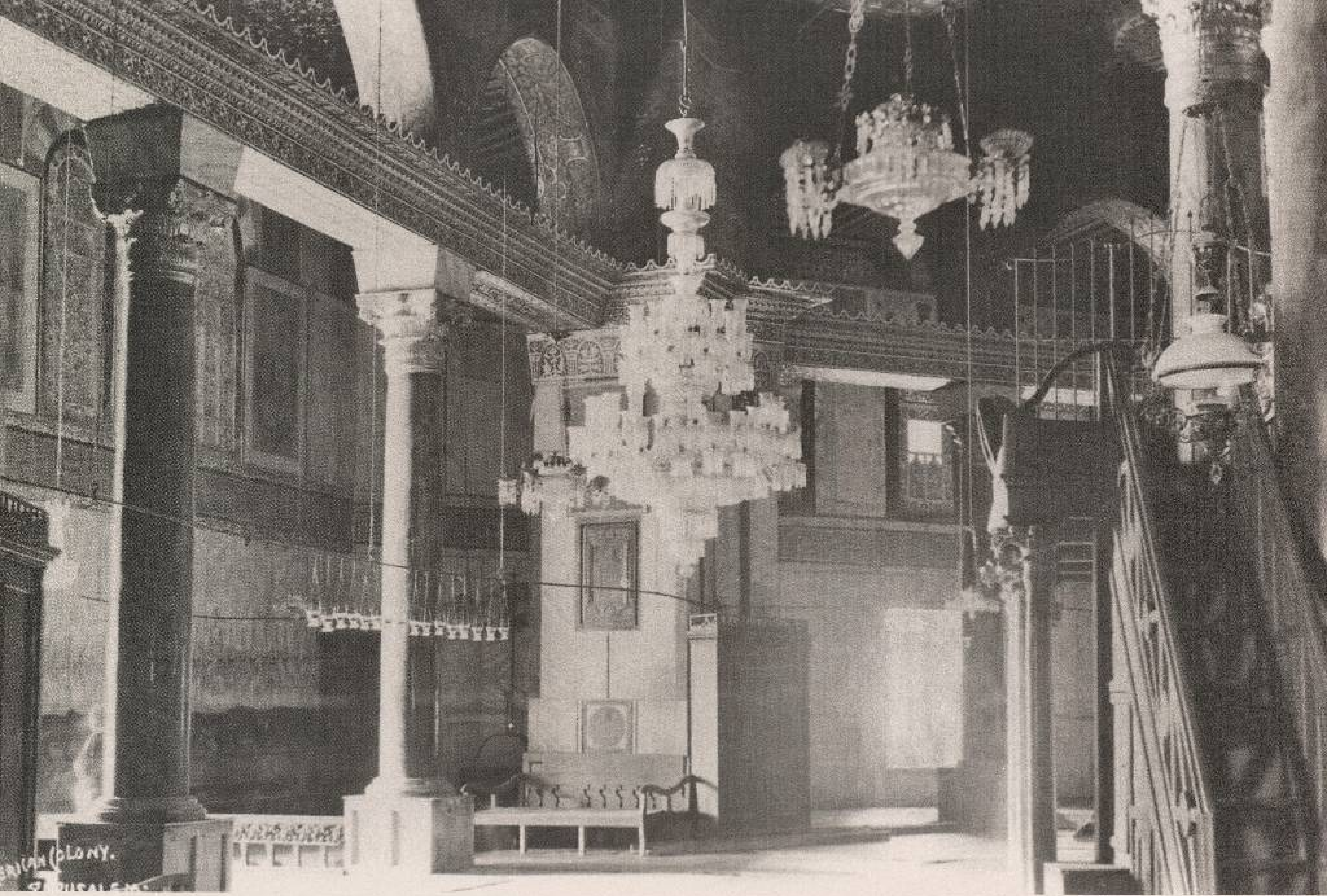
« 031 | قبة الصخرة من الباب القبلي

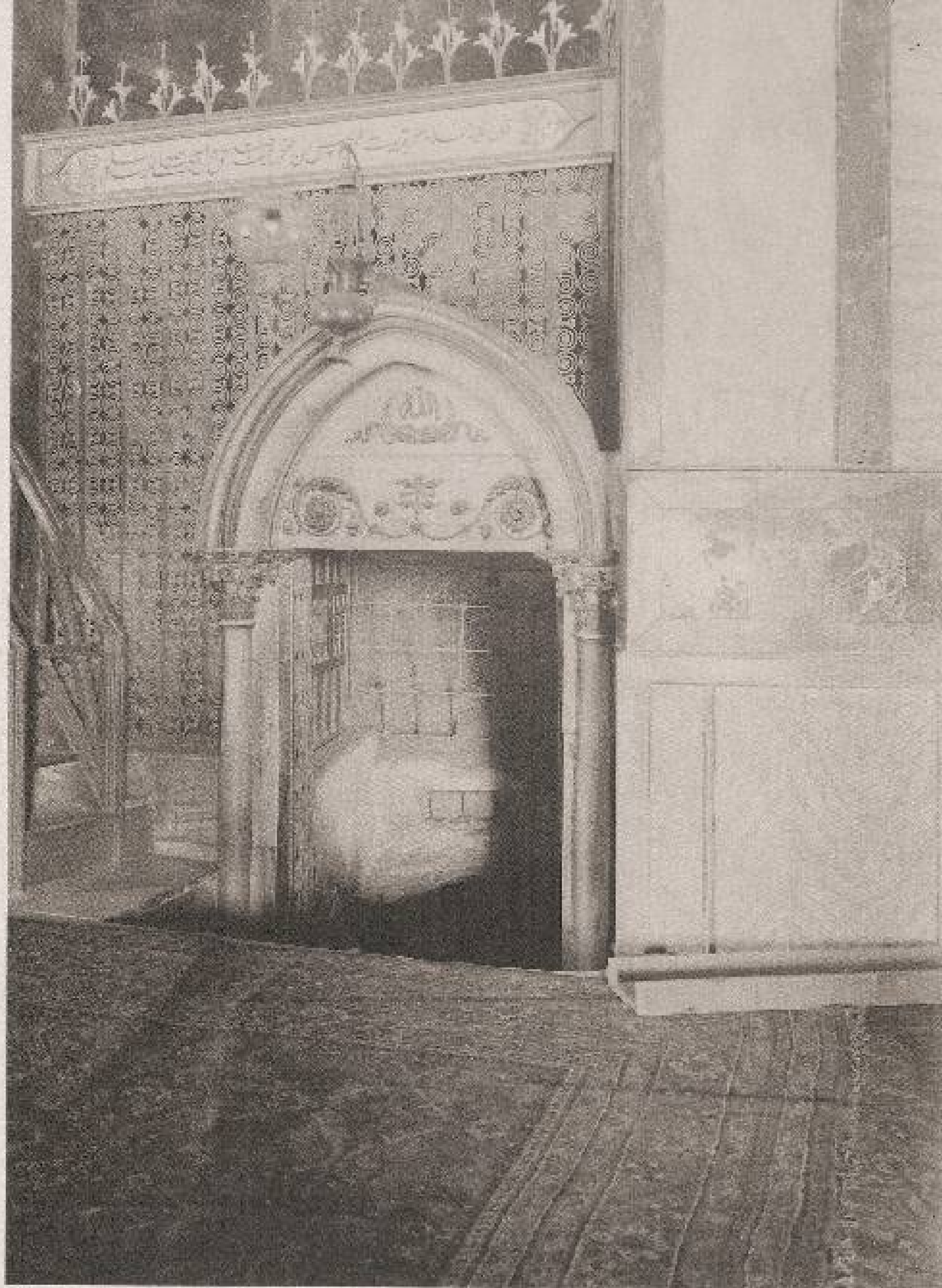
عندما بنى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قبة الصخرة لم يخطط له أن يكون المبنى جامعاً، بل معبداً على الصخرة المعلقة ونصباً يعكس بكتاباته عقيدة التوحيد، ولهذا لا يوجد فيها محراب او منبر، وعند الصلاة كان المصلون يتبعون الامام الذي يؤم المصلين في المسجد الاقصى. وسادت قناعة في العهد العثماني بان قبة الصخرة تتمتع بقدسية كبيرة ولهذا تم وضع محراب امام الباب القبلي بغية اقامة الصلاة فيها، وازيل هذا المحراب الى جانب اشباه المسقوف الموجودة أمام الأبواب وذلك عند اجراء التعديلات فيها سنة 1923.



032 | سُلّم على عتبة المعراج

قبة الصخرة عبارة عن بناء مثمن اقيم على عمودين دائريين ويضم في مركزه الصخرة المعلقة، وقد قام الصليبيون بتحويلها الى كنيسة اطلقوا عليها اسم Templum Domini (أي معبد الرب). وفي هذا العهد بدأ الحجاج المسيحيون بقطع اجزاء من الصخرة المقدسة واخذها إلى بيوتهم للتبرك بها، ولهذا قام الصليبيون باحاطة الصخرة المعلقة بسياج حديدي مرتفع بغية منع تكسيرها. وبقي هذا السياج حتى عهد السلطان عبدالحميد الثاني حيث ازيل، كما ازيل السلم الذي اقيم لمشاهدة الصخرة من الاعلى. اما الباب الذي يظهر في الصورة وعلى الجهة اليمنى من السلم فقد اقيم على مدخل المغارة الموجودة تحت الصخرة المعلقة، ويعتقد ان هذه المغارة هي المكان الذي التقى فيه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ببعض الانبياء الذين بُعثوا قبله وذلك ليلة المعراج.


COLONY.



٧ 033 | ثريا السلطان عبدالحميد الثاني

أولى السلطان العثماني عبدالحميد الثاني اهتماماً بالقدس وعلى وجه الخصوص بقبة الصخرة، فقد أهدى سجاداً لقبة الصخرة اشتراه من ماله الخاص، كما أهدى الثريا الظاهرة في الصورة لإنارة المبنى، وأقام محراباً في الجهة الشمالية الشرقية من الصخرة المعلقة وسماه محراب فاطمة تيمناً باسم فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص). وما زالت ثريا السلطان عبدالحميد باقية في الجامع الأقصى.

٥ 034 | المغارة الموجودة تحت الصخرة المعلقة

ما زال النزول إلى المغارة الموجودة تحت الصخرة المعلقة يتم من هذا الباب، وقد ورد في الروايات المتعلقة بحادثة المعراج أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم عرج من فوقها للسماء ليلة الإسراء والمعراج، وأطلق الأهالي على هذه المغارة اسم «مغارة الأرواح» ويوجد باب في قاعدة المغارة، ويعتقد أنه يؤدي إلى عالم البرزخ، والحقيقة توجد بئر في قاعدة المغارة وقد تم وضع الختم عليها، وهي عبارة عن معبر يؤدي إلى مغارة ثانية تقع أسفل هذه المغارة، وقد سدت فتحة البئر بالاسمنت في أواخر العهد العثماني لازدياد الخرافات الشائعة حول البئر.

15,020. P. Z. - JÉRUSALEM.
INTÉRIEUR DE LA MOSQUÉE D'OMAR.

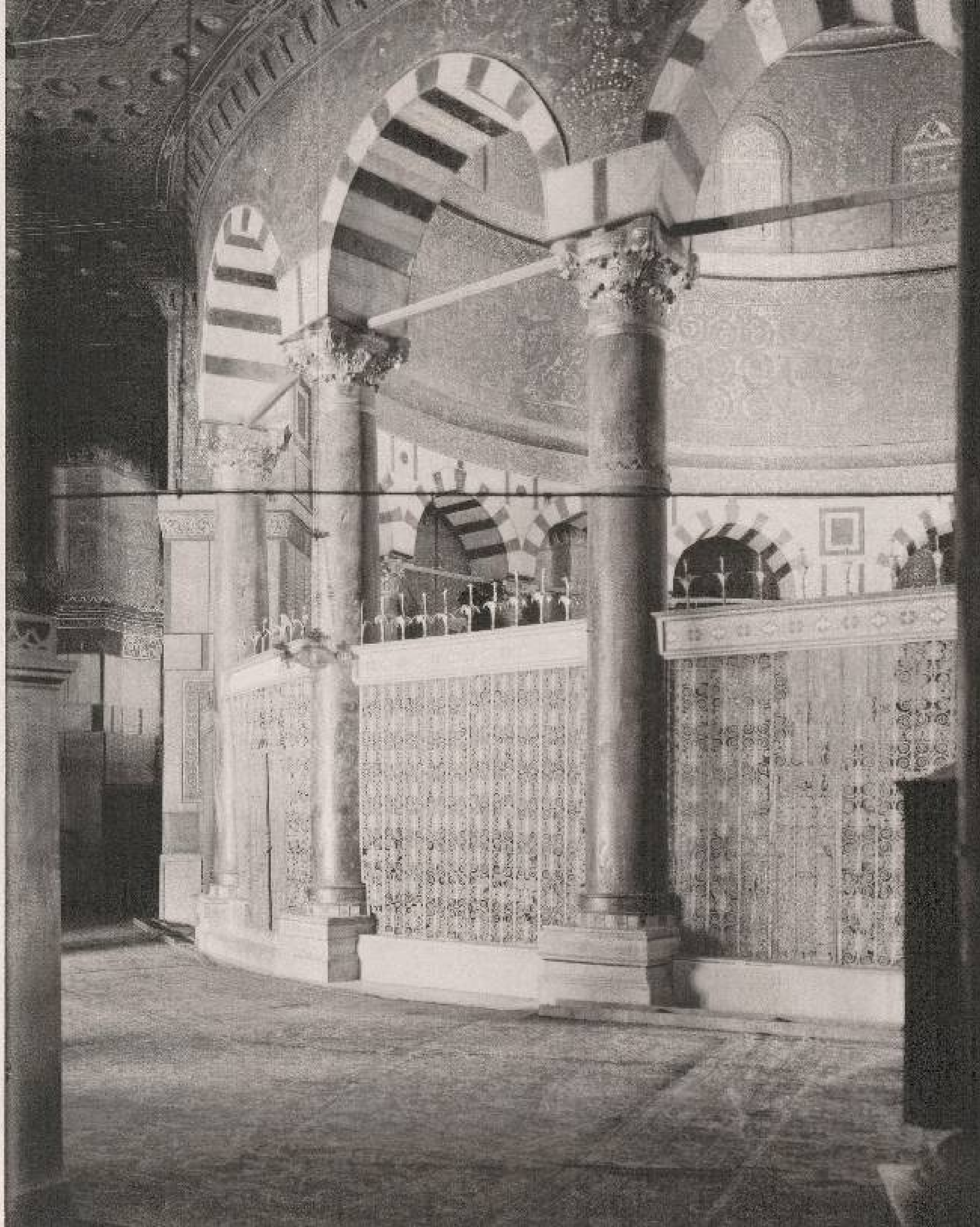


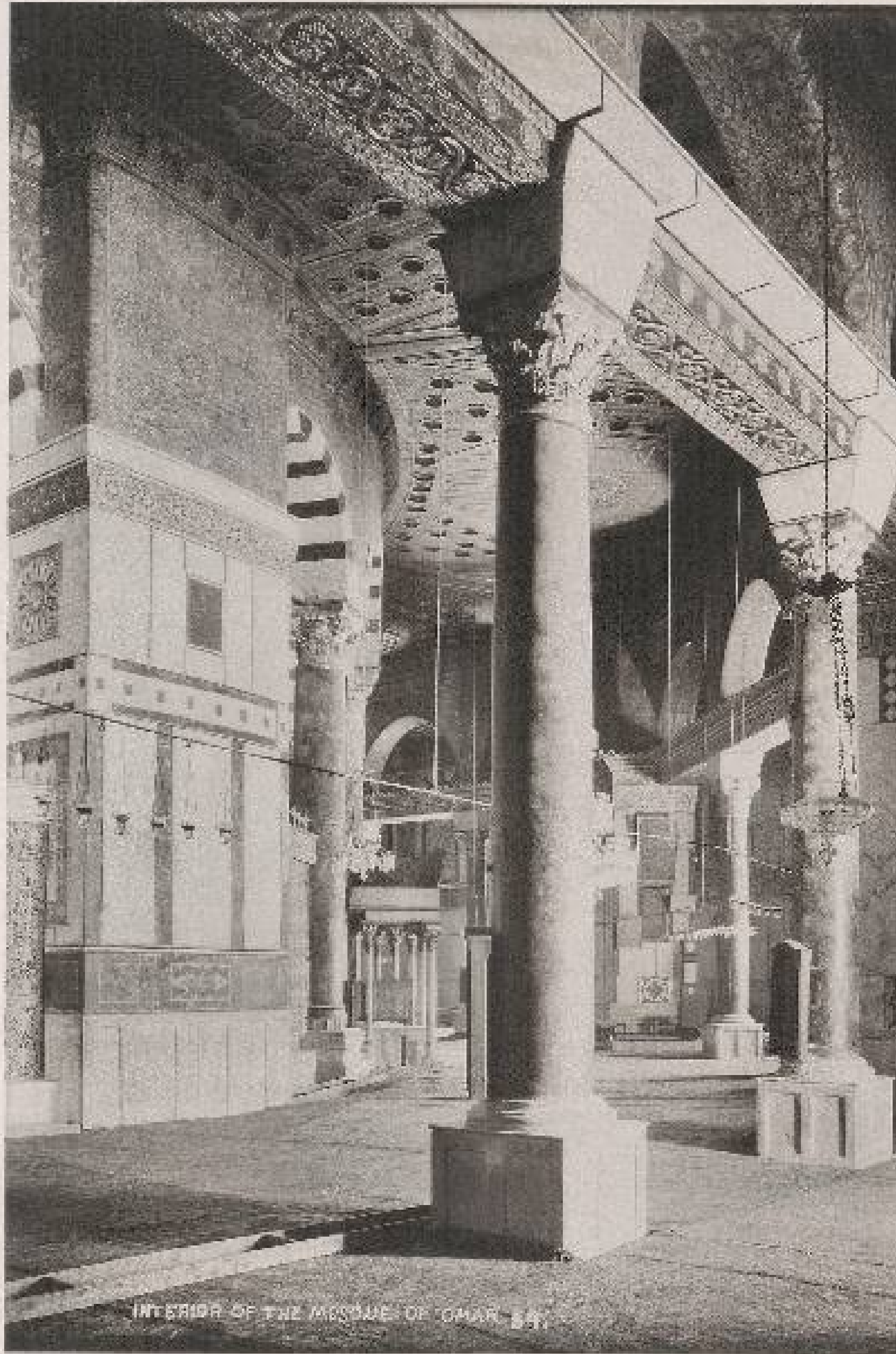
035 « | الصخرة الناطقة، المعبد الناطق

هناك اعتقاد ساد الى جانب المعتقدات المتعلقة بالصخرة المعلقة بانها ادت التحية للنبي (ص) ليلة المعراج وانها ستحيي ايضا الحجر الأسود عند جلبه من مكة يوم القيامة. والحقيقة التي تهمنا هنا ان هذه الصخرة شهدت حادثة المعراج، ولهذا فلا داعي لاعتقاد آخر ينسب القدسية لهذه الصخرة التي تجول النبي فوقها وتحتها وحولها.

036 « | صخرة التأسيس والازدهار

التقطت هذه الصورة من نافذة على ازجل قبة الصخرة ويظهر فيها الشكل غير المتغير للصخرة المعلقة منذ قرون. والمحفظة الظاهرة في الجهة العليا اليمنى من الصورة والتي تبدو وكأنها مندثة: هي محفظة اللحية الشريفة التي اهداها السلطان العثماني احمد الثالث إلى قبة الصخرة، والفتحة الظاهرة في الجهة اليسرى من الصخرة المعلقة هي نوع من فتحات المجاري المستخدمة في العصور القديمة حيث كانت دماء الأضحية المقدمة لبيت المقدس والتي تذبح على الصخرة تسيل منها الى المغارة السفلى. ويستخدم هذه الفتحة اليوم لايصال مصباح الاضاءة المعلق في القبة حتى المغارة السفلى.





037 » | القمة المبكرة لفن الزخرفة الإسلامي

من الممكن أن ينظر إلى التزيين الداخلي لقبة الصخرة باعتباره القمة التي وصل إليه فن الزخرفة الإسلامي في عهده المبكر. فعندما اكتمل بناؤها في سنة ٦٩١م كان في وضع يعد رائعة من روائع العمارة الإسلامية وذلك بفضل أعمدتها الرخامية وبنية قبتها ورواقها ورؤوس أعمدتها وقواعد أعمدتها المبنية على شكل أرجل الفيل. أما الفسيفساء المستخدم في تزيين الواجهات الخارجية فلم يتم تبنيه من قبل المعماريين المسلمين، فاستبدل فيما بعد من قبل العثمانيين بالبلاط القاشاني. أما الزخارف الموجودة في داخل القبة وأعمدة الأقواس فتمت المحافظة عليها بكل تفاصيلها. وتم بناء قبة الصخرة على بناء مثمن يحيط بالصخرة الموجودة في المركز. وقد أدى هذا إلى ظهور صفين من الأعمدة الدائرية وإتاح الالتفاف حول الصخرة المعلقة. وقام الرحالة المسيحيون واليهود بزيارة المبنى في العصور المبكرة وذكروا أن المسلمين يقومون بالطواف حول الصخرة المعلقة وأن الأمويين بنوا المبنى ليكون بديلاً للكعبة، ولكن وكما يذكر رَبّ جنبي في رحلته أن المسلمين كانوا يقومون في تلك الفترة بالطواف حول الصخرة بقصد الزيارة ولكن على عكس اتجاه الطواف في الكعبة أي أنهم يضعون الصخرة في يمينهم عند الطواف. والمعروف أن هناك روايات تذكر أن هذا الأمر قد تحقق بالذات في عهد الخليفة عمر الذي أدخل القدس في حظيرة الدولة العثمانية.

038 » | في محيط الصخرة المعلقة

تروي الصخرة المعلقة وكذلك المعبد الكائن حولها قصصاً من الآخرين للناس. وهذه الصورة التي التقطت في الثمانينات الأخيرة من القرن التاسع عشر تعكس قصة بناء قبة الصخرة بعمق قبتها وبعدد أبوابها وأعمدتها ونوافذها والخشب المستخدم فيه وبالأشكال الواردة فيه وباختيارها من الأشجار والنباتات المذكورة في القرآن الكريم.





039 « | الجامع الأقصى: أجمل مسجد في أبعد مكان

هذا المسجد الذي يذكره القرآن الكريم تحت اسم المسجد الأقصى كان يشكل مركزاً للحياة الاجتماعية والتجارية وحتى الدبلوماسية في القدس. والأقصى تعني في العربية «الأجمل» و«الأبعد». وقد حظي باهتمام رجالات الدولة العثمانية على مر التاريخ العثماني فذهبوا إلى تجميل هذا المسجد البعيد. وهذه الصورة التقطت بين سنتي 1898 - 1914 وتظهر فيها البائكة الواقعة جنوب قبة الصخرة وقد تزينت. كما تم وضع سياج حديدي للكأس الواقع أمام المسجد الأقصى. وقد أجريت في المسجد الأقصى تعديلات أساسية اثر زيارة القيصر الألماني ويلهلم الثاني للقدس سنة 1898م فالأقواس الحجرية للبائكة تم طلاؤها وتزيينها بزخارف هندسية.

040 « | نظرة إلى الجامع الأقصى من الشمال

من يخرج اليوم من الباب القبلي لقبة الصخرة ويتوجه نحو الجنوب يمكنه أن يرى هذه المنظرة. وكانت مساحة الجامع الأقصى عند البناء ضعف ما هو عليها اليوم. فصف الأعمدة الموجودة إلى جانبي صفي الأعمدة المركزية تم تقليصها في العهد العباسي مما أدى إلى تقليص مساحة المبنى إلى النصف تقريباً. وكانت هناك مجموعة من المباني الصغيرة والكبيرة في الطرف الشرقي من المبنى وقد استمرت حتى الأدوار الأخيرة للدولة العثمانية. وأزيلت هذه المباني أثناء التعديلات فأمنت للمبنى بنية متناظرة. فالجدار الظاهر في الركن الأيسر من الصورة والمستمر بعد صف الأعمدة الأخيرة كان ضمن الأبنية المتهدمة.





« 041 | أقدم الصور للجامع الأقصى

التقطت هذه الصورة من الجهة الجنوبية الشرقية لمنصة قبة الصخرة وتحمل توقيع فرانسيس فريث الذي كان في القدس بين سنتي 1856-1860م وآلات التصوير التي كانت تستخدم في هذه الفترة لم تكن تتضمن نظام الإغلاق، ولم تكن أفلام آلات التصوير حساسة بدرجة كافية للضوء ولهذا فإن الآلات كانت تبقى مفتوحة لمدة طويلة، وكان المصورون لا يحبذون العناصر المتحركة، فكانوا ينتظرون الأوقات التي يكون الجو فيها هادئا ولا أثر لهبوب الرياح، ويطلب من الأشخاص الذين يتم تصويرهم البقاء لدقائق دون تحرك، ولهذا السبب تكاد لا ترى حيوانات في الصور العائدة لهذه الفترة؛ فالبقاء دون حركة قضية نسبية.

« 042 | الجامع الأقصى بعد حوالي عشر سنين

التقط بيتر بيرگهيم هذه الصورة بعد حوالي عشر سنوات من فرانسيس فريث وأصبح ضحية تصوير المشاهد غير المتحركة، ويظهر في مركز الصورة بئر ماء وعلى رأسها شخصان ولم يظهر الجزء العلوي لأحدهما بسبب تحركه أثناء التقاط الصورة. وقد دفع هذا الأمر المصورين إلى استخدام آلات متخصصة أو البحث عن أماكن تخلو من الأشخاص، ويبدو أن هذه التفصيلات لم تؤخذ بنظر الاعتبار عند إجراء الدراسات في العصر الحديث مما أدى إلى بروز قناعات خاطئة عن كون القدس مدينة متروكة حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر حيث بدأت الهجرات اليهودية إلى فلسطين.





043 | تسامح بين الأعمدة

عندما سيطر الصليبيون على القدس حوّلوا الجامع الأقصى الى كنيسة، وحوّل المبنى إلى قصر لاقامة الملك فترة من الزمن ثم نُقله الى اتباع طريقة فرسان المعبد الدينية بعد أن ازدادت قوتهم في القدس، وقام الفرسان باستخدام جزء من المبنى كاسطبل لفرسهم، وجعلوا من الجزء الآخر معبداً لإقامة طقوسهم التي لمْ تبنيها فيما بعد من قبل المنظمات الماسونية، وفي هذه المرحلة قام الصليبيون بعمل بعض الزخارف على الجدران، وتمت المحافظة على هذه الزخارف بعد اعادة دخول القدس ضمن الأراضي الإسلامية او اجريت بعض التعديلات الصغيرة عليها ولم يفكر أحد من الحكام المسلمين بعد العهد الصليبي بتغيير هذه الرسوم. كما تمت المحافظة على هذه الرسوم في مرحلة الانتداب الانجليزي واستمرت حتى التعديلات التي بوشر بها سنة ١٩٢٦-١٩٢٤، وحل اليوم محلها إشكال نباتية واغصان واوراق الاشجار التي نجدها عادة في العمارة الاسلامية.

044 | الأعمال الخشبية لجامع الأقصى

إن الاعمال الخشبية لجامع الأقصى في العصر العثماني هي اعمال بسيطة ولم تنفيذها على خشب الابانوز الأسود اللبناني، والاخشاب المستخدمة في العوارض التي تربط السقف بالأعمدة تمت تغطيتها اليوم بزخارف تطغى عليها الوان الازرق والأخضر والصفراء الذهبية. وبهذا الشكل تشبه العمارة الداخلية للجامع الأقصى بقبة الصخرة.



Mosque El-Aksa 26 Mosquée el-Aksa.

045 » | الجناح المتهدم من الجامع الأقصى

التقطت هذه الصورة بعد زيارة القيصر ويلهلم الثاني في سنة ١٨٩٨ مباشرة، وهي تعود إلى مرحلة تطورت فيها أفلام التصوير، وفي المراحل السابقة كانت الأغصان المتحركة أثناء التصوير تختفي، كما أن التفاصيل الدقيقة لأوراق الأشجار تمسح باليد خلال طبع الصور فتظهر رسوم الأشجار كأنها أضيفت إلى الصور فيما بعد، وتعود هذه الصورة إلى المرحلة التي لم يعد يختفي فيها الناس المتحركون وتفاصيل الأغصان. والمبنى الواقع في الجناح الشرقي من الجامع الأقصى والظاهر بين الأشجار في الجانب الأيسر من الصورة لم يبق له وجود. وفي المرحلة الأولى من بناء الجامع الأقصى كان هناك بناء ملحق مثل هذا وذلك في الجناح الغربي. ويحتل الجامع الأقصى اليوم مكانا صغيرا مما كان يغطيه بالكامل على مدى التاريخ.

046 » | منبر نور الدين زنكي

هذا المنبر أمر ببنائه ووضعه في الجامع الأقصى بعد فتح القدس نور الدين زنكي الذي تولى الحكم قبل صلاح الدين الأيوبي. وقد بقي هناك حتى سنة 1969م وأصبح منار إعجاب زوار الجامع الأقصى. وسعى المنبر بوجوده إلى التأكيد على أن القدس ستبقى مدينة إسلامية. ويعد هذا المنبر تحفة فنية وذلك بفضل صناعته بتركيب القطع بعضها ببعض بالتعشيق ودون استخدام المسامير. غير أن هذا المنبر تعرض إلى حريق في سنة 1969 إثر قيام أحد المتطرفين اليهود بإضرام النار في الجامع الأقصى. وبعد مرور 37 سنة أعيد صنع المنبر من قبل فريق عمل شكل الأتراك القسم الأكبر منهم وأعيد إلى مكانه الأصلي. وعمل رئيس المعلمين حسن ارجان التركي على مدى ثلاث سنوات في عمل المنبر وذلك في أكاديمية الفنون الجميلة بالأردن حيث أعيد بناؤه. والتقطت هذه الصورة من قبل ميسون بونفلس البيروتي بين سنتي 1867 - 1893 وأصبحت إحدى الصور التي استعينت بها عند إعادة عمل المنبر. وتعتبر عائلة بونفلس من المصورين الأوائل الذين أضافوا الاصفرار إلى الصور عند طبعها. وتعد هذه الصورة من أولى الصور التي تعطي انطباعا عن التلوين.

862. Jerusalem. Détails intérieurs de la mosquée El Aksa — Bonfils

٠٤٧ | الجامع الأقصى بعد العصر العثماني

التقطت هذه الصورة لمنبر الجامع الأقصى ومحرابه في السنوات الأخيرة من الحكم العثماني؛ وهي تظهر الترميم الذي جرى بين سنتي ١٨٧٤ - ١٨٧٥ لشكل وحوية عناصر الزخارف. كما تظهر أن الأعمال المنفذة على الخشب قد تمت المحافظة عليها مثلما كانت في العهد الصليبي. وقد استخدم شكل الزهرة الذي يشكل رمزاً لطريقة فرسان المعبد في الأعمال الزجاجية بالقسم العلوي من المحراب.



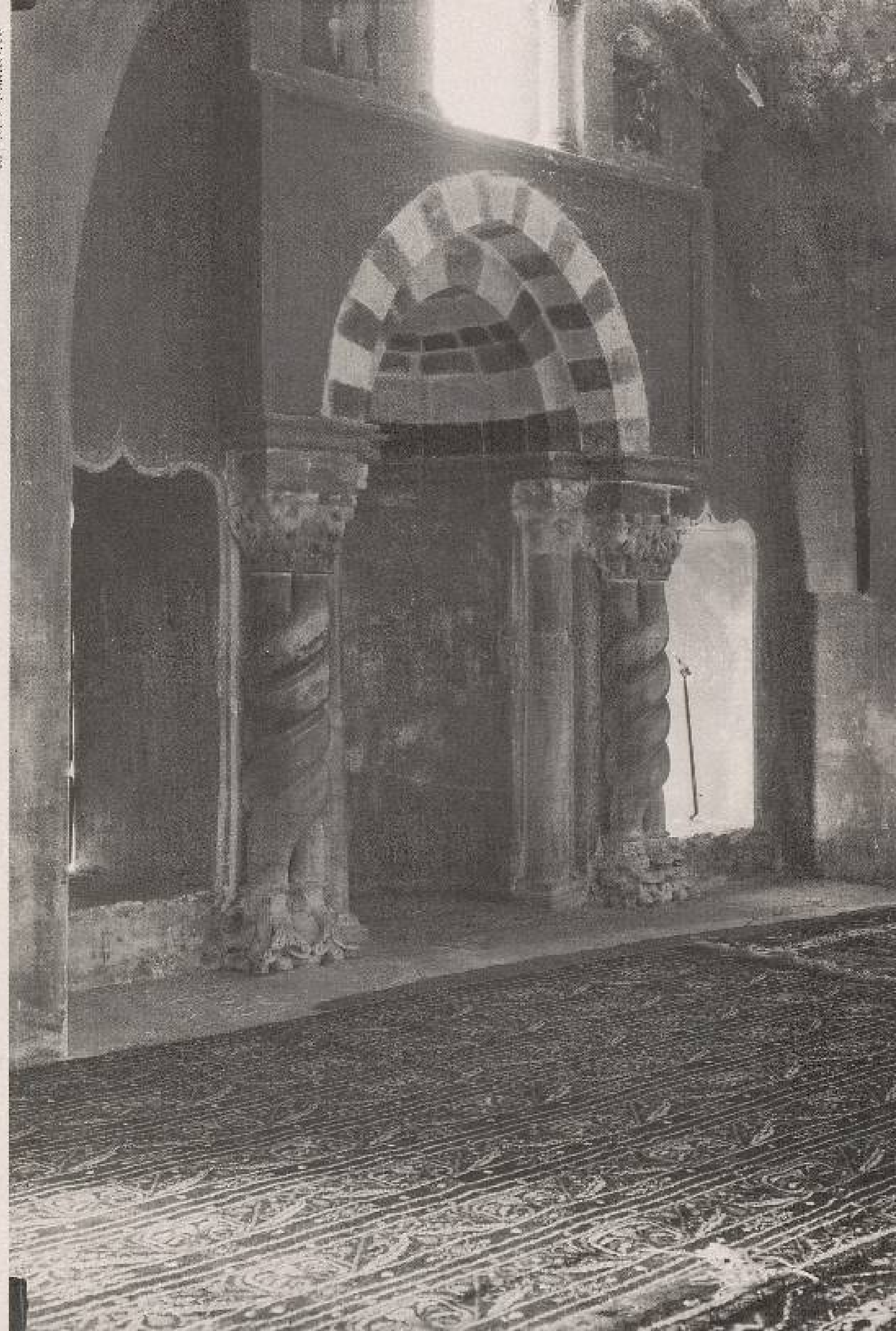


048 | أشكال جديدة في العمارة الإسلامية

وبالمقابل نلاحظ في هذه الصورة التي التقطت بعد سنة ١٩٢٠ أن الأشكال الموجودة على الخشب قد تم تحويلها إلى أشكال نباتية وهندسية وهي ما نجده في العمارة الإسلامية. والعلم الموجود على رأس منبر نور الدين زنكي قد أزيل ربما لاظهار الأشكال الجديدة أكثر وضوحا.

049 | محراب زكريا

محراب زكريا هو المحراب الذي سمي بهذا الاسم نسبة إلى المحراب الكائن عند الغرفة التي أمضت فيها السيدة مريم العذراء حياته عندما كانت صغيرة، والقصة هذه ورد ذكرها في القرآن الكريم/ سورة آل عمران. ويرى بعض المختصين بتاريخ القدس أن محراب زكريا ليس هو المحراب الموجود في الجامع الاقصى والواقع إلى يسار صف الأعمدة المركزية، بل هو المحراب الكائن في مبنى الأقصى القديم الواقع تحت الجامع الأقصى. وكما يظهر في هذه الصورة التي التقطت بين سنتي 1910 - 1917 فإن محراب زكريا بني على غرار العناصر المعمارية المستوحاة من الأبنية المسيحية القديمة، فشكل فم الأسد المستخدم على رؤوس الأعمدة وشكل الزهرة الظاهرة على قمة تجويف المحراب هما من الأشكال غير المستخدمة في فن العمارة الإسلامية. وهناك احتمال قوي أن المحراب كان موجودا في المسجد الصغير المسمى فيه المعرفة التي تم هدمها في أواخر العصر العثماني، وليس في المكان الموجود فيه حاليا. وكانت قبة المعرفة تقع في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد الأقصى. وورد في المصادر المكتوبة خلال مراحل التاريخ الاسلامي أنه كان يوجد فيه محراب يسمى محراب زكريا، وهذا الأمر ينسجم مع محراب زكريا والأماكن الواردة في القرآن الكريم والمتعلقة بغرفة السيدة مريم العذراء الكائنة فوق المحراب.





» 050 | المحراب القديم في الجامع الأقصى

هذا المحراب الكائن في الجامع الأقصى استخدمت في بنائه عناصر من المرحلتين البيزنطية والصليبية. والمكان الموجود فيه هذا المحراب القديم هو الغرفة الصغيرة الكائنة قرب الجامع العمري وليس الجامع الأقصى.





051 | مئذنة الغوانمة من البائكة الغربية

التقطت هذه الصورة قبل التعديلات التي اجريت قبيل زيارة القيصر ويلهلم الثاني سنة ١٨٩٨م وجعلت من أعمدة البائكة الواقعة إلى الجزء الشمالي الغربي من منصة قبة الصخرة إطاراً لمئذنة الغوانمة، ووقع اللبس بين هذه المئذنة وبرج انطونيا الواقع قربها عند الكثير من المصورين الغربيين.

052 | مئذنة الغوانمة

تعتبر مئذنة الغوانمة ارفع مئذنة في مجمع المسجد الأقصى دون جدل، وقد بنيت على طراز الأبراج الشامية، واستوحت اسمها من الباب الذي بجانبها، اما الباب فاستمد اسمه من اسم بني غانم الذين استقروا في المدينة في عهد صلاح الدين الأيوبي وانجبوا علماء كبار. وعلى الرغم من معرفتنا بوجود مئذنة تعود إلى العصر الأموي في نفس المكان، الا ان المئذنة القائمة بنيت في عهد المماليك الأتراك في سنة ١٢٩٨. وبعد خروج القدس من الحكم العثماني قدم المهندس المعماري كمال الدين الى المدينة لأجل القيام بترميم المسجد الأقصى، وقد نالت هذه المئذنة اعجابه إلى درجة انه اقترح بناء مئذنة اخرى على غرارها ولكن اطول منها. ولكن ومما يؤسف له ان هذا المشروع كغيره من مشاريع المهندس المعماري كمال الدين لم ير النور.



053 | **صورة المسجد الأقصى من الركن الشمالي الغربي**

أقيم الركن الشمالي الغربي من المسجد الأقصى على أرض صخرية ولهذا فان هذا الركن أصبح أقل تعرضاً إلى الضرر بسبب الزلازل والهدم على مر التاريخ، وهذه الصورة التقطت من خلف مئذنة الغوانمة وهي تعكس الوضع الذي كان عليه المسجد الأقصى خلال السنوات الخمسة عشرة الأولى من القرن العشرين، والفناء الواقع على الجزء الأيمن من الصورة هو فناء الزاوية الافغانية المشهورة. وكان المسجد الأقصى في العصر العثماني يحيط به مباني التكايا والزوايا والمحاكم، ولهذا فان الأقصى بوضعه هذا كان يقوم بمهمة المحور الذي تدور حوله الحياة، وفي نفس الوقت فان الزاوية الافغانية التي تسمى ايضا الزاوية القادرية ما زالت تقوم بنشاطها، وما زالت تحيي هذه الزاوية إلى جانب الزاوية النقشبندية للاوزبك نفحة الثقافة الصوفية السائدة في العصرين المملوكي والعثماني.



* 054 | قبة سليمان ومئذنة الغوانمة

التقطت هذه الصورة قبل اعادة تعمير المؤسسات التربوية الدينية للمدينة إثر دعوة السلطان عبد الحميد الثاني للاتحاد الإسلامي، ويظهر فيها الجزء الشمالي الغربي من المسجد الأقصى. ويبدو أن معظم المدارس والتكايا والزوايا قد أهملت في هذه الفترة، والقبة الظاهرة إلى اليسار هي قبة سليمان. ويروى أن النبي سليمان كان في هذا المكان عند انشاء بيت المقدس، وبعد اتمام عملية البناء رفع يديه مبتهلاً الى الله تعالى. ويسمي العرب هذه القبة «قبة الصخرة المعلقة الصغيرة» ويعود السبب في ذلك إلى ان نبوخذ نصر الذي نهب القدس سنة ٥٨٦ ق.م. قد قطع جزءاً من الصخرة المعلقة واخذه معه. ولكن هذا الجزء أعيد فيما بعد الى القدس ووضع في هذا المكان.



قبتا المعراج والنبي | 055

هذه الصورة تجمع بين قبة النبي (الأصغر) الكائنة في الركن الشمالي الغربي من قبة الصخرة وقبة المعراج. وهناك احتمال كبير انها التقطت في عهد أنور باشا لأن مصورها خ. صابونجي كان المصور الشخصي لأنور باشا، ودخل التاريخ من هذا الباب. ويستدل مما ورد في الصورة ان قبة المعراج التي اجريت فيها تعديلات اساسية بسبب زيارة انور باشا حظيت باهتمام الاداريين العثمانيين وذلك قبيل الحرب العالمية الأولى. ولهذا فانها معبرة. وقبة النبي التي تظهر في الصورة اقيمت في العصر العثماني وقبل سنة 1620م، اما قبة المعراج فالمعروف انها كانت قائمة في سنة 1200 على اقل تقدير. ويرى الكثير من مؤرخي القدس ان حادثة المعراج لم تقع على الصخرة المعلقة الكائنة في قبة الصخرة بل في المكان الذي توجد فيه قبة المعراج.



الباكة الجنوبية | 056

تظهر في هذه الصورة التي التقطت على الأغلب في سنة ١٩١٦م الباكة الجنوبية الكائنة بين قبة الصخرة والجامع الأقصى وإلى جانبها منبر القاضي برهان الدين. كما تظهر فيه كنيس تيفيريت الاسرائيلي الى اليمين من المنبر وفي الجزء الخلفي من الصورة، وأقيمت هذه القبة سنة ١٩٢٥م، وطليت الأقواس الحجرية الكائنة على اعمدة الباكة بطلاء اسود مما يدل على تهيئة المدينة لاستقبال احد الضيوف، واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان زيارة انور باشا للمدينة تحققت في سنة ١٩١٦ فيمكننا ان نعتبر من أن الصورة تعود إلى تلك المرحلة.



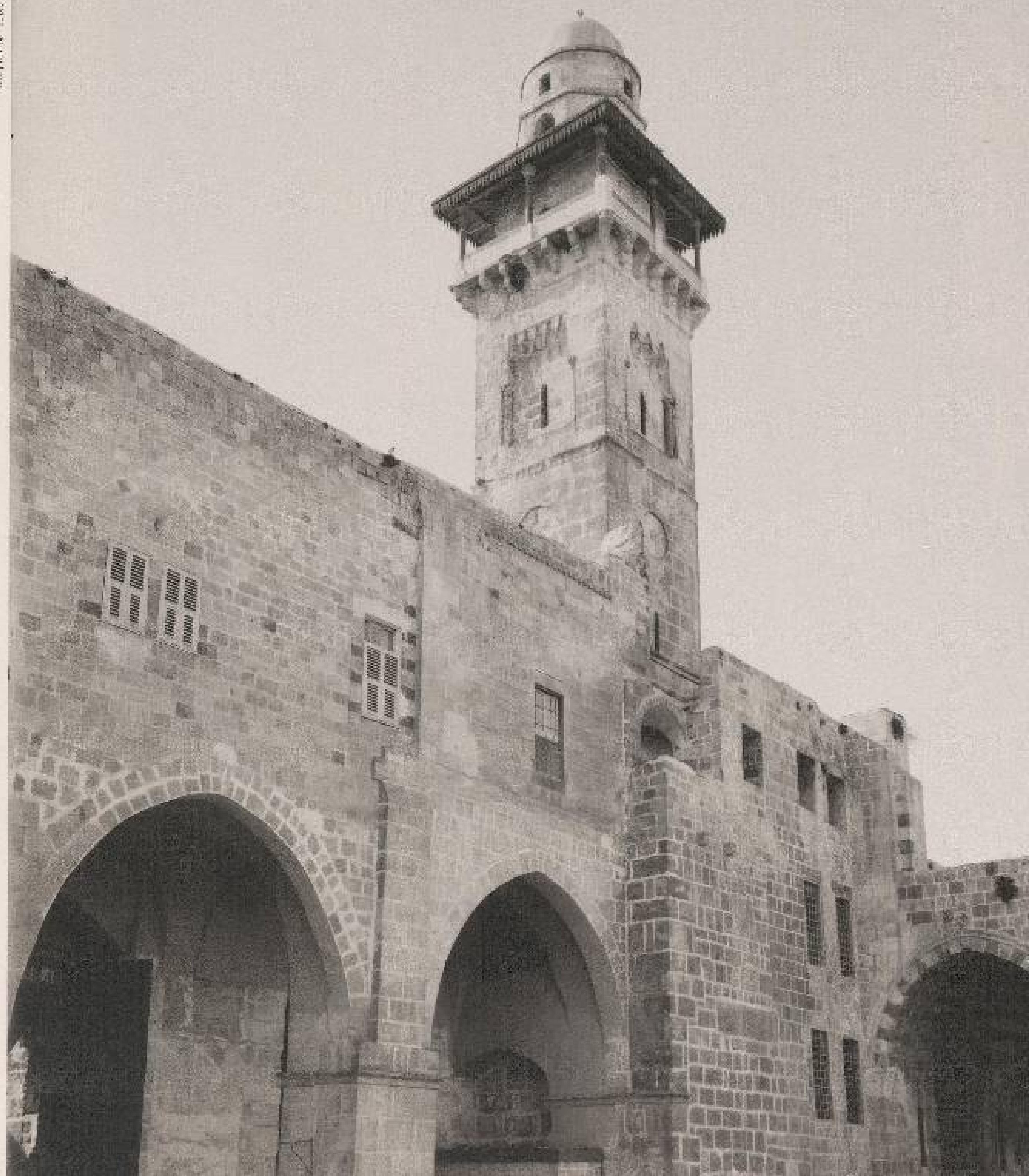
057 | منبر القاضي برهان الدين

لم يحافظ منبر القاضي برهان الدين على حاله، بل ألحقت به عدة إضافات: فالقسم المقبب بني في سنة 1325 على أبعد تقدير، ويبدو أنه كان يؤتى بسلم خشبي متحرك ويوضع في مقدمة القبة في أيام الجمع وأوقات صلاة الاستسقاء فتتحول القبة إلى منبر، واستمر هذا الأمر حتى سنة 1456، حيث بني سلم من الرخام. وفي سنة 1843 أضيف إليه الباب، وهذا يفسر وجود الطغراء العثماني العائد للسلطان العثماني عبدالمجيد على الجزء العلوي منه. والمعروف أن قبة الصخرة اعتبرت على مر التاريخ العثماني أكثر قدسية من الجامع الأقصى، ولهذا كان يتم أداء صلاة الجمعة أمام قبة الصخرة وتقرأ الخطبة على هذا المنبر وذلك عندما يكون الجو غير ممطر.



058 | باب المحكمة وسبيل قايتباي

لم يكن المسجد الأقصى مركزاً للأنشطة الدينية والعلمية والفقهية فقط في العصر العثماني، بل كان يرتاد ساحة المسجد الكثير من سكان المدينة للتزود بالماء من عشرات الصهاريج الموجودة تحت المسجد الأقصى والتي تستخدم لتزويد المدينة بالمياه، وانتشرت الآبار في ساحة المجمع وكانت تسحب منها المياه ليتم نقلها إلى أزقة المدينة بواسطة القرب، وتمت تعلية أطراف الآبار هذه لتكون على شكل مصطبة وكانت تستخدم للصلاة أيضاً. وبئر الماء التي تظهر في الصورة تم طمرها اليوم بالكامل إلا أن مصطبتها ظلت على ما هي عليه الآن، والمئذنة الظاهرة في الجزء الخلفي من الصورة هي مئذنة باب المحكمة، وهذا الباب يعتبر من أهم أبواب المسجد الأقصى وأقيمت المئذنة عليه، أما المبنى الواقع أمامه فهو سبيل قايتباي المشهور.





« 059 | مئذنة باب المحكمة

اقيمت هذه المئذنة في العصر المملوكي وتقع بين باب المحكمة وباب المرضأة. ولهذا السبب تسمى نسبة إلى كل باب من البابين حسبما ورد في المصادر المختلفة. والرواق الواقع إلى اليمين هو رواق المسجد الأقصى، وهو يضم مجموعة من الغرف الكبيرة والصغيرة ومراقد الشخصيات التي تحظى باهمية في تاريخ القدس.

« 060 | مئذنة باب المحكمة وقبة موسى

التقطت صورة مئذنة باب المحكمة هذه في مرحلة زمنية خاصة. وتظهر فيها امام المئذنة القبة المسماة قبة موسى، وهي عبارة عن مبنى صغير اقيم في مرحلة استمر فيها التصادم بين الصليبيين والايوبيين. ولهذا السبب فان هذا المبنى يعود إلى مرحلة زمنية خاصة، وكما يظهر في الجزء الخلفي من الصورة فقد اقيم بين المئذنة والقبة في هذه المرحلة (السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر على الأغلب) رواق جديد، وهذا الرواق تمت ازالته بعد العصر العثماني. وتحظى هذه الصورة باهمية لتقديمها فكرة عن ملابس النساء والأطفال المسلمين.



سبيل قايتباي | 061 »

أقيم سبيل قايتباي في أواخر القرن الخامس عشر من قبل السلطان قايتباي وهو من أواخر سلاطين المماليك. ويقع أمام باب القطانين الذي يعد المدخل الرئيسي للمسجد الأقصى. ويعد هذا السبيل من الروائع المعمارية التي يصادفها زوار المسجد الأقصى لأول مرة عند زيارتهم له. ويمثل هذا السبيل واحداً من روائع الفن المملوكي الكلاسيكي وقد أجريت فيه ترميمات في سنة ١٩٩٤م. والوضع الذي يظهر فيه في الصورة هو نتاج هذه الترميمات.



« 062 | من ثقافة السبيل إلى الحنفيات

ان الفرق الأساسي الذي يميز السبيل عن الشادروان (الكأس) في الحضارة الإسلامية هو وجود ساقٍ يقوم بتقديم الماء لأبناء السبيل بدلا من حنفية يسيل منها الماء بشكل مستمر. وكان يعمل ساقيان داخل سبيل قايتباي اذ يقومان بسحب الماء من البئر الموجودة تحت السبيل وتقديمه إلى زوار المسجد الأقصى. وكان يتم تقديم العصير بدلا من الماء في أيام وليالي العيد والمولد النبوي. وفي الوقت الراهن تم ربط الحنفيات بمكائن التبريد التي وضعت داخل السبيل.



063 | سبيل قاسم باشا

يقع هذا السبيل بين سبيل قايتباي وقبة موسى، ويعد أول أثر معماري يقام في القدس بأكملها في العهد العثماني، والمعروف أن الكأس الموجود بين الجامع الأقصى وقبة الصخرة مخصص لتوضؤ الشافعية. إلا أن الأحناف لا يتوضؤون منه باعتبار أن الماء فيه غير جار، ولهذا أمر والي مصر كوزلجه قاسم باشا بإقامة سبيل آخر وتم بناؤه في مستوى منخفض ليصبح تحت مستوى القناة التي تجلب المياه الى المسجد الأقصى. والمعروف أن كوزلجه قاسم باشا هو الذي أسس حي قاسم باشا في استانبول.



064 | الفسقية (النافورة) العثمانية

هذه الفسقية كانت تقع وسط البركة الكائنة إلى الجهة الشمالية من سبيل قاسم باشا، والماء الوارد من بيت لحم كان يُحدث ضغطاً مائيا في القناة فيقذف الماء ويشكل منظرا جميلا للزوار. وفي الوقت الراهن تم غلق البركة الموجود فيها الفسقية واحيطت اطرافها وأقيمت محابس حوله لأجل التوضؤ.

« 065 | تاريخ على مدى آلاف السنين في مبنى الجشمة (الششمة)

سبيل باب المحكمة هو احد الأسبلة التسعة التي أمر السلطان سليمان القانوني ببنائها في القدس. والمعروف انه شاع في المراحل الاولى من الحكم العثماني في القدس استخدام الحجر المنقول من الابنية القديمة في بناء الابنية الجديدة، والحجر المستخدم في بناء هذا السبيل نقل من الابنية الصليبية والأموية القديمة. وشكل الزهرة الموجود في القسم العلوي من التجويف هو رمز فرسان المعبد الذي شاع في المرحلة الصليبية في القدس، ويمكننا ان نشاهد اليوم شبيها بهذا الشكل في احدى القطع الزجاجية الموجودة في احد نوافذ الجدران الشرقية للجامع الأقصى. والمجرى المائي للششمه (جشمه) ربما هو لحدٌ يعود الى العصر البيزنطي، ونقل احد توائم هذا اللحد الى فرنسا حيث يعرض اليوم في متحف اللوفر المشهور.

« 066 | تحول في السبيل

تظهر هذه الصورة ان السبيل قد مر بسلسلة من التحولات في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين. واذا قارنا هذه الصورة مع الصورة السابقة من حيث وجود مجرى الماء وقناة تصريف المياه للسبيل، فاننا نجد ان مجرى مياه السبيل قد بقي تحت مستوى الأرض، اما قناة تصريف المياه فقد ازيلت من الوجود. ولا غرو في ذلك لاننا نعرف ان الدولة العثمانية قامت في هذه السنوات بايجاد مصادر بديلة للمياه في القدس.





357. Ancient Public Fauntain Alter Brunnen. Ancienne Fontaine.

» 067 | لقاء من أجل الماء في باب الأقصى

على غرار ما هو موجود في جميع المدن الشرقية فان الحياة في القدس تمحورت حول المعابد ومصادر المياه. وكما هي الحال في جميع المدن الشرقية فان هذين العنصرين كانا يلتقيان لقاءً وثيقاً. فالشيشمات التي اقامتها الدولة العثمانية في المراكز المهمة من المدينة، اقيمت على مبدأ هذا اللقاء، وهذا السبيل الذي نراه في الصورة بني في مدخل باب المحكمة للمسجد الأقصى. ويعتبر هذا الباب الذي يسمى ايضاً باب السلسلة اكثر الأبواب ازدحاماً، ولهذا فان هذا السبيل هو بمثابة نقطة لقاء يقيمها النسيج الاجتماعي للمدينة. ومثلما يحدث في الجوامع حيث يختفي الوظائف والرتب فان الاختلافات الواردة في الطبقات الاجتماعية تزول حول الشيشمة ايضا، فيتقاسم الجميع آلام المدينة وطموحاتها واخبارها. وتثبت هذه الصورة التي التقطت بين سنتي 1900-1930 ان النظام المائي الذي اقامه العثمانيون في سنة 1540 ما زال فعالاً.

» 068 | بئر ماء في فناء الأقصى

من الخصائص المهمة للمسجد الأقصى وجود عشرات الصهاريج المائية تحت سطح الأرض. وكانت هذه الصهاريج تتغذى من الامطار التي تتجمع في الشتاء وذلك قبل العصر العثماني. وبدأت في هذا العصر بالتغذية بالقنوات التي فتحت من بركة سليمان الواقعة في غربي المدينة ومن بركة سليمان الواقعة بالقرب من مدينة بيت لحم. وكانت هذه القنوات تغذي في الوقت ذاته السبل والشادروانات والحمامات المنتشرة في مختلف أرجاء المدينة. ولكن عند جفاف هذه القنوات تكون هذه الصهاريج الموجودة في فناء الأقصى مصدر الماء الأساسي والوحيد للمدينة. وكان يعتقد ان مياه بعض الصهاريج اكثر عذوبة من غيرها. والبئر الظاهرة في الصورة كانت تعرف بالبحر الكبير ويباع الماء المستخرج منها في ازقة المدينة.





380 Mosque El-Aksa. Aksa Moschee. Mosquée d'El-Akca.





18081. Filling goat skins at the cisterns in the Temple Place, Jerusalem, Palestine.

التقطت هذه الصورة في 16 شباط سنة 1899 من قبل المصور بنيامين ويست كيليبورن، وتظهر فيها عملية سحب الماء من البئر. ويظهر في هذه الصورة ان سحب المياه من البئر لم يكن متوقفاً على المزاج بل على ما تقرره الادارة في هذا المجال. ووردت على الصورة عبارة باللغة الفرنسية تذكر ان القربة التي يحملها الساقي صنعت من جلد الماعز.

امنت احتياجات المدينة للمياه في العصر العثماني ترسيخ سلطة الباب العالي في القدس، لان الماء لم يكن يعني الحاجة الى الشراب والغذاء فقط، فتوفير الماء النظيف خلال انتشار الأمراض المعدية كان يعد مسألة بقاء أو موت. استخدمت الدولة العثمانية وبشكل جيد الاحساس بالأمن الاجتماعي الذي يؤمنه توفير المياه في المدينة، ولاجل تحقيق ذلك لم لتردد من الصرف ابداً لجلب الماء الى المدينه لا في المراحل المتقدمة ولا في المراحل المتأخرة التي كان وضعها المالي يعاني من وضع صعب. وتعد المدرسة التنكزية الواقعة خارج باب المحكمة للمسجد الاقصى احدى روائع العمارة المملوكية. وقد تمّ بناء فسقية داخل مبناها، وهذا يندر وجوده في العالم العربي. وكانت الفسقيات تقام في العهد العثماني في الأماكن التي يتم التباحث فيها في امور الدولة؛ وبذلك يحال دون سماع أصحاب النوايا السيئة ما يتم التداول بشأنه. وضيفت المدرسة التنكزية ولسنوات طويلة المحكمة الشرعية في القدس، وتستخدم الان مخفرا للشرطة من قبل الشرطة الإسرائيلية.



071 | قناة مائية من بيت لحم إلى القدس

هذا المخطط المحفوظ في الأرشيف العثماني يبين مسار القناة التي تجلب المياه من بركة سليمان إلى القدس، والطول الاجمالي للمقياس الكائن في الجزء الأيمن من الصورة هو ثمانية كيلومترات، ويمكننا القول إجمالاً أن طول القناة المائية من بيت لحم حتى القدس هو حوالي عشرين كيلومتر، وتحمل الخارطة اسم: خارطة القناة المائية الجارية من منابع بركة سليمان حتى الحرم الشريف بالقدس وفق الإرادة السنية التي تشرف بإصدارها حضرة الخليفة. اما التوقيع الوارد في الركن السفلي الأيمن فيعود الى مهندس اجنبي اسمه فرانكين وهو رئيس مهندسي اللجنة الفنية للطرق والمعابر التابعة لوزارة النافعة، ولم يرد اي تاريخ على هذه الخارطة، ولكن يستدل من تواريخ الخرائط الواردة في الصفحات اللاحقة انها أعدت في سنة ١٩٠٢م.

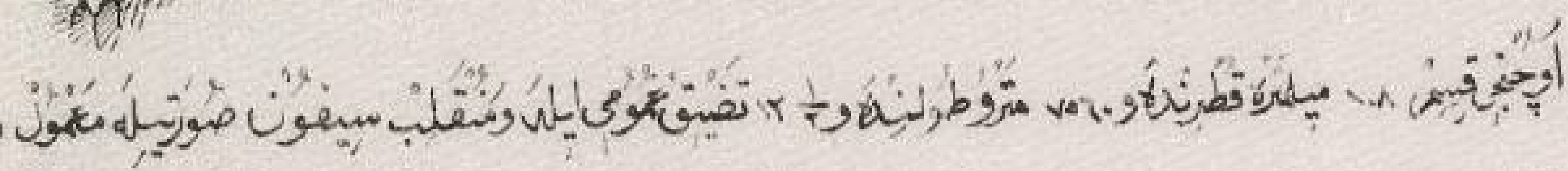
072 | مقطع طوبوغرافي للقدس من بيت لحم

يبين هذا المخطط خارطة الاماكن التي تمر منها قناة الماء اعتباراً من بيت لحم، ويوجد في الركن الأيمن من الصورة باب المغاربة للمسجد الأقصى. وكما يظهر في الصورة فانه تم فتح نفق بطول ٦٥ مترا في المنطقة المرتفعة بين قرية سور باهر ووادي سلوان.

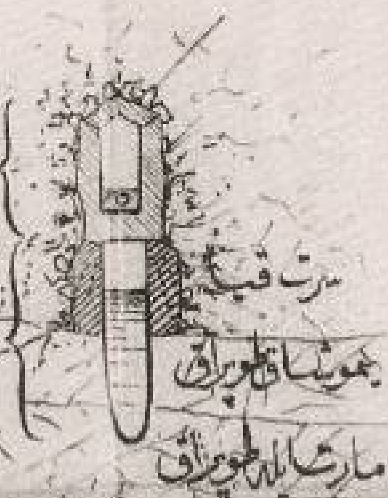
وينقسم المقطع الطوبوغرافي الى خمسة اقسام، يبدأ القسم الأول من بيت لحم وهو مبني من الاسمنت، وارتؤي عمل قناة في القسم الأول يبدأ من بيت لحم بسُمك ٠٫٣٥م من الاسمنت وبطول ١٦٠٠ مترا على ان يميل بمقدار ٨ على ١٠٠٠٠ لكل متر، وفي القسم الثاني تمتد القناة بطول ٢٤٥٠م وبنفس المواصفات وتؤدي وظيفة نوع من خزانات الماء، أما في القسم الثالث فقد استخدمت انابيب بقطر ١٥٨ملم وبطول ٣٥٩٩م.

واقيم نفق بطول ٤٥٠ م في القسم الرابع، واستخدمت في القسم الخامس انابيب حديدية بقطر ٢٠٨ملم وبطول ٤٦٥٠مترا وتمتد حتى تصل إلى باب المغاربة.

وخارطة المقطع تحمل توقيع رئيس مهندسي هيئة الطرق والمعابر بوزارة الإعمار فرانكين ومؤرخة في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٠١م.



اوچنجی قسم ۰٫۸ میلمتره قطرنده و ۷۵۰۰ متروطولنده و ۲ تضییق عمومی ایله و منقلب سیفون صورتیله معمول
بشنجی قسم ۰٫۸ میلمتره قطرنده و ۲۸۹۰ متروطولنده و متروتفتیش عمومی ایله و منقلب سیفون صورتیله معمول
بوریلر



اسکی تونلك مقطع عرضانیسی
مجدداً آچیلان تونلك مقطع عرضانیسی



...يلمانيه منبعلرندن قدس شريفنه اساله اولنان صويولرينك مقطع طولانيسيدر

عين فروجه منبعى

عين عطان منبعى

عين صالح منبعى

ارطاس قريه سى

برنجی قسم ۲۰۰ قطرنده چمنتولی بتون و ۳۶۰ مترو طولنده اولوب ... مترو

۸۰۰۰ ميل ايله معمول قنال

ایکنجی قسم ۱۲۶۰ قطرنده چمنتولی بتون و ۲۹۰ مترو طولنده

... تضييق ايله ايشليان و صويولی

... قنال

...لی تمور بوری ...

قطرنده ... ف

بوشالتمه ... ۲

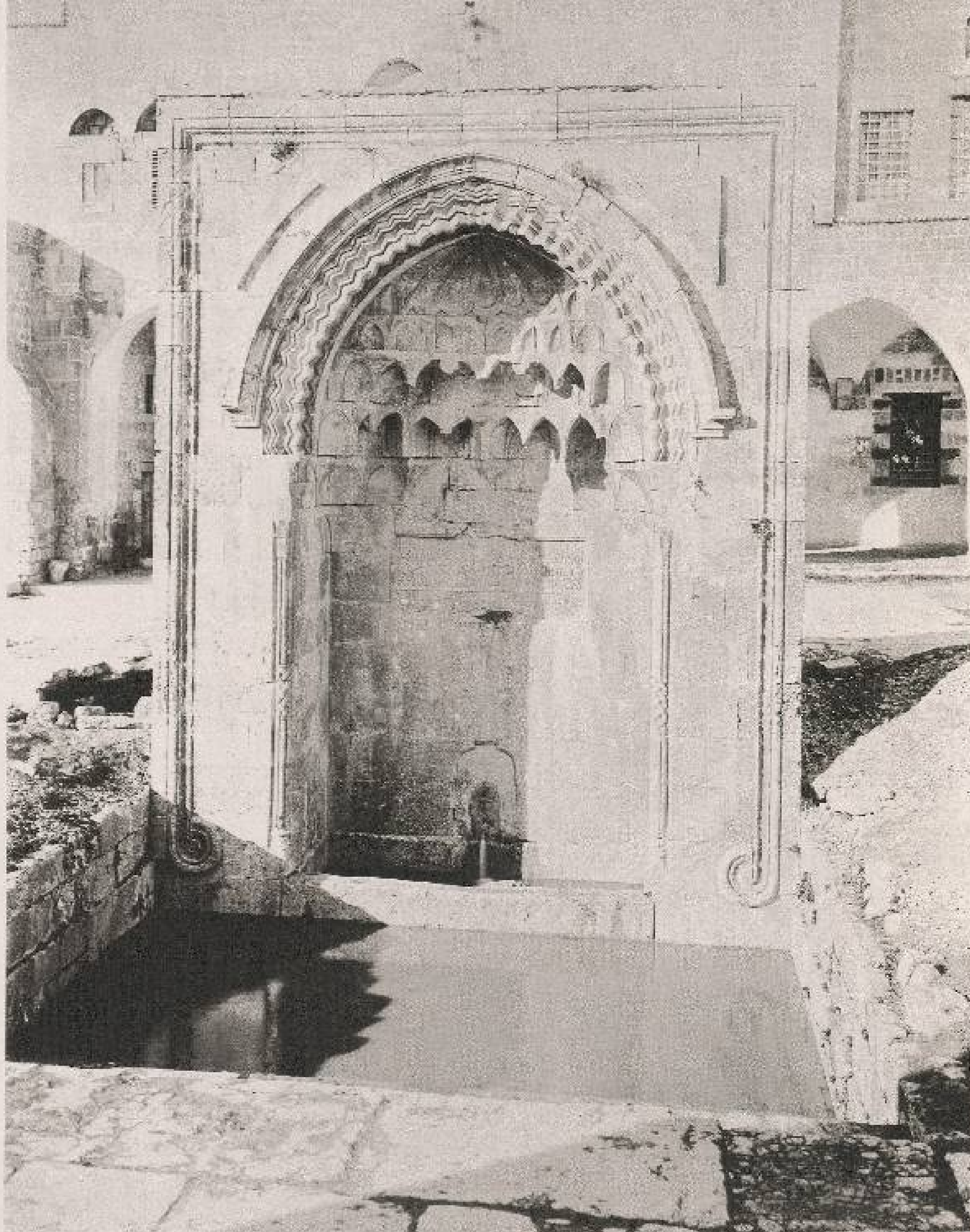
فالتستورلر ...

سد ...

... اوچ ليتره


N 1323 Jerusalem





٧٣ | 073 من بركة سليمان إلى مدينة سليمان

من المعروف أن المياه جلبت إلى القدس من بيت لحم في عهد السلطان سليمان القانوني بالذات، ولكن جرى في المراحل المتأخرة تجديد القنوات التي جلبت بها المياه. وتتعلق هذه الصورة بمنبع المياه المسمى بركة سليمان الواقعة بالقرب من بيت لحم، ويتم نقل المياه من هنا إلى باب المسجد الأقصى بواسطة قناة وأنابيب مياه وبطول ١٧كم. ويتم توجيه المياه بواسطة الصهاريج أو الأسبلة الواقعة حولها.

٧٤ | 074 من بيت لحم إلى سبيل الكأس

تبدأ قنوات المياه من بركة سليمان ببيت لحم، وتقطع ٢٠ كم لتصل إلى القدس حيث تبلغ نهايتها في سبيل الكأس بفناء المسجد الأقصى، وتم تخفيض مستوى المياه في القنوات المائية للاستفادة من ضغطها في الكأس / الشادروان، وهو ما منح الحياة للمدينة وذلك في المراحل المتقدمة من العهد العثماني. وتظهر في هاتين الصورتين بداية ونهاية القناة التي أقامها العثمانيون.

٧٥ | 075 أسبلة السلطان سليمان

أمر ببناء هذه الأسبلة السلطان العثماني سليمان القانوني وأقيمت بين سنتي ١٥٣٦-١٥٣٧ تحت إشراف المعمار محمد جلبي النقاش وبقيت تسعة منها بالكامل حتى اليوم، ومعظم هذه الأسبلة استخدمت حتى أواخر العصر العثماني. والسبيل الظاهر في الصورة هو سبيل باب العتم ويقع في الركن الشمالي من المسجد الأقصى، وبنيت اليوم حوله ميضأة حديثة.

« 076 | سبيل باب الناظر

يقع هذا السبيل في تقاطع شارع الواد الذي يعد الشارع الرئيس للقدس مع الزقاق المؤدي إلى باب الناظر للمسجد الأقصى. وهذا الركن هو المثلث الذي يضم الخان والمدرسة والوقف الذي قام ببنائه بايرام جاويش (چاويش) وسمي باسمه. وبايرام جاويش هو أول متصرف تولى لواء القدس. ويقع على مقربة منه وقف خرم سلطان (خاصكي سلطان) الذي يتضمن مؤسسات تعليمية. ويبدو أن هذا السبيل كان يرتاده ويشكل كبير الطلاب والمدرسون لشرب الماء منه وما زال السبيل يحتفظ بالكتابة المدونة عليه وهي باللغة العربية:

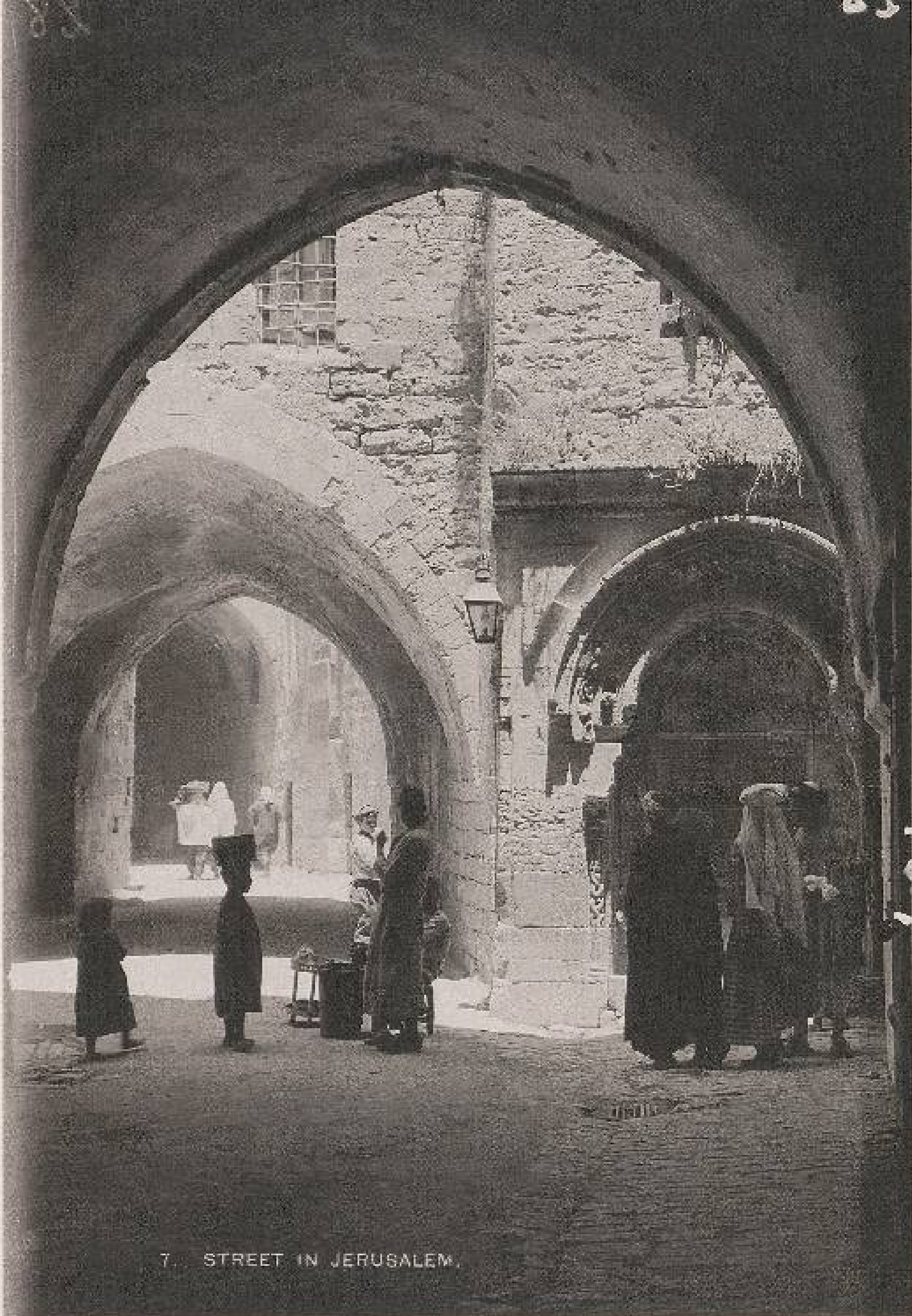
«١. أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا السلطان الملك الأعظم والخاقان المكرم مالك رقاب

٢. الأمم سلطان الروم والعرب والعجم السلطان سليمان ابن السلطان سليم خان خلد الله ملكه وسلطانه

٣. بتاريخ هجرة نبويه في اوائل شعبان المعظم من شهور

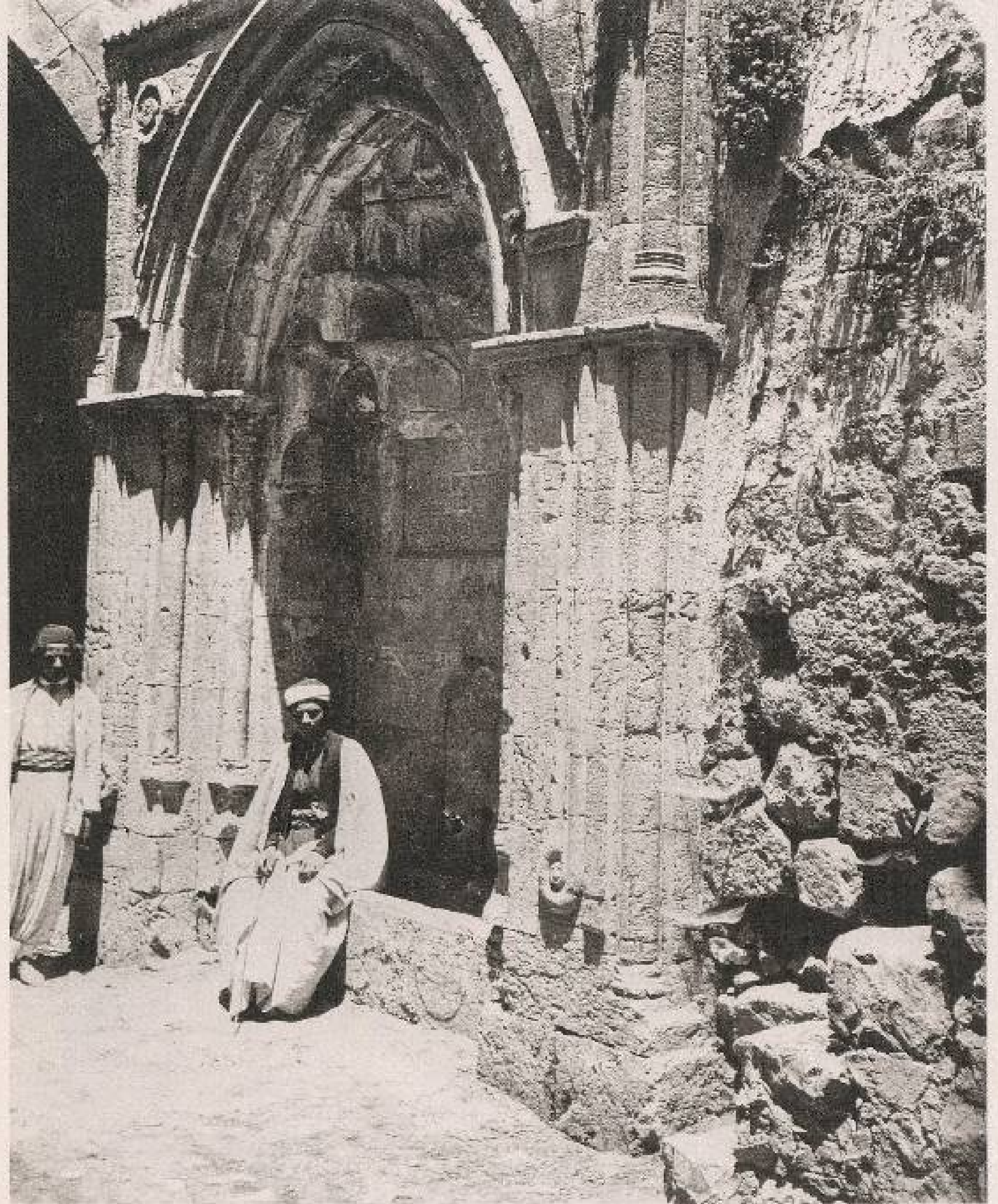
سنة ثلاثة واربعين وتسعمائة وصلى الله على محمد واله أجمعين».





٥٢٢ | سبيل سليمان في نقطة تقاطع الطرق

كان للقدس العثمانية شارعان رئيسان هما: شارع الواد الممتد من باب العامود إلى حائط المبكى وشارع داود الممتد من باب الخليل إلى المسجد الأقصى. وشارع باب الواد تمتاز نحو يمتد تحت الأبنية بنسبة كبيرة. وكان سبيل باب الناظر الواقع على هذا الطريق يشكل بلا جدال نقطة التقاء للقدس العثمانية. وكان يخدم زوار الأقصى وسكان وقف خاصكي سلطان الواقع أمامه وطلاب مدرسة بايرام جاويش الواقعة أمامه. ونظراً لحيويته هذه فكان يتم تصويره أكثر بكثير من الأماكن التي يتم تصويرها في المدينة. وقد التقطت هذه الصورة من واقع الحياة، ومن خلالها يمكن دراسة الزي الفلسطيني في تلك الفترة.



« 078 | سبيل طريق الواد

يقع هذا السبيل في الطرف الجنوبي من شارع الواد المؤدي إلى حائط المبكى وكان يخدم أصحاب محلات سوق القطانين الواقع بجواره، وكذلك اليهود من زوار حائط المبكى. ويعد هذا السبيل وهو أكبر سبيل بين أسبلة سليمان مكاناً يلتقي فيه أتباع الديانات المختلفة بعضهم ببعض.

« 079 | احتفالات بوصول الماء

في سنة ١٩٠٤ تم جلب المياه إلى القدس بأنابيب حديثة استعيض بها عن القنوات، ونصبت مضخات تعمل بالكهرباء في برك سليمان بهدف زيادة ضخ المياه. وفي اليوم الذي وصلت فيه المياه إلى القدس أقيمت احتفالات في مناطق مختلفة من المدينة، وبدأت هذه الاحتفالات في سبيل سليمان الواقع إلى الجهة السفلى من بركة سليمان الكائنة إلى الجنوب من سور مدينة القدس. وبعد هذا التاريخ لم يعد بحاجة إلى تجميع مياه الأمطار في بركة سليمان، ولهذا تحولت إلى سوق مفتوحة. وهذه الصورة التقطت من قبل مصور فلسطيني يدعى خليل رعد، وقد دوّن في أسفلها: أقيم احتفال مهيب بمشاركة المتصرف وذلك حوالي الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، وإن المشاركين رفعوا أيديهم للدعاء.



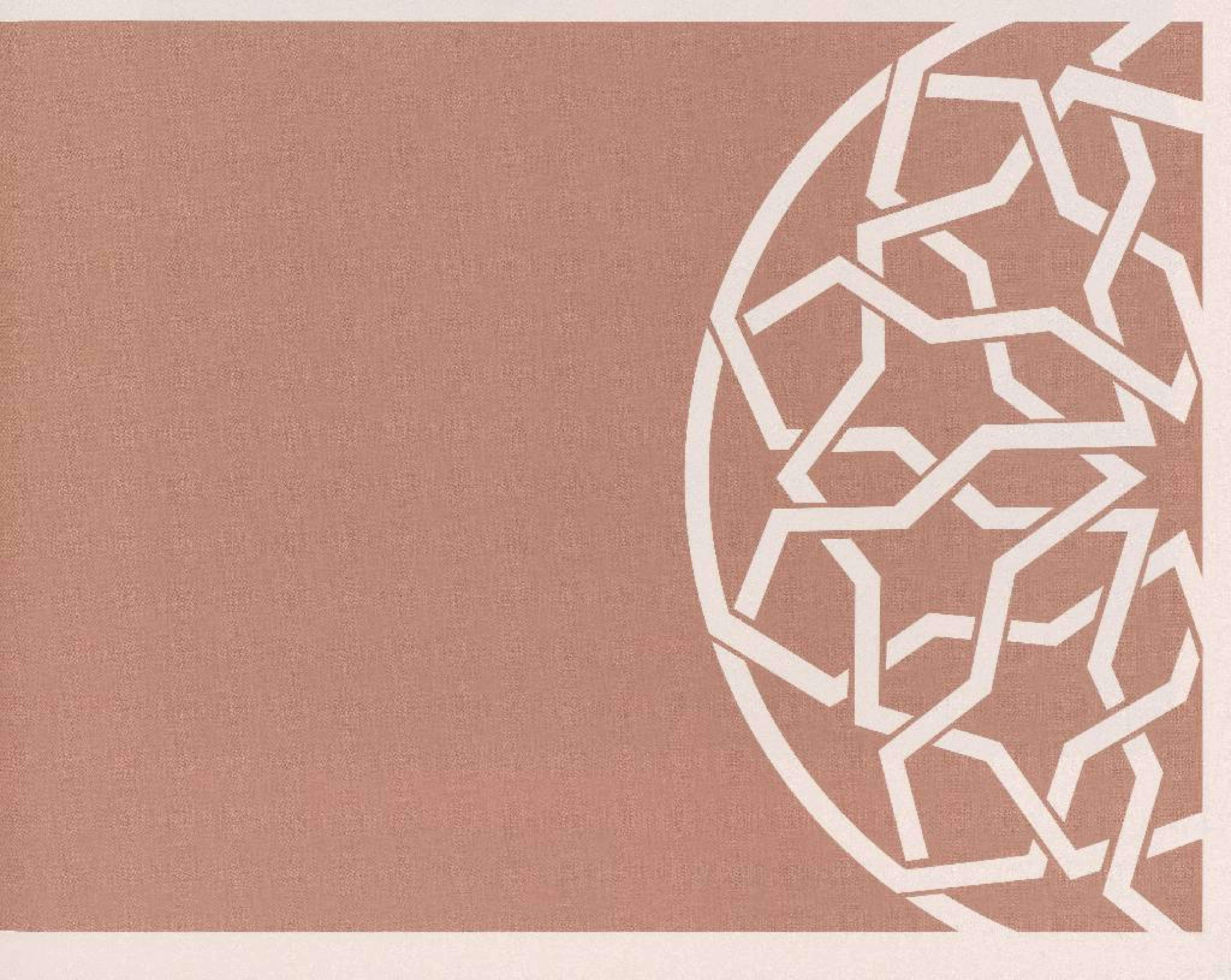


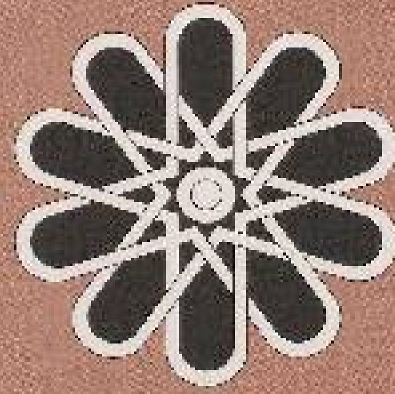
080 | احتفال في باب الزهرة لوصول المياه

كانت المياه الواصلة الى المدينة سنة ١٩٠١ تبلغ أعلى نقطة فيها بفعل الضغط، ومن هذه النقاط باب الزهرة وجواره والذي يقع إلى الشمال الشرقي من سور المدينة. وكانت الساحة الواقعة أمام باب الزهرة قد بقيت خالية (دون بناء) قبل هذا التاريخ، إلا ان ايصال الماء إلى هذه المنطقة أدى إلى زحف الإسكان إلى مقربة من باب الزهرة في غضون مدة قصيرة. وتعد هذه المنطقة اليوم اكثر شوارع القدس الشرقية استخداما وأكثرها نشاطا.

٠٨١ | دعاء الماء في فناء السراي

من الأماكن التي وصلت المياه إليها في سنة ١٩٠١م فناء الجامع الأقصى حيث أقيم في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٠١ احتفال بالمناسبة شارك فيه متصرف القدس وقاضيها ومفتيها. وقد لفت هذا الاحتفال المقترن بالابتهال إلى الله تعالى أنظار الأجانب الموجودين في المدينة، فكتب عنه معظمهم، وذلك في مذكراتهم أو في التقارير التي أرسلوها إلى حكوماتهم. ومنهم المعمار الانكليزي كونراد شيك الذي كان يقيم في إستانبول وقد ذكر أن الشيخ يوسف أفندي المنتحي ولابس الجُبة والواقف في الطرف الأيمن من الصورة، هو الذي تلا الدعاء ثم أعقبته فرقة موسيقى الجيش بعزف الأناشيد.



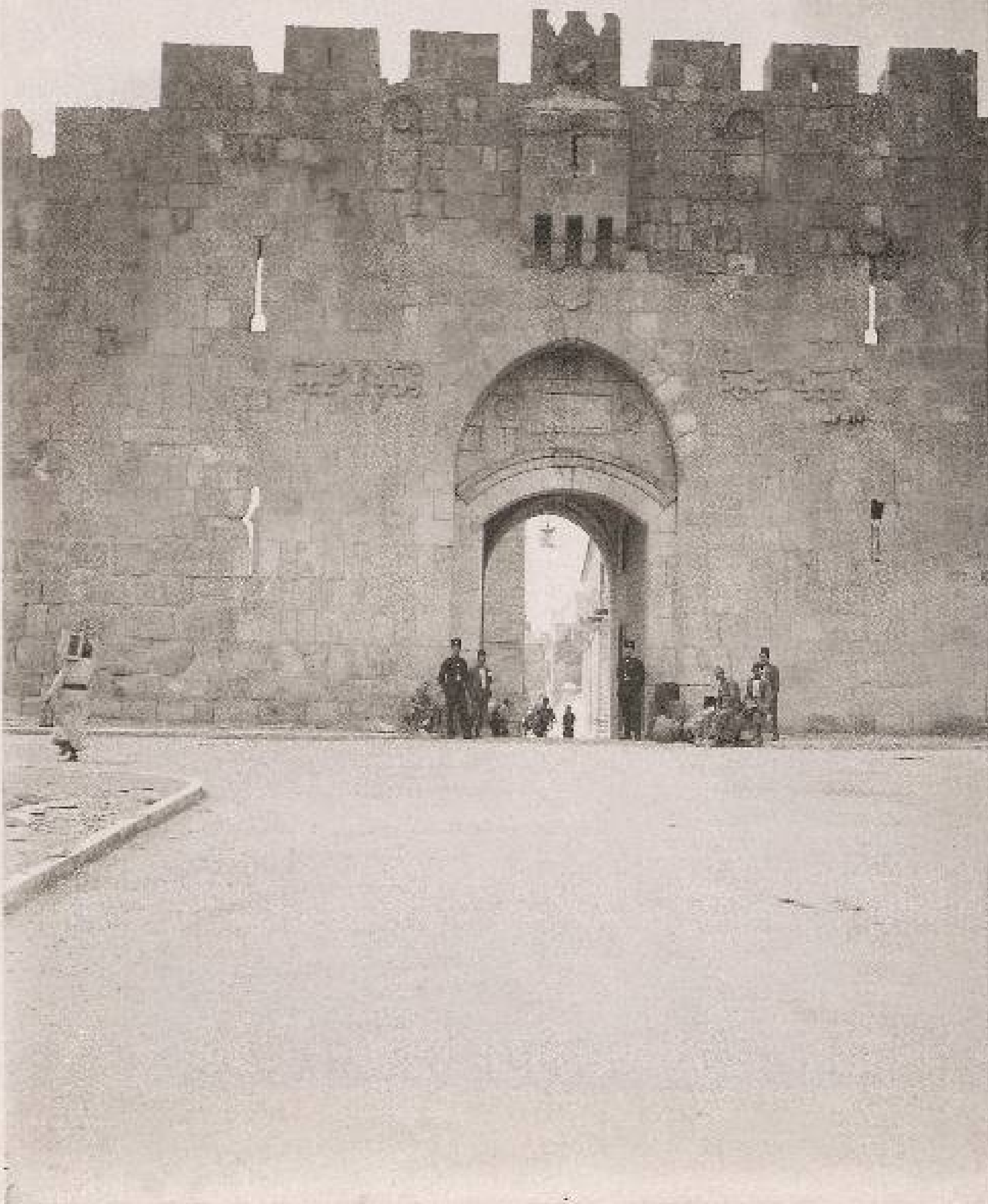


القسم الثالث

المدينة والإنسان

شكل هندسي منقوش على حجر في مزيرق عقبة، الكرك





082 » | طريق الآلام

تُعد القدس مدينة تتداخل فيها المقدسات، وطبقاً للمعتقدات المسيحية فإن طريق الآلام الذي يبدأ في شمال المسجد الأقصى وينتهي في غربه على بعد عدة مئات من الأمتار والمسمى دولوروسا هو الطريق الذي سيق منه النبي عيسى إلى خارج المدينة بعد اعتقاله وصلبه. وهذا الطريق هو ممر الحج للمسيحيين في الوقت ذاته. ومن الممارسات التي كان يقوم بها المسيحيون في العصر العثماني التمثيل بحمل الصليب او الزحف على الركب في المكان الذي سقط النبي عيسى على الأرض. ولم يبق من هذه الممارسات اليوم إلا بعض منها. وكان طريق الآلام مجالاً للحياة والتجارة في الوقت ذاته، ولهذا فإن صور الحج المسيحي تعد من جهة أخرى صوراً للحياة اليومية.

083 » | أسود باب الأسود (باب الست مريم)

في الأماكن التي تنتشر فيها الأماكن المقدسة تكثر الأساطير الشعبية حولها، فالأسطورة المتعلقة بأشكال الأسود المنقوشة على طرفي باب الأسود المعروف عند العامة بباب الست مريم هي أجمل من الحقيقة نفسها ولهذا فقد نُسيت الحقيقة وحلّت الأسطورة محلها. ويروى أن السلطان سليمان القانوني رأى في منامه أن أربعة أسود تهاجمه، وفسّر مفسرو الأحلام رؤيته هذه فقالوا إنه رأى هذا الحلم لأن القدس غاضبة عليه لعدم وجود أسوار تحيط بها، والأسد هنا هو رمز القدس، فأمر السلطان فوراً ببناء سور يحيط بالمدينة ووضع الأسود الأربعة على أحد أبوابه بعد الانتهاء من البناء. ويبدو أن الأسود لم تكن جائعة أو معتدية، بل كانت شبعانة وتدلي ذيولها وهذه هي القصة. أما الحقيقة التاريخية فهي أن هذه الحيوانات البديعة الأربعة هي نمور وليست بأسود، وأن المهندسين العثمانيين الذين بنوا الأسوار قاموا بنقل هذه النقوش من مبنى مملوكي قديم، وكان النمر رمزاً للسلطان المملوكي بيبرس ولهذا تم استخدامه في الكثير من الأبنية المشيدة في عهده، وبعد تغيير موقعه تغيّرت قصته أيضاً.

» 084 | باب الأسود أم باب القديس ستيفن؟

عند تقاسم الأديان المختلفة لأماكن المقدسات فمن الطبيعي أن تنتبني قصة القدسية عند أحد الأديان اتباع الديانات الأخرى، فعلى سبيل الذكر نجد أن قصة معراج النبي عند المسلمين قد تم دمجها من قبل المسيحيين مع قصة صعود النبي عيسى إلى السماء. ومن الحالات التي نجدها بشكل وثيق في هذا النوع من الاماكن هو تبادل أماكنها بين هذه الديانات فتقترب أحياناً من مكان أكثر قدسية وأحياناً تقوم الحاجات الفنية بتغيير مكان القدسية، فعلى سبيل المثال يرى البروتستانت أن المكان الذي صلب فيه النبي عيسى يقع خارج المدينة. ويتعلق أحد الأماكن التي تغير موقعها في العصر الصليبي بباب الأسود، فالمكان الذي رجم فيه القديس ستيفن واستشهد تم تثبيته بجوار باب العامود الحالي. غير أن هذه الساحة لم تكن مكاناً آمناً للحجاج المسيحيين في العصر الصليبي، ولهذا تم تغيير مكان الحدث فبدئ بالاعتقاد أن القديس ستيفن استشهد أمام باب الأسود وليس في باب العامود الكائن في الشمال.

» 085 | القدس من المدرسة الصلاحية

تقع المدرسة الصلاحية في الجزء الشمال الشرقي من المدينة القديمة. بناها في الأصل صلاح الدين الأيوبي، ونشأ فيها وعلى مدى سنوات طويلة علماء دين مهمون ينتسبون إلى العالم الإسلامي. إلا أن المدرسة فقدت بمرور الزمن دورها المركزي هذا، إلى أن تمّ إحياؤها وتعميرها في أواخر العصر العثماني. ولم يمر وقت طويل حتى نشأ في المدرسة أولاد العوائل المعروفة في العالم العربي، وعلى الرغم من غلق المدرسة في عهد الانتداب الانكليزي، إلا أن الطلاب الذي تخرجوا في المدرسة الصلاحية قاموا على مدى نصف قرن بتوجيه سياسة العالم العربي. وتحول المبنى المركزي للمدرسة الصلاحية بعد العصر العثماني إلى كنيسة على غرار ما كانت عليه في المرحلة الصليبية، وحملت اسم كنيسة القديسة حنة.





« 086 | كنيسة القديسة حنة والركن الشمال الشرقي من المدينة

التقطت هذه الصورة خلال السنوات الخمسة عشرة الأولى من القرن العشرين، وتظهر فيها الأسوار الشرقية للقدس من خلف كنيسة القديسة حنه وخلفها جبل رأس المشارف، وهذا الجبل امتداد لجبل الزيتون من جهة الشمال، والمعروف ان اجمل صور القدس التقطت دائماً من هذا الجبل. والأسوار الشرقية الظاهرة في الصورة والاراضي الخالية الواقعة أمامها تظهران ان الركن الشمال الشرقي من المدينة قد بقي خالياً حتى المراحل الأخيرة من الدولة العثمانية.

« 087 | برج انطونيا

بين سنتي 6 و66 ميلادية كانت توجد قلعة تحت اسم قلعة انطونيا بجوار الركن الشمالي من المعبد الثاني الذي يشكل مكانه اليوم المسجد الأقصى. وهذه القلعة بناها الملك هيرودس باسم مارك انطوني القائد العام للامبراطورية الرومانية. وكانت بمثابة مقر الملك والجنود وكبار رجال السلطة الدينية. وفي السنوات التي كان النبي عيسى موجوداً فيها في القدس، كانت القلعة ما زالت قائمة وربما قام باجراء اللقاءات مع زعماء الدول في هذه القلعة. ولوجود مئذنة الغوانمة في هذا المكان فقد اعتبرها الباحثون المعاصرون ولسنوات طويلة احد ابراج قلعة انطونيا، والمكان الذي تشاهده في الصورة اعتيد اليوم تسميته ببرج انطونيا.







1st. Station. 59. 1 Station.

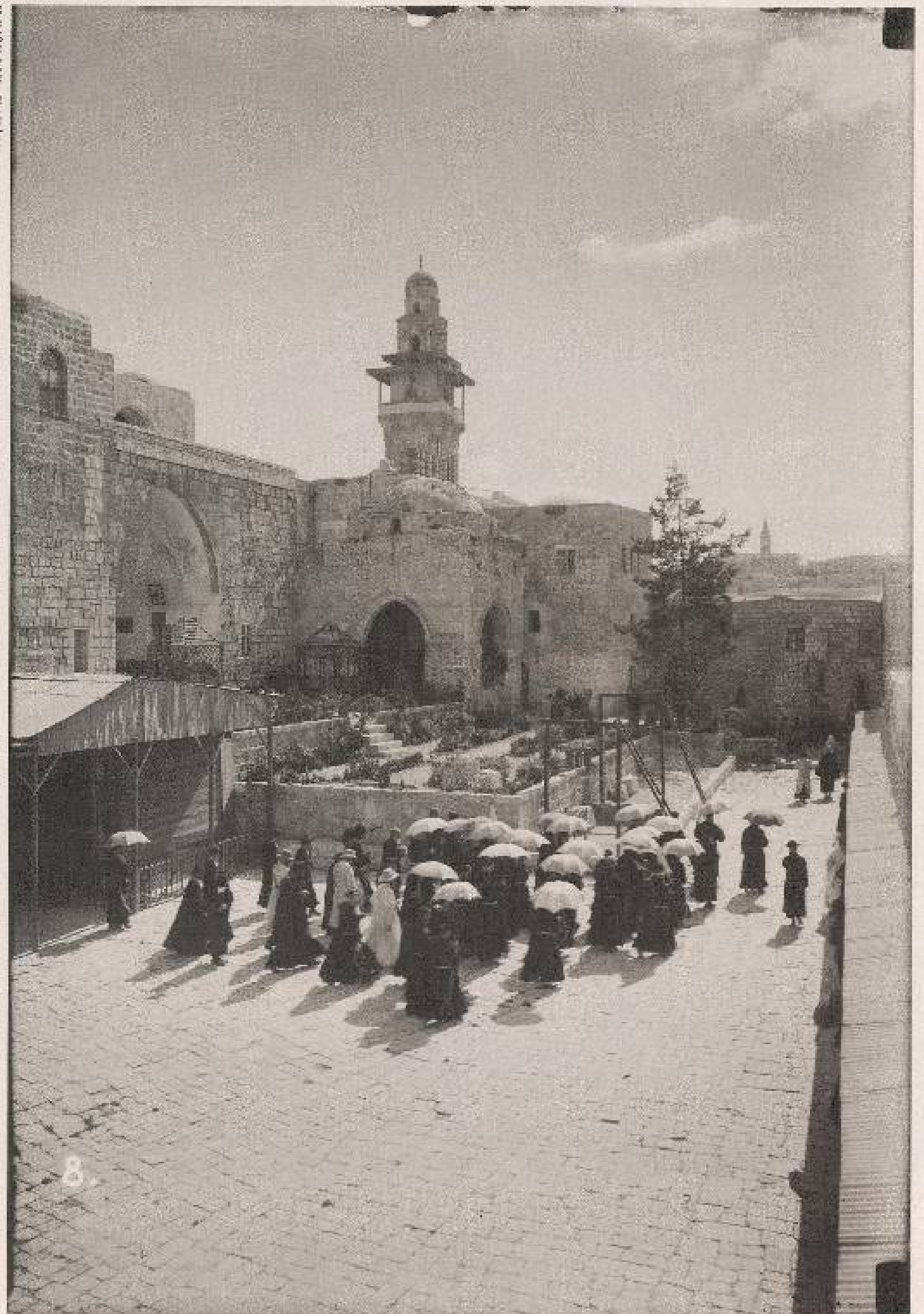


» 088 | المدرسة العمرية والحجاج المسيحيون

طبقاً للمعتقدات المسيحية فإن الأماكن التي وقعت فيها الأحداث الأربعة عشرة التي ألمت بالنبي عيسى عند صلبه يطلق على كل واحد منها اسم «مرحلة»، وأول مرحلتين من هذه المراحل هما: إخراج النبي عيسى من قبل الوالي الروماني بونتيوس بيلاطس وتشهيره أمام الناس والقرار بصلبه ووضع تاج من الأشواك على رأسه وهو المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية فهي تجريده من الملابس ووضعه على ظهر الصليب. والمكان التقليدي لهاتين المرحلتين تم تحويله بعد الفتح الإسلامي إلى مبنى للمدرسة، ولهذا قام المسيحيون باختيار أماكن بديلة تقع أمامه. كما فتحت المدرسة أبوابها أمام الحجاج المسيحيين وعلى وجه الخصوص خلال الحج الكبير الذي يصادف أيام الجمع، وهذا التقليد ما زال مستمراً حتى اليوم، ويظهر في الصورة المتعبدون المسيحيون في فناء المدرسة العمرية الواقعة أمام المرحلتين الأولى والثانية. والمصادر التي نشرت فيها الصورة تشير إلى أنها التقطت في سنة ١٩١٢م.

» 089 | حجاج أوروبيون في القدس

التقطت هذه الصورة من قبل Underwood&Underwood في ٢٧ حزيران ١٩١٢م، ويظهر فيها قيام مجموعة من الحجاج الفرنسيين قدموا إلى القدس لأجل الحج بالمباشرة بأداء طقوس الحج في المرحلة الأولى؛ ومما يجدر ذكره أن الدولة العثمانية خسرت في هذا الوقت حرب البلقان الأولى، وحرب البلقان الثانية كانت وما تزال تهدد الدولة ورياح حرب عالمية كانت تهب في أوربا، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاعت الدولة العثمانية توفير الأمن للحجاج الأجانب ونجحت في تحقيق الحماية للقدس.



⁄ 090 | أماكن مسيحية في ظل الأقصى

في الجهة المقابلة من المدرسة العمرية أقيمت كنيستان جنباً الى جنب وهما تشكلان المرحلتين الأوليتين للحج المسيحي. وقد شهدت المنطقة تحولاً كبيراً بعد العصر العثماني، والكنيسة الصغيرة التي تظهر خلفها في الصورة مئذنة الغوانمة هي المرحلة الأولى في مسيرة الحج المسيحي. ويعتقد المسيحيون ان هذه البقعة هي المكان الذي وضع فيه تاج من الاشواك على رأس النبي عيسى. ولهذا فان العناصر المعمارية الموجودة في هذا المكان والنباتات التي تم زرعها فيها هي شوكية، وتوجد اليوم في مكان الكنيسة الصغيرة الظاهرة في الصورة كنيسة بنيت في العصر الحديث. وعلى الرغم من تغيّر المباني في المكان الا ان التقارب الموجود بين الأماكن لم يتغيّر. فالأماكن المسيحية الكائنة في المنطقة قد واصلت وجودها في ظل السلام في ظل مئذنة الغوانمة وإلى جوار المسجد الأقصى.



٥٩١ | قوس الأكي هومو Ecce Homo

استناداً إلى ما ورد في الانجيل فان الوالي الروماني في القدس بونتيوس بليت قابل النبي عيسى بعد ان أراد اليهود معاقبته، وحكم على كونه غير مذنب. الا ان الاهالي وبتحريض من رجال الدين كانوا يطالبون بصلبه، ولهذا أخذ بونتيوس النبي عيسى الى جانبه واطل على الأهالي من على شرفة السراي وأراهم الشخص الذي اتهموه مرددا العبارة اللاتينية Ecce Homo أي «هذا هو الشخص»، وطبقا للمعتقدات فان المكان الذي تحقق فيه حدث التقديم إلى الاهالي هو قوس الأكي هومو Ecce Homo الظاهر في الصورة. وتعود احجار هذا القوس الى العصر الروماني القديم، اما الغرفة الصغيرة المبنية فوقه فتعود الى المراحل المتأخرة. اما طريق الآلام الظاهر في الصورة فهو مكان يقوم المسيحيون فيه بعملية البيع والشراء وكما كان الحال في العصر العثماني فانه اليوم شارع تنشط فيه التجارة ايضا.

092 | إعمار في طريق الآلام

في سنوات 1880 بدأت الهجرات اليهودية إلى المدينة وازداد اهتمام المسيحيين بها، وإزاء ذلك سعت الدولة العثمانية إلى التكامل مع الأراضي العربية. فباشرت بنشاط معماري رئيس في معظم المدن العربية ومنها القدس. وتعكس هذه الصورة التي التقطت بين سنتي 1860-1880 من قبل بينر بركهيم. التحول الذي كانت تشهده المدينة وذلك عند مقارنتها مع أي صورة التقطت بعد عشرين سنة.

093 | طريق الآلام في مطلع القرن العشرين

التقطت هذه الصورة في مطلع القرن العشرين، وهي تعطينا فكرة عن أبعاد التحول المعماري والتعميرات التي جرت في بقعة صغيرة من المدينة. وإذا تمعنا النظر فيها نلاحظ تحول منظر المدينة التي نشاهدها من داخل قوس الاكو هومو.



084 | الزاوية الاوزبكية

اخذ طريق الالام اسمه من المصادر المسيحية رغم عدم كونه شارعا مسيحيا، ففي محيط قوس الاكي هومو تقع الزاويتان الاوزبكية والافغانية اللتان كانتا بمثابة مركز للحياة الصوفية في المدينة. فليس من المستغرب لهذا السبب ان نصادف في هذا الشارع أشخاصا يرتدون ملابس اسلامية. وما زالت هاتان الزاويتان تقومان بنشاطاتهما، إذ يلتقي النقشبنديون في الزاوية الاوزبكيه والقادريون في الزاوية الافغانية فيما بينهم. والمبنى الظاهر في الجزء الايسر من الصورة هو الزاوية الاوزبكية. وفي الركن الأيمن من النافذة الأخيرة من نوافذ الطابق العلوي من المبنى يمكننا مشاهدة كتابة بناء تحمل الطغراء العثماني.

095 » | خان الحجاج النمساويين

طبقاً للمعتقدات المسيحية المتعلقة بطريق الآلام فإن النبي عيسى أجبر على حمل الصليب الذي تم صلبه عليه، وتم تجواله في أزقة القدس ثم أخرج إلى خارج المدينة من الباب الغربي. وقد سقط في هذه الفترة ثلاث مرات على الأرض. وقد تحقق السقوط الأول في المرحلة الثالثة التي تظهر في الصورة، وهذه المرحلة تقع في نقطة تقاطع طريق الواد مع طريق الآلام، وأقيم على هذا المكان خان الحجاج النمساويين.

096 » | خان الحجاج النمساويين مكان للترفيه

أقيم خان الحجاج النمساويين في سنة 1857، واستخدم في بداية الأمر مسكناً للقنصل النمساوي في المدينة وخلال العالمية الأولى غدا أحد أماكن الترفيه النادرة في المدينة. ويضم اليوم حديقة تعد من الحدائق النادرة التي يمكن ارتيادها لتناول كأس من الشاي فيها. وتظهر في الصورة مجموعة من اليهود الأرثوذكس وهم في طريقهم من المرحلة الثالثة إلى حائط المبكى. وبعد العصر العثماني شيد طابق آخر على خان الحجاج النمساويين وتحول إلى فندق حديث.





097 | حجاج مسيحيون في شارع الواد

هذه الصورة لا تحمل أي تاريخ، ولكن يستدل من وجوه معظم الأوربيين الموجودين بين الحجاج المسيحيين المجتمعين أنها التقطت بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة. ويبدو أن هذا الجزء من المدينة ما زال يعكس طابع الحقبة العثمانية. والمبنى الظاهر في الركن الأيسر من مفترق الطرق هذا والكائن مقابل خان الحجاج النمساويين هو حمام عثماني قديم. والمعروف ان حمام السلطان بقي لسنوات طويلة الحمام المفضل في القدس. وهذا الحمام بني في الأصل ليكون موردا لوقف الخاصكي المقام في القدس في عهد السلطان سليمان القانوني. غير ان الحمامات فقدت اهميتها ولا سيما في الاوقات التي عانت المدينة من ازمة في مجال المياه. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أصبح الحمام الموقوف لا يجدي نفعا، بل على العكس من ذلك صار عبئاً على الوقف فتم بيعه الى عائلة الخالدي. وبعد مدة دخل المبنى بيد الأرمن الكاثوليك الذين كانوا يريدون اقامة كنيسة مكانه.

شهادة شارع الواد | 098 »

التقطت هذه الصورة قبل سنة ١٩١٨م ويظهر فيها الجزء الممتد من شارع الواد نحو حائط المبكى، وهذا الشارع يعد من الشوارع الرئيسية التي تؤدي الى حائط المبكى، ولهذا من الممكن أن نشاهد فيه وفي كل ساعة من ساعات اليوم مسلمين يتوجهون نحو المسجد الأقصى ومسيحيين يؤدون طقوس الحج ويهودا يذهبون إلى حائط المبكى او يعودون منه. والتقطت هذه الصورة ويتلل تاكيد في مثل هذا الوقت، وعلى الرغم من كون القدس صغيرة الا انه كان بوسعها أن تؤوي العالم كله.

عالم متكامل في الأزقة | 099 »

كان بعض الحجاج المسيحيين في العصر العثماني يفضلون السير زاحفين الى المكان الذي سقط فيه النبي عيسى على الأرض. وطبقاً للمعتقدات المسيحية فان النبي عيسى سقط عدة مرات من الصليب في طريق الآلام. وفي احدى المرات اصبح وجها لوجه مع امه السيدة مريم. والتقطت هذه الصورة في ١٤ كانون الثاني سنة ١٩١٤ ويظهر الجزء المطل من شارع الواد على باب العامود.







100 | زقاق بأنصاف الأقواس

شيدت البيوت في مدينة القدس في العصر العثماني بجدران من الحجر المتكتل وتتكئ بعضها على بعض مما يحول دون انهيارها وبهذا من الممكن بناء طابق ثان أو ثالث عليها. واتكاء هذه البيوت بعضها ببعض له في الوقت نفسه وجه اجتماعي. وكانت الحياة داخل أسوار المدينة تستمر باتكاء الجدران بعضها ببعض كما هي الحال في هذه الجدران. وتعود هذه الصورة إلى سنة 1860م.



101 | من المرحلة الخامسة إلى المرحلة السادسة

الزقاق الظاهر في الصورة ليس زقاقاً عادياً ذا أقواس. فاستناداً إلى ما ورد في المصادر المسيحية فإن النبي عيسى عندما أخذ إلى خارج المدينة وعلى ظهره الصليب كان يتعذب تحت وطأة الصليب، وفي هذا الوقت أخذوا الصليب من ظهره وحملوه على ظهر شخص يدعى Syrenelli Simon. وهذه النقطة شكلت المرحلة الخامسة في مسار الحج المسيحي. وفي هذه المرحلة كان النبي عيسى ينزف دماً ويتصبب عرقاً، ثم قامت فيرونيكا بمسح وجهه وذلك في المرحلة السادسة. والطريق المؤدي من المرحلة الخامسة حتى السادسة هو هذا الطريق ذو الأقواس والظاهر في الصورة. والباب الظاهر في نهاية هذا الطريق ذي الأقواس هو النقطة التي كانت فيها أسوار المدينة في عهد النبي عيسى. وتعود هذه الصورة إلى سنة 1890م.



٢ 102 | أقواس وشرفات

حظي هذا الزقاق بأقواسه وشرفاته باهتمام مصوري القدس بشكل دائم. وعندما يكون المرء في هذا الزقاق يشعر وكأنه في مدينة ماردين (التركية) أو في الحي القديم بالقاهرة. إن الأزقة الضيقة تجعل من البيوت أكثر روعة وتضع الشرفات في وضع كأنها تشرف على الحياة. والحقيقة أن الأحداث المدونة في المعتقدات المسيحية وإن جرت في هذا المكان، فإن الزقاق كان يختلف كثيراً في تلك الأيام مما هو عليه الآن. إلا أن المصورين الأوروبيين اعتبروا هذه الصور كأنها صور لمباني تعود إلى عهد النبي عيسى.



٢ 103 | وجوه قديمة وجديدة في القدس

التقطت هذه الصورة من نفس النقطة التي التقطت فيها الصورة السابقة ولكن بعد مرور عشر سنوات، وهي صورة تعكس أمام الأعين التحول الثقافي في القدس، ويعتقد أن هذه الصورة التقطت بعيد جلاء العثمانيين من المدينة. وتظهر فيها امرأة فلسطينية بزيها التقليدي وامرأة غربية بتنورتها القصيرة وكمها القصير وشعرها القصير وحقيبتها وقد تم جمعهما في هذه الصورة.

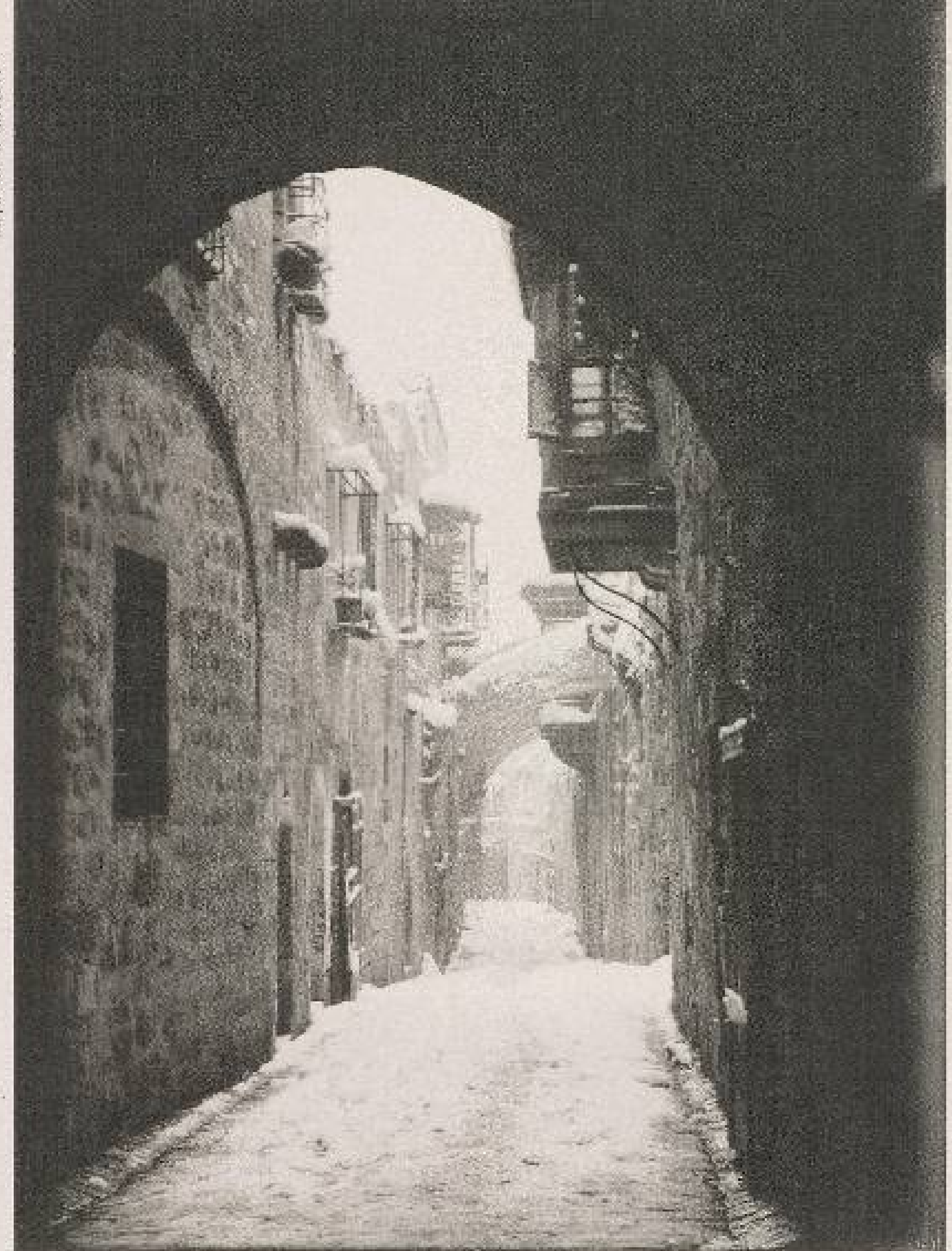


« 104 | لحظة امتزاج الخيال بالحقيقة

ابرز العديد من المصورين الذين كانوا يلتقطون الصور في القدس في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مشاهد بطوابع شرقية في صورهم. ومما لا شك فيه أن C.H.Graves الذي التقط هذه الصورة في ١١ تشرين الثاني ١٩٠٩ سعى جاهداً إلى جمع النساء اللواتي يحملن جرات المياه على رؤوسهن وشيوخ العرب وهم شدوا عصاباتهم على رؤوسهم والجنود العثمانيين ذوي الطاقيات. ومشاهدة النساء القرويات اللواتي يحملن جرات المياه على رؤوسهن ليست شيئاً غير مألوف، إلا ان وقوف هؤلاء مع الشيوخ الافندية امام كاميرة احد الاوربيين لالتقاط صور لهن يظهر مدى كفاءة كراوس في مجال اقناعهن.

« 105 | بيوت ذات شرفات في أزقة القدس

تعكس هذه الصورة ما كان عليه الزقاق الظاهر في الصورة السابقة قبل سنة ١٩١٤، كما تظهر البيوت ذات الشرفات التي دخلت الى عمارة القدس في العصر العثماني. والمعروف ان هذا النوع من البناء قد ترك بعد هذا العصر، ولهذا لا يمكن مشاهدته إلا في مناطق محددة من المدينة القديمة.





106 | زقاق دوعقد في يوم شتائي ثلجي

تسقط الثلوج في مدينة القدس في عدة مرات من السنة، ومن النادر أن تبقى متراكمة على الأرض أكثر من يوم واحد، وترتفع المدينة عن مستوى سطح البحر ٨٠٠م ولهذا فإنها بمثابة هضبة قياسا الى المدن المجاورة، وعند حلول الثلوج فيها يزورها اهالي يافا وغزة ليشاهدوا منظر الثلوج كأنهم في عرس، وعند عودتهم كانوا يحاولون ان ينشئوا في ذاكرتهم الاحساس بلمس الثلج، وهذه الصورة نقلت تلك الظاهرة حتى يومنا هذا.

107 | طلوع جامع الخانقاه تحت الثلوج

يؤدي هذا الطريق الى قلب حي النصارى في القدس، ويقع في نهاية الطريق كنيسة تيرا سانتا وهي مركز الفرنسيسكان الذين يمثلون الكنيسة الكاثوليكية في الأراضي المقدسة، وبطريركية الروم الأرثوذكس وشارع النصارى. وكذلك جامع الخانقاه الذي تظهر مئذنته في الصورة، وبنى هذا الجامع صلاح الدين الايوبي ويقع خلف كنيسة القيامة. وخلال استمرار الحروب مع الصليبيين بعد تحرير القدس منهم نقل صلاح الدين مقر قيادته إلى غرفة بجوار هذا الجامع ليدير منه الجزء المتبقي من الحرب، وبهذا تمكن من التصدي لمحاولات اغتياله.



« 108 | باب العدل وطريق خان الزيت

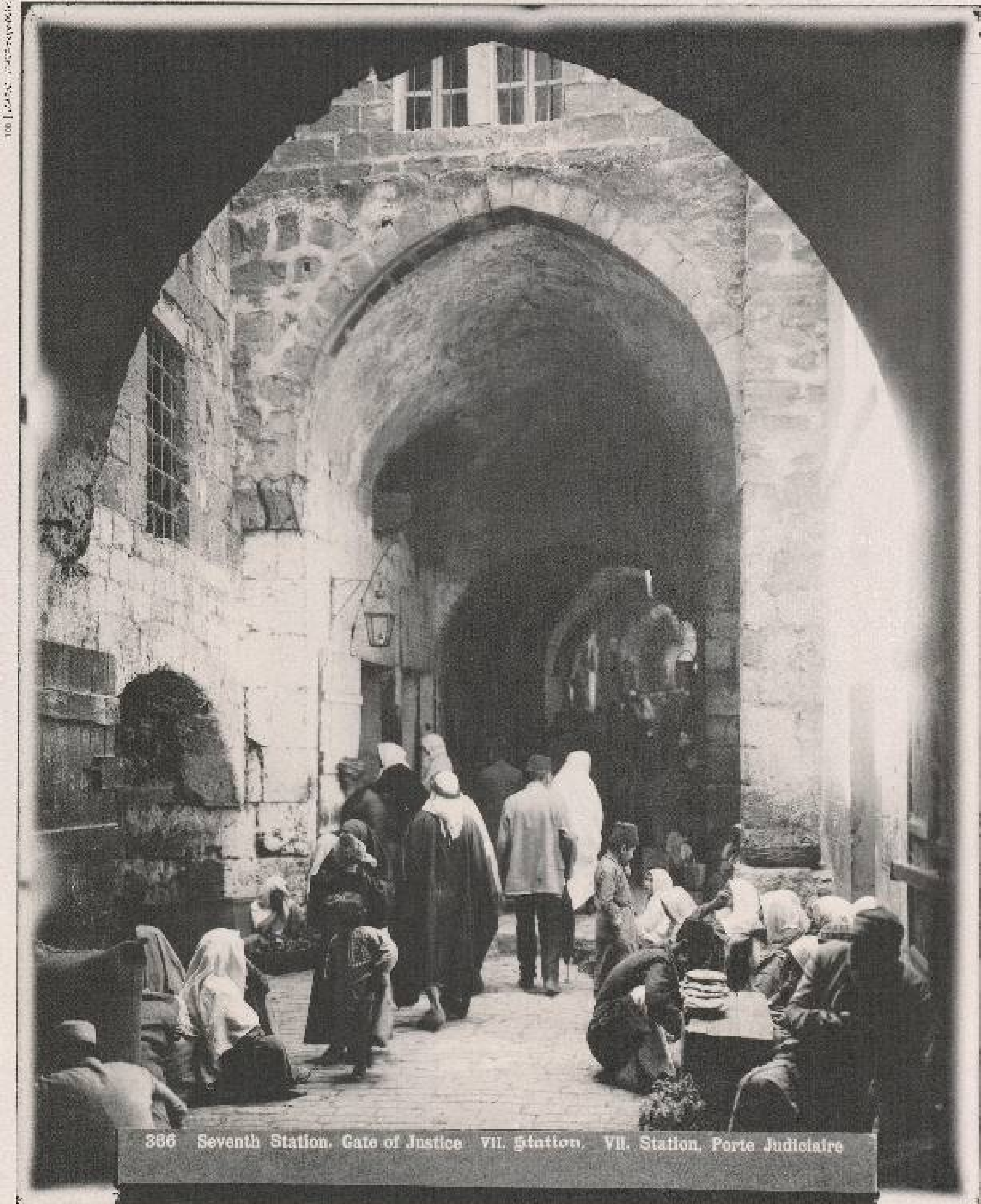
ان الشيء الوحيد الذي زال من هذه الصورة اليوم هو غطاء الراس العثماني. ودون هذا فقد بقي كل شئ على حاله تقريباً. ويسمى الشارع الذي يقع في النقطة التي تنتهي فيها أسوار مدينة القدس والعائدة إلى العصر الروماني بطريق خان الزيت. والقوس الصغير الكائن في اليسار هو في الأصل القسم العلوي من قوس باب. وتمت تعلية الارض بمرور الزمن فلم يبق من الباب إلا القوس. ويطلق على هذا الباب اسم «باب العدل". وكانت اسوار المدينة تنتهي في هذا المكان وذلك في عهد النبي عيسى، وحسب ما ورد في الإنجيل فان النبي عيسى الذي كان يحمل الصليب على ظهره قد سقط على الأرض وذلك عند خروجه من باب المدينة، ولهذا يعتبر الصليبيون هذا المكان مقدساً، وتعكس هذه الصورة التي التقطت قبل سنة ١٩٢٠ الدور الفعال الذي كانت تلعبه النساء في الأسواق في القدس

↑ 109 | نقطة تقاطع الأزقة والحياة

يكان شارع سوق خان الزيت نقطة تلاقي أحياء القدس وطرز الحياة واختلافات الزي. وإلى الغرب من هذا الزقاق يقع اقدم الاماكن المسيحية على سطح الارض. والى الشرق يقع المسجد الأقصى والتكايا والزوايا الواقعة حوله. ووصل الشارع فيما بعد الى حائط المبكى.

» 110 | من خان الزيت إلى الخانقاه

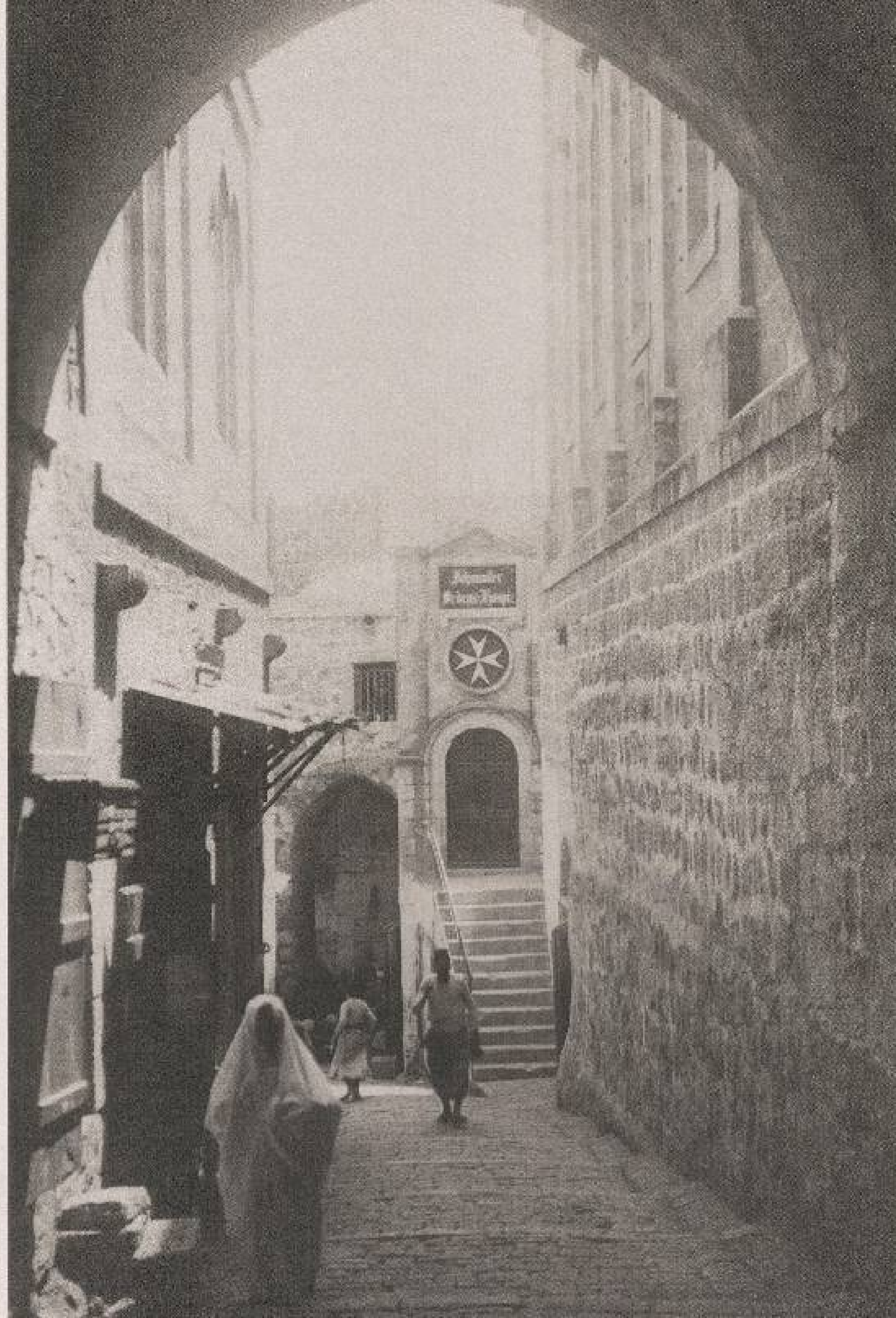
يظهر في هذه الصورة الزقاق المتفرع من شارع سوق خان الزيت إلى جامع الخانقاه. وهذا المكان هو المرحلة الثامنة حسب المعتقدات المسيحية. ويعتقد المسيحيون ان النبي عيسى قد خاطب بنات القدس المتباكيات في هذا المكان وتحدث عن الكوارث التي تتعرض لها المدينة بعده.




JERUSALEM - VII Station Porte Judiciaire.
Gate of Justice.
Eingang zum Gerichtsgebäude.

عندما التقطت هذه الصورة في سنة ١٩١٤م كان الدولة العثمانية في وضع منهك لخروجها من حروب البلقان. ولكن كان من الواضح أن اوروبا كانت تتهيأ لحرب عالمية عامة. فالانكليز بداوا ومنذ مدة بحشد الجنود في مصر التي كانوا يسيطرون عليها، وعند وقوع الحرب فان القدس وغزة كانتا ستكونان من المدن التي يطمح الانكليز السيطرة عليها قبل حين. وفي هذه الفترة زاد عدد الجنود العثمانيين في المدينة. وبعد عدة سنوات ستتحول القدس الى مقر للجيش الرابع العثماني ويتجول في هذه الأزقة عشرات الآلاف من الجنود العثمانيين. ولكن مما يؤسف له حل محلهم بعد مدة الجنود الانكليز الذين احتلوا المدينة. وفي هذه الصورة نجد مشهدا يعكس تعايش الجنود الأتراك واهالي القدس بسلام. وقد ترك ذلك في ذمة التاريخ.





« 112 | إبكوا على حالكم!

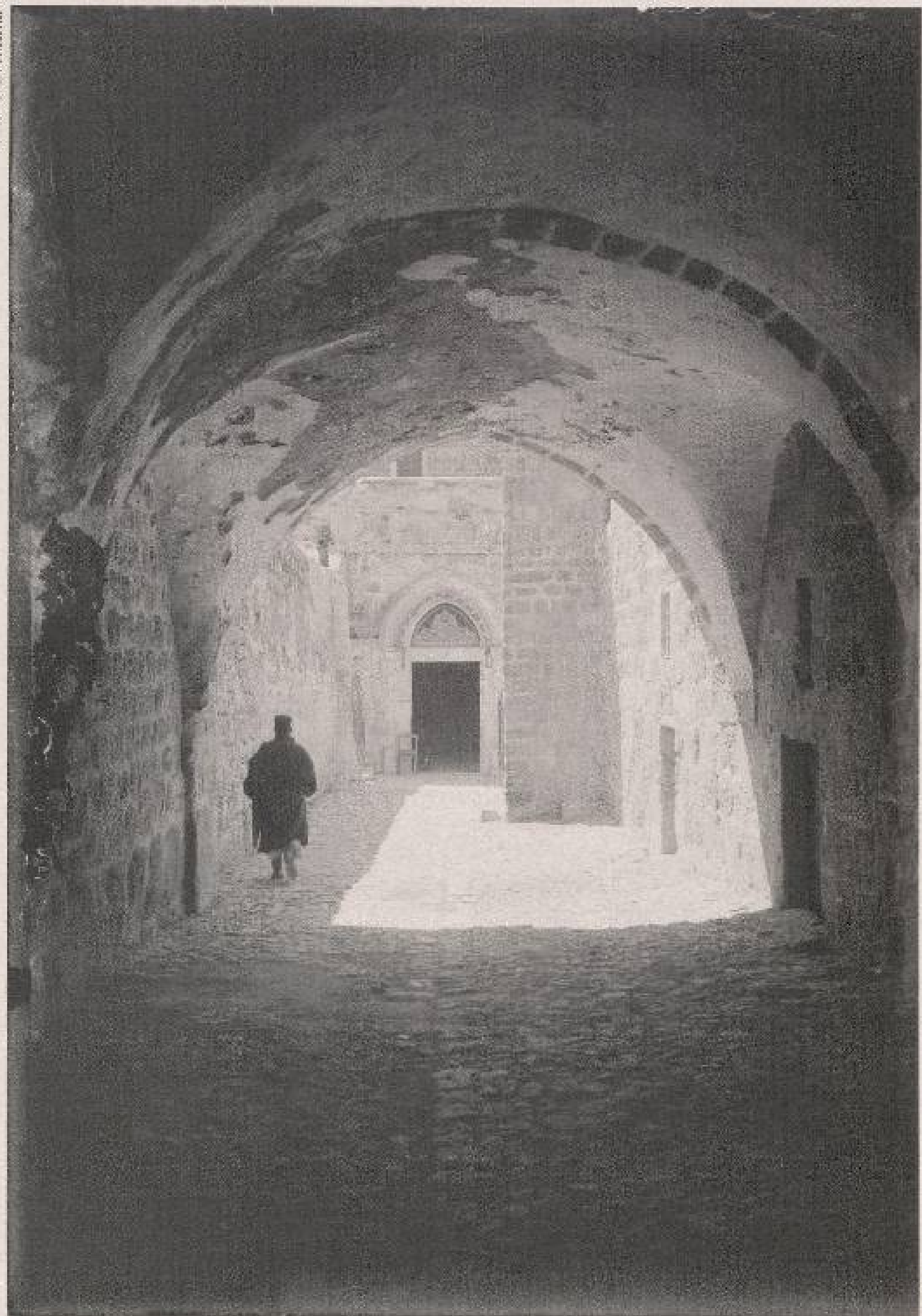
طبقاً للمعتقدات المسيحية فان النبي عيسى توقف مدة بين الحشود التي كانت تأخذه للصلب، والتفت الى نساء القدس اللواتي كن يبكين خلفه وخاطبهن قائلاً: «يا بنات اورشليم لا تبكين عليّ بل ابكين على انفسكن وعلى اولادكن» وبعد ان ذكر ذلك تطرق الى الكوارث الكبيرة التي تنتظرها المدينة بعده. ولا نعرف هل وقعت هذه الحادثة بالفعل، او كيف وقعت؟ ولكن لو قدر ضابط تركي بالقاء خطاب مماثل عند تركه القدس، فكان هذا الخطاب يكون في محله. وبعد جو من السلام والهدوء استمر ٤٠٠ سنة، فان القدس ومنذ ما يقارب المائة عام ما زالت تبكي. وهذه الصورة التقطت في كانون الثاني ١٩٠٠، وتعد احدى الصور الأخيرة من الهدوء.

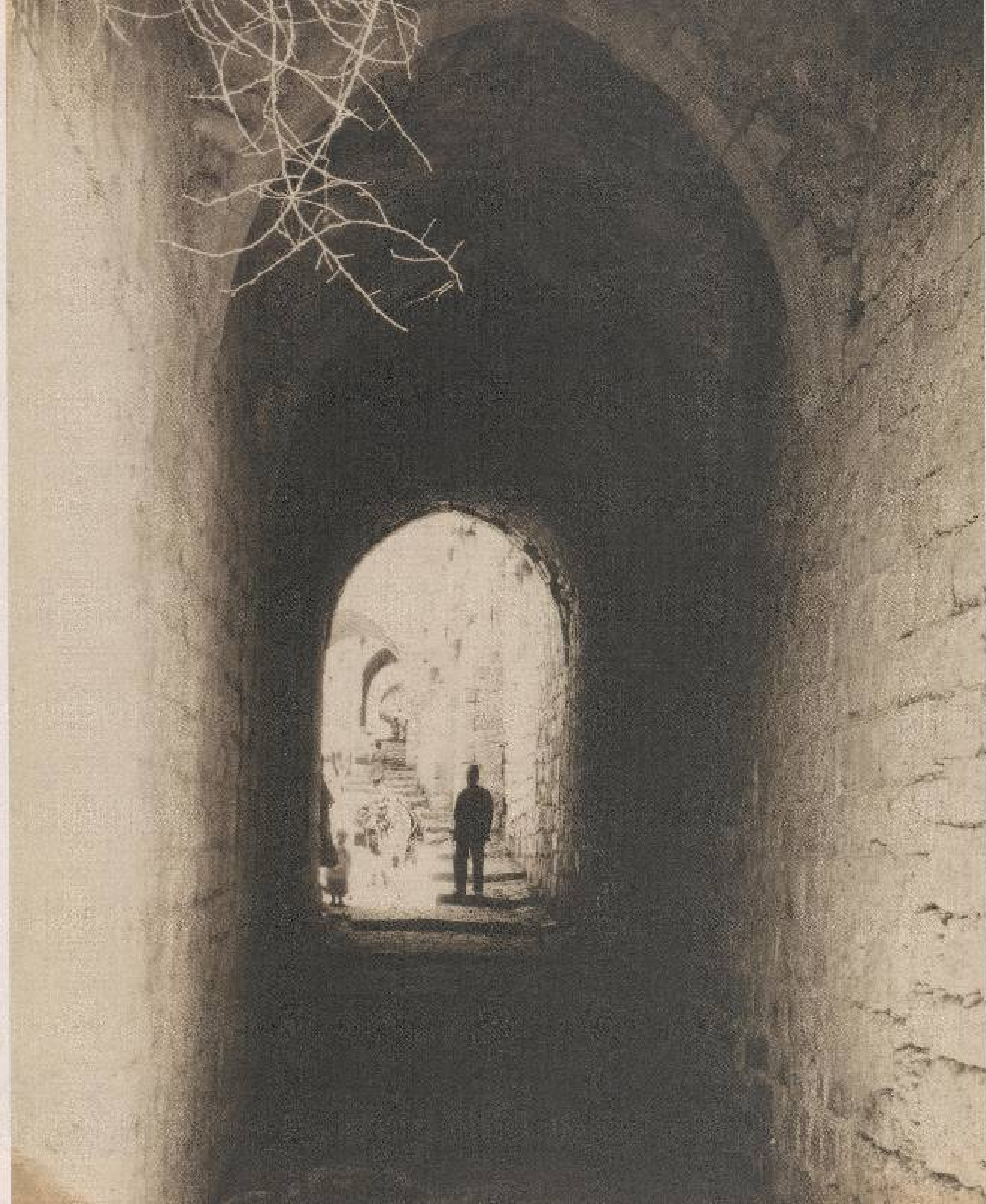
« 113 | الحياة في الأسطح

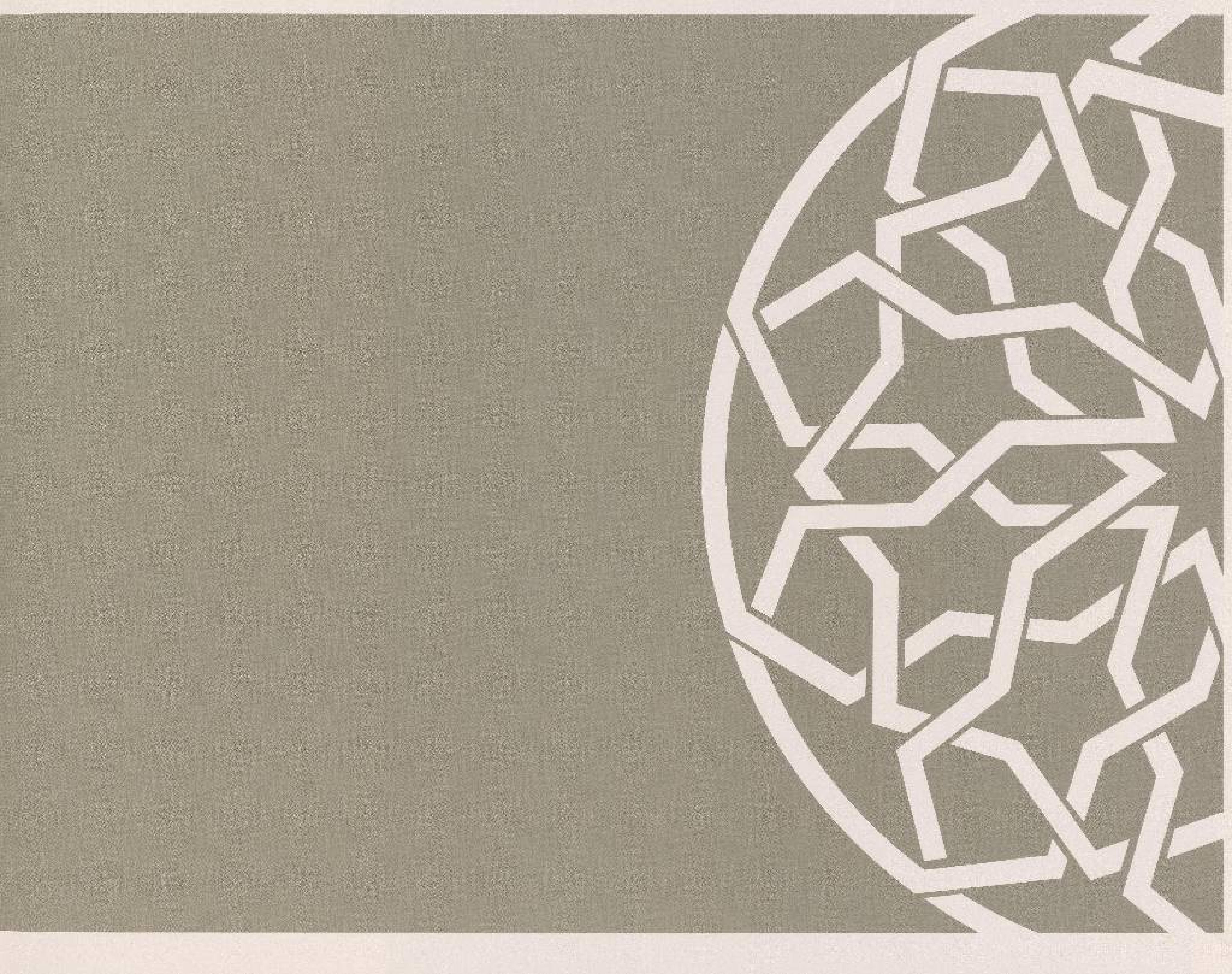
يمتد مسار طريق الآلام بعد إحدى النقاط إلى أسطح الأبنية فالمرحلة التاسعة التي سقط فيها النبي عيسى على الأرض للمرة الأخيرة تقع على سطح كنيسة القيامة. والباب الظاهر في الصورة هو باب دير القديس أنطوني العائد للقبط، والعمود الكائن بجانبه مباشرة يشير إلى موضع المرحلة التاسعة. ومن جانبه يتم المرور بباب إلى مقطع يضم كنيسة مسيحيي الحبشة وغرف الانزواء. والمعروف أن المسيحيين الأقباط والأحباش لم ينسجموا مع بعضهم البعض على مدى التاريخ بل وقعت بينهم مصادمات كثيرة حول المرحلة التاسعة. وقد توجهت مساعي متصرفي القدس في العصر العثماني إلى تهدئة هذه المصادمات.

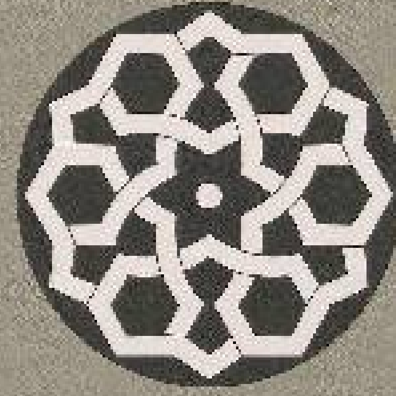
« 114 | طريق الباب الجديد

يمتد الطريق من جامع الخانقاه إلى الأمام ثم يلتوي بعد اجتيازه شارع النصارى حتى يصل إلى الباب الجديد المقام في النقطة الشمالية الغربية من المدينة القديمة. وأمام الباب الجديد مباشرة يقع خان حجاج نوتردام، ولهذا فإن هذا الطريق يستخدمه الحجاج المسيحيون بشكل كبير. والتقطت الصورة في ١٥ حزيران ١٩١١م.









القسم الرابع

الأماكن المقدسة





١١٥ » | حائط المبكى وحائط المعمار سنان

إن تاريخ وجود حائط المبكى معروف عندنا، فقد شيد هذا الحائط في سنة ٢٠ق.م هيرودس الأكبر ليكون مسنداً للمعبد الثاني وذلك عند قيامه بتوسيع مكان الجلوس. وليست له أية قدسية، ولا يتميز من الناحية الفنية عن الحائطين الجنوبي أو الشرقي. ولكن لا يعرف بالتأكيد متى خصص مكاناً للعبادة عند اليهود. وتذكر المصادر اليهودية أن المعمار سنان كان له أبلغ الأثر في تخصيصه لليهود، وذلك في عهد السلطان سليمان القانوني. وكان المعمار سنان مرّ بالقدس وهو في طريقه إلى مصر للقيام بإجراء دراسة حول تعمير الآثار المملوكية في مصر. ويروى أن اليهود كانوا يقومون حتى ذلك اليوم بإجراء طقوسهم الدينية في جبل الزيتون وفي جوار باب التوبة والرحمة الذي كانوا ينتظرون فيه ظهور المسيح. ولكن في أواخر العهد المملوكي ازدادت اعتداءات قطاع الطرق ولهذا تقرر بناء سور للمدينة. وعندما علم اليهود بهذا طلبوا اقامة معبد خاص بهم واحاطته بجدران. وأرسل طلبهم الى استانبول ومن ثم إلى المعمار سنان. واستمزج المعمار سنان رأي رجال الدين اليهود، ثم قرر ان انسب مكان لإقامة المعبد هو مكان حائط المبكى الحالي. وكان يوجد امام هذا الحائط مباشرة حي للمسلمين ولكي يجعل المكان خاصاً باليهود فقد اقام حائطاً آخر على بعد ثلاثة امتار من امام الحائط[*]. وبعد احتلال ١٩٦٧ ازيل الحائط الظاهر في الصورة وكذلك حي المغاربة الواقع خلفه.

---

[*] ترد هذه القصة المتعلقة بحائط المبكى في الكثير من المصادر اليهودية. وانسجامها مع الوقائع التاريخية مشكوك في امره، لأنه لم يرد في الأرشيف العثماني أي معلومة تتعلق بزيارة المعمار سنان إلى القدس.

١١٤ » | حائط المبكى

هذه الصورة التي لا نعرف مصورها التقطت على الاغلب بين سنتي ١٨٨٠ – ١٨٩٠ والتجاويف الموجودة في الحائط تدل على اقامة بعض الخيم أمام حائط المبكى في العصر العثماني الا ان هذا لم يرد في المصادر. وقد تم تخفيض أرضية حائط المبكى بمقدار مترين تقريباً ولهذا فان هذه الثقوب والتجاويف اصبحت في علو اكثر ارتفاعاً من طول الانسان.

١١٧ – العبادة معاً في حائط المبكى

التقطت صورة حائط المبكى هذه من قبل قسم التصوير للكولونية الأمريكية، وذلك بين سنتي ١٨٩٨ و١٩١٤م وهي واحدة من مجموعة صور تم وضعها في دليل للصور. وكما يظهر في هذه الصورة فإن النساء والرجال المتعبدين لا يتم تفريق بعضهم عن بعض في حائط المبكى وذلك في العصر العثماني. وهذا الأمر كان ينسجم في الأصل مع عادات اليهود السفارديم المنتشرين في الأراضي العثمانية. وأراد اليهود الأشكناز الذين اقتحموا فلسطين من أوروبا الشرقية في أواخر القرن التاسع عشر إقامة جناح خاص للنساء وآخر للرجال في حائط المبكى. إلا أن محاولتهم هذه أدت إلى وقوع حدث أوقع اليهود بالعرب وذلك في سنة ١٩٢٩م، وقد سفكت الدماء ولأول مرة في العلاقات العربية الإسرائيلية في هذه الأحداث.

١١٨ – صور القدس المرسلة إلى استانبول

التقط هذه الصورة G.Sabounji وهو سرياني من ديار بكر. ويبدو أنه كان يعرف أن هذه الصورة سترسل إلى استانبول وقد ذكر ذلك إلى اليهود الذين وقفوا أمام آلة التصوير. ولا تعكس هذه الصورة واقع الحياة. فالوجوه الواردة في الصورة والتي يشكل اليهود جميعها، تم اختيارها بشكل خاص، فهي وجوه أصيلة توحي بأنها تعاني من الفقر. واليهود في الظروف الاعتيادية لا يديرون ظهورهم عن حائط المبكى عند العبادة، إذ يُعد هذا بالنسبة إلى معظم اليهود المتدينين احتقاراً كبيراً. وسجل المصور في أسفل الصورة عبارة حائط سليمان الذي يبكي فيه اليهود، ويستدل من هذا أنه سعى إلى ربط البكاء بالبؤس.


399 Jews' Wailing Place. Le Mur de Pleurs







١١٩ | حائط المبكى ونحت روماني على الحجر

عندما بُني حائط المبكى كمسند للمعبد الثاني من الناحية الغربية كانت الأراضي المقدسة منضوية تحت الحكم الروماني، وكان هيرودس الكبير الذي أمر ببناء الحائط من المعجبين بالعمارة الرومانية. وبهذا تمّ إبراز النحت على الحجر بالأسلوب الروماني في نسيج الحائط الغربي، وأحجار الحائط كبيرة وثقيلة إلى حد ما، غير أن الأشكال الجمالية ليست نفسها في كل الأحجار، بل هي ما نجده في حد الأشكال المألوفة في المنطقة. والتقطت هاتان الصورتان بين سنتي ١٨٩٠ - ١٩٠٠ والباب الصغير الذي يظهر في الصورة في آخر نقطة من المكان المخصص لليهود كان يؤمن المرور إلى كنيس يهودي تحت الأرض.

١٢٠ | نساء يهوديات محجبات الرؤوس

إن النساء اللواتي يظهرن في الصورة لم يغطين رؤوسهن بسبب تزامن هذه المرحلة مع العهد العثماني، بل أن الديانة اليهودية كالدين الإسلامي فرضت على النساء تغطية رؤوسهن ورأت أن من المهم أن تقوم ربات البيوت بشكل خاص بتنفيذ هذا الأمر لسلامة الرابطة الزوجية. وكما يظهر في الصورة فإنه من غير الممكن تمييز النساء اليهوديات في القدس عن النساء المسلمات.



ج 121 | أشكال يهودية في حائط المبكى

يبدو أن هذه الصورة التقطت قبل المباشرة بوضع فاصل بين الرجال والنساء في حائط المبكى أي في العصر العثماني أو بُعيد هذا العصر. ويظهر فيها أشكال اليهود ومن ذوي الأصول البولونية والذين ازداد عددهم في القدس بشكل سريع في تلك المرحلة. ومما يلفت النظر فيها وجود يهود يرتدون غطاء الرأس العثماني إلى جانب اليهود الاشكناز ذوي الطاقيات المصنوعة من الفرو. ولعلهم (المرتدين بغطاء الرأس العثماني) من أصول مغربية ويمنية وعراقية وكانوا ينتسبون إلى المذهب المسمى «مزراحي».



ج 122 | نساء في حائط المبكى

عرّف الإخوة ماتسون هذه الصورة بأنها «نساء في حائط المبكى»[1]. وتعود كثافتها التي تمثل مشهدا من الرجال اليهود إلى الفترة 1920-1930م.





١٢٤ | الوجود اليهودية الغربية التي زادت في القدس

هذه الصورة اعادها قسم التصوير بالكولونية الامريكية إلى الفترة بين سنتي ١٩٢٠-١٩٣٠ ولتظهر بداية ظهور اليهود الغربيين بعد ان ازداد عددهم في حي اليهود وحائط المبكى وذلك في أواخر العصر العثماني.

١٢٣ | صورة مصطنعة في حائط المبكى

التقطت هذه الصورة حوالي سنة ١٩٠٥م، ويبدو فيها جو «اصطناعي» واضح وهذه الاصطناعية تكمن في جمع اليهود من بيئات مختلفة مع بعضهم البعض لا يمكن تقريبهم في ظروف اعتيادية. ومن الواضح ان المصور قصد بهذا توثيق الازياء المختلفة على وجه الخصوص.



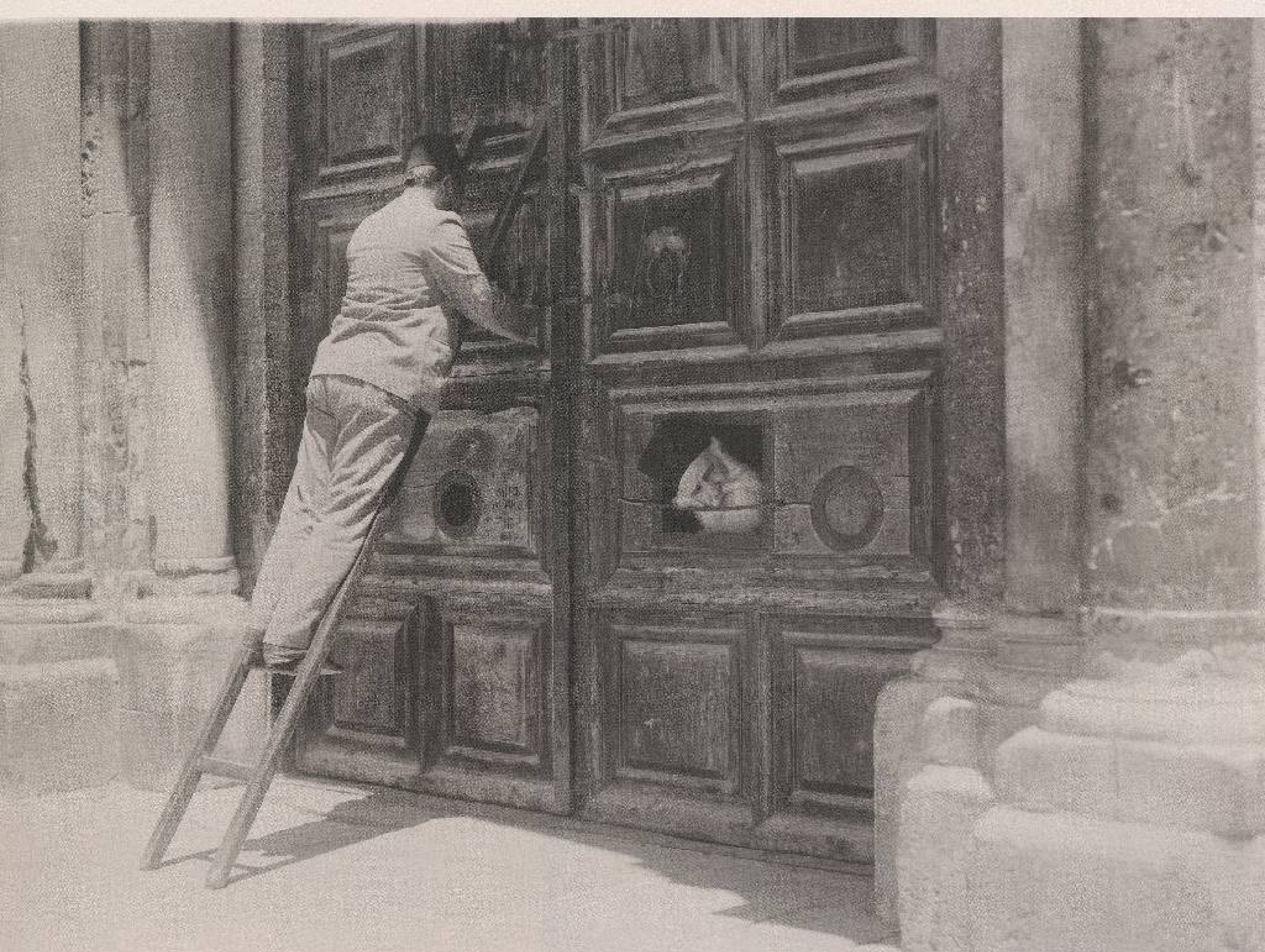
« 125 | حائط المبكى في أحد أيام العيد

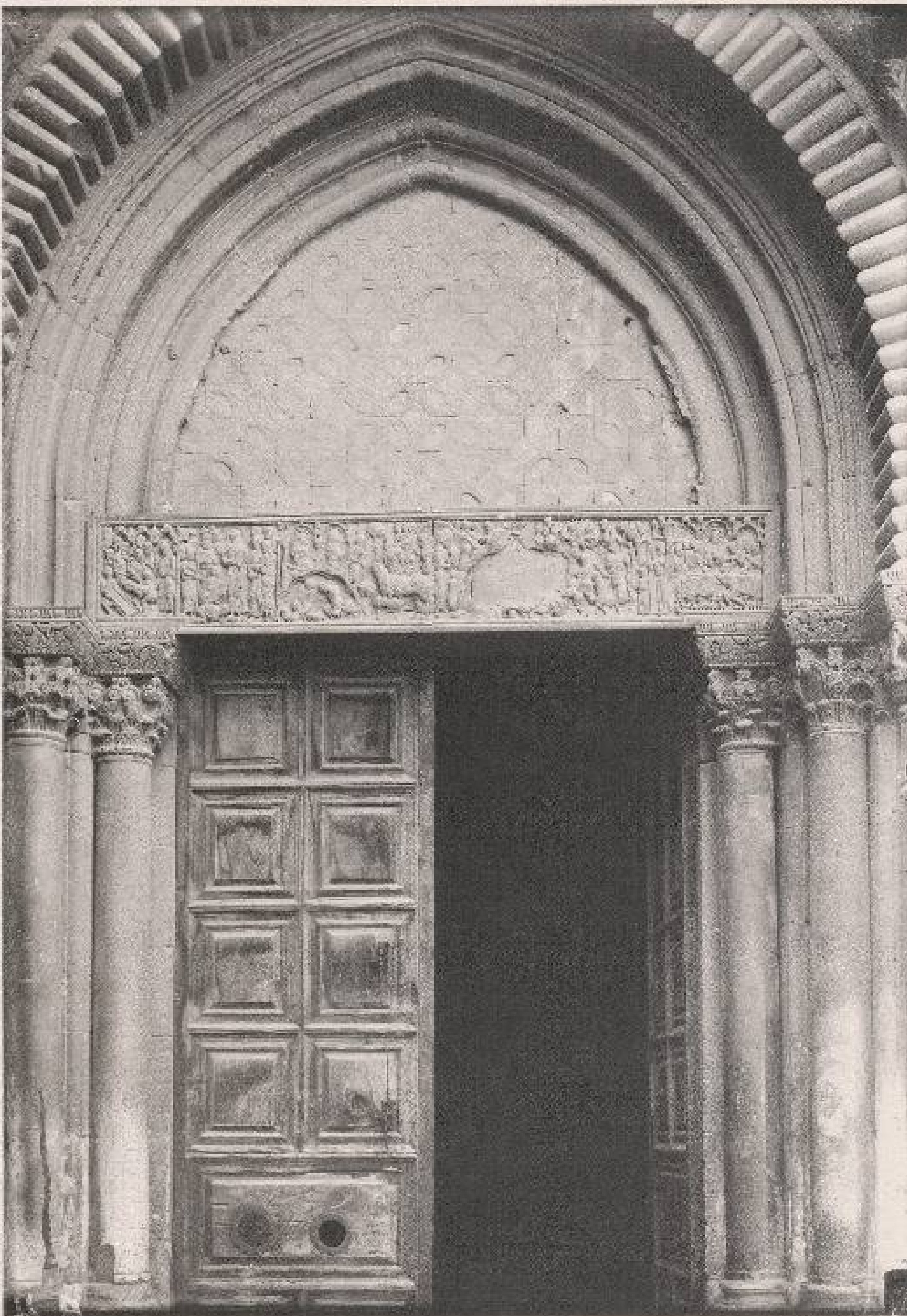
من النادر أن نجد اليوم تجمع حشد من الناس كهذا في حائط المبكى في يوم اعتيادي. وتعود هذه الصورة التي التقطت بين سنتي 1898-1914 إلى أحد أيام العيد على الأغلب. ويحتمل أن هذا اليوم هو يوم الكفارة (Yom Kipur) وذلك لعدم وجود العناصر التي تشكل مؤشر الأعياد الأخرى (على سبيل المثال النخيل الذي يتم حمله في عيد المظلات). وعلى أية حال يلاحظ في هاتين الصورتين اللتين التقطتا في اليوم ذاته أن التعددية الثقافية التي كانت سائدة في القدس خلال العصر العثماني كانت موجودة داخل الطائفة اليهودية أيضاً.



126 | تعددية ثقافية في حائط المبكى

التقطت هذه الصورة على اغلب التقدير متزامنة مع الصورة الكائنة إلى اليمين، ويتجلى فيها ان التعددية الثقافية التي شهدتها المدينة في المرحلة الأخيرة من العهد العثماني قد عاشتها في نفس الوقت الطائفة اليهودية.





١٢٧ | 127 مفتاح الباب بيد المسلمين

يتولى الإشراف على باب كنيسة القيامة اليوم عائلتان مسلمتان، وهذا يعني أنه ليس بيد المسيحيين. ويُذكر أن صلاح الدين الأيوبي أراد بعد طرد الصليبيين الكاثوليك من المدينة سنة 1192م تسليم مفاتيح الكنيسة إلى المسيحيين المتبقين في المدينة. إلا أن المذاهب المسيحية اختلفت فيما بينها حول من يشرف على الكنيسة. ولهذا تم تسليم المفاتيح إلى عائلتين مسلمتين، إذ أعطي حق المحافظة على المفاتيح إلى آل جودة، أما عملية فتح الأبواب وغلقها فأصبح من واجب آل نسيبة.

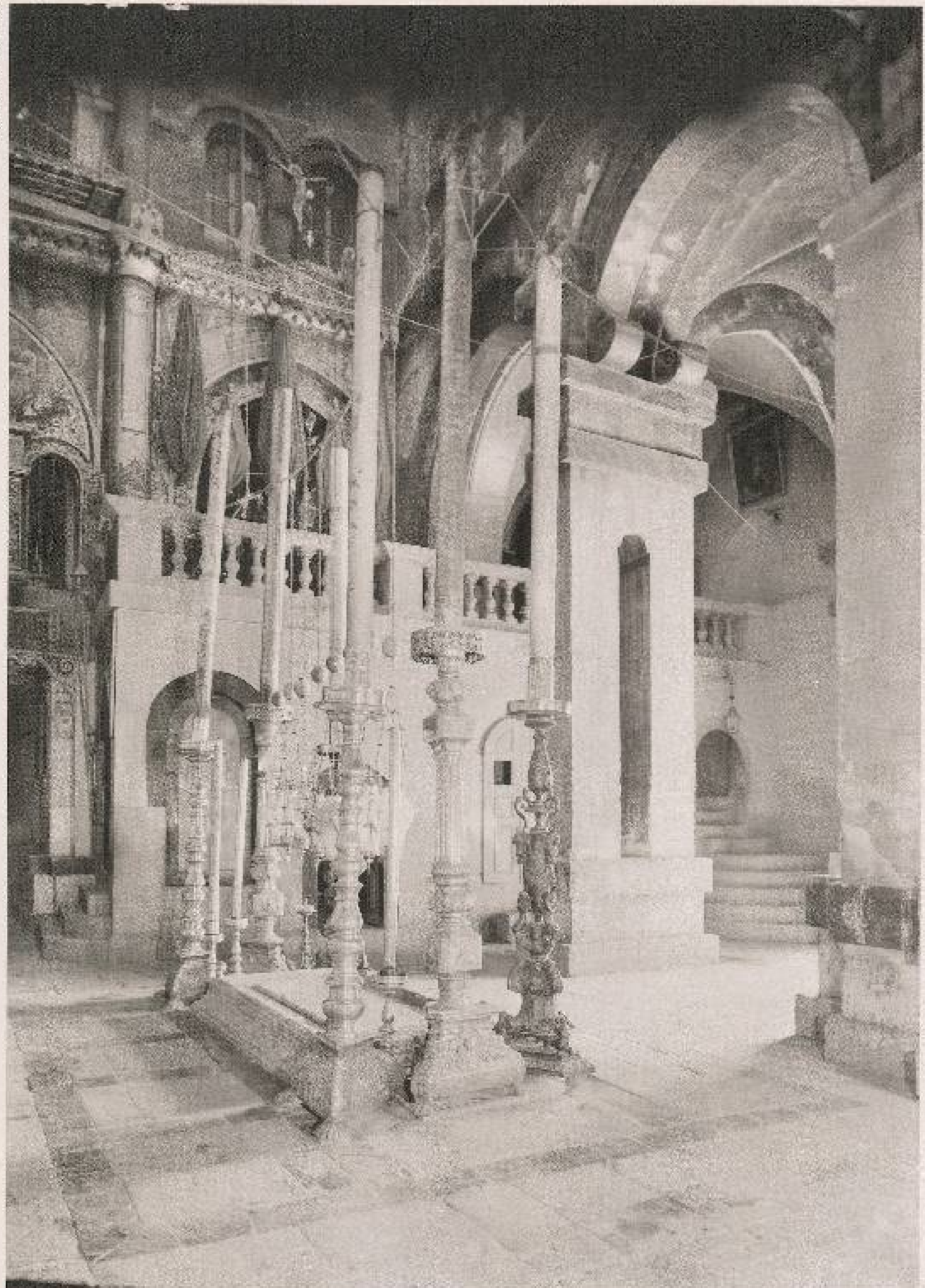
١٢٨ | 128 باب كنيسة القيامة

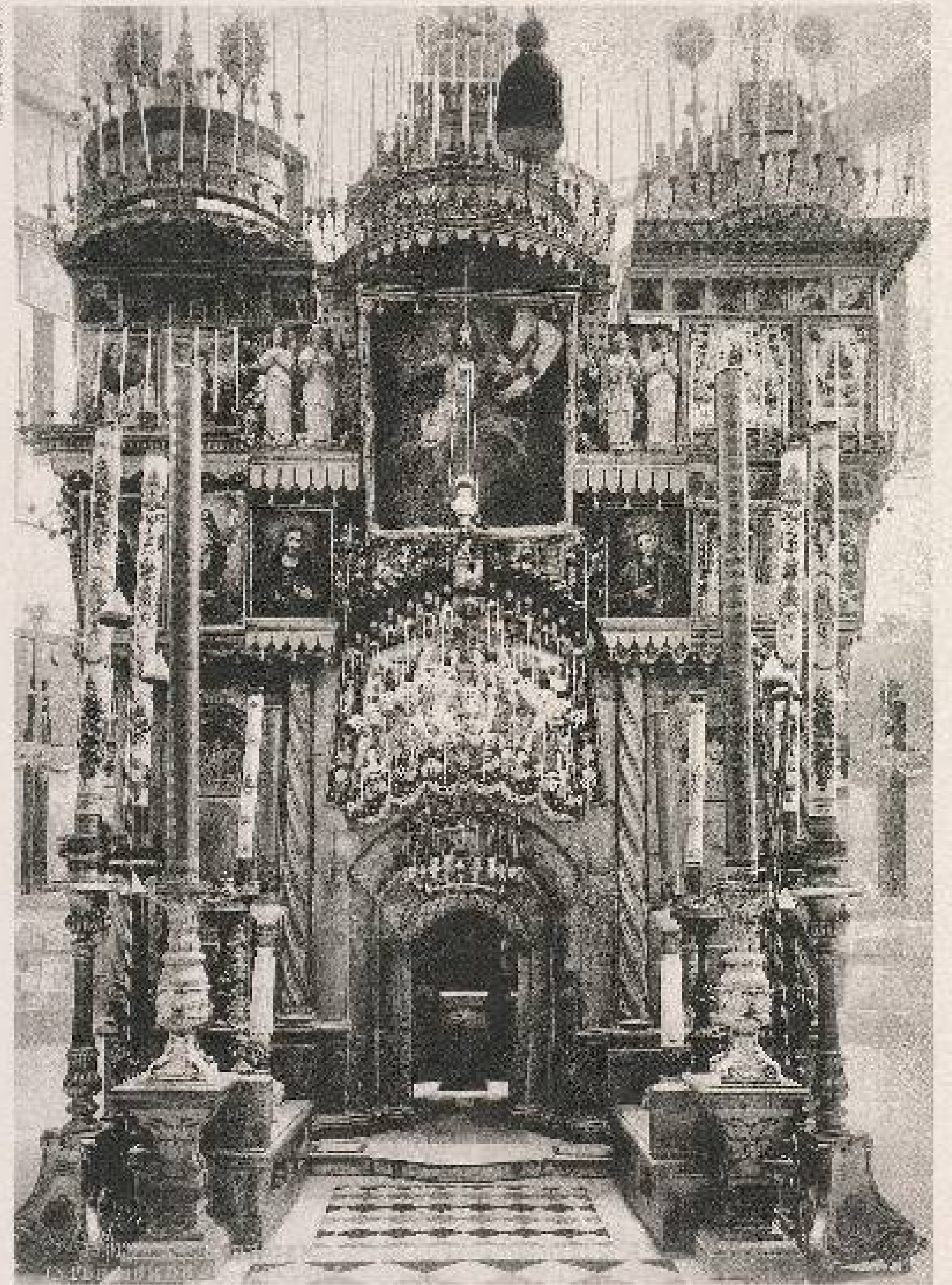
أخذت كنيسة القيامة هذا الاسم حسب المعتقدات المسيحية من قيام النبي عيسى من قبره لكون المكان الذي دفن فيه موجودا فيها. ويرد الاسم في بعض المصادر العربية بشكل «كنيسة القمامة» أيضا. ويبدو أن هذا الاسم الذي يعني «جماعة وقمامة» مصحّف بشكل مقصود من اسم «كنيسة القيامة». ويحافظ باب الكنيسة اليوم على نفس الملامح تقريبا؛ إلا أن النقوش الرائعة التي كانت على مصراعيه لم يبق لها وجود. وهذه النقوش كانت مزينة برسوم لمجموعة من القصص التي وردت في الإنجيل ويتضمنها النقش المتعلق بالمناسبات التي أمضاها النبي عيسى مع حوارييه ويضمنها العشاء الأخير.

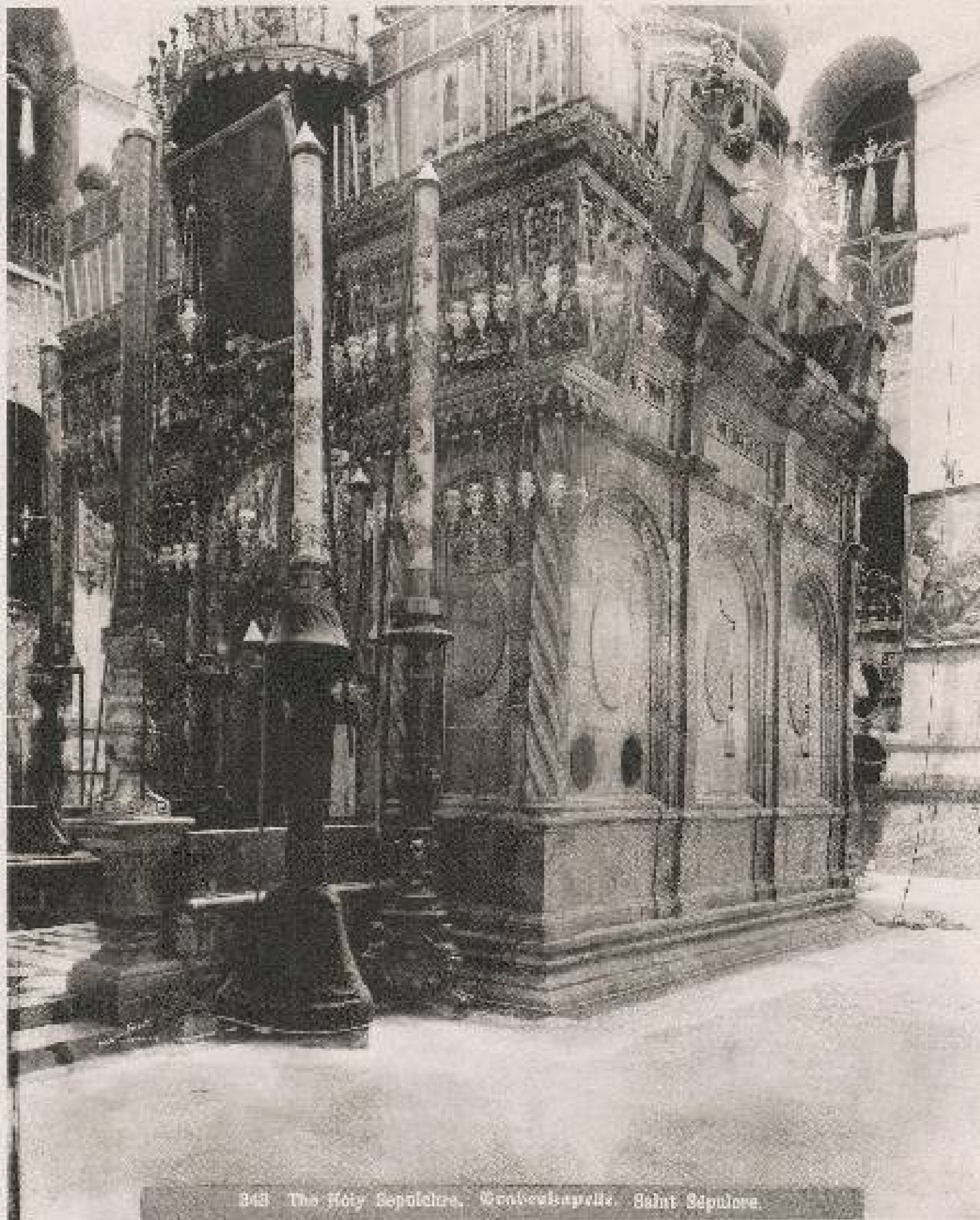
« 129 | حجر المصلى يقدس ما هو غير استثنائي

تقع المراحل الخمسة الأخيرة من مسار الحج المسيحي في كنيسة القيامة والمرحلة العاشرة منها تمثل المكان الذي مدد فيه الصليب على الأرض حيث جُرِّد النبي عيسى من ملابسه وصلب من رجليه ويديه، والمرحلة الحادية عشرة هي المكان الذي تم وضع الصليب في تجويف على حجر الجمجمة.

وفي المرحلة الثانية عشرة لفظ النبي عيسى أنفاسه الأخيرة. أما في المرحلة الثالثة عشرة فقد وضع على الجسد حجر المصلى الظاهر في الصورة. أما المرحلة الأخيرة فهي القبر المقدس الذي دفن فيه وبعث. ويعتقد المسيحيون بقدسية الأشياء العادية التي وضعت على الحجر الوارد في الصورة. ويطلبون من حجاج القدس أن يأخذوا إلى بيوتهم ما يمسح على هذا الحجر من شموع وتسابيح وعطور. وقناديل الكريستال الموجودة على الحجر ما زالت باقية في أماكنها لأن هذه القناديل لم توضع لأجل الإنارة، بل لأنها تمثل كنائس مختلفة لها الحق أن تحجز مكانا لها وتخدم فيها. وعلى الرغم من أن الصورة التقطت قبل سنة ١٩١٧ إلا أن منظرها اليوم ما زال نفسه تقريبا.







130 | **القبر المقدس**

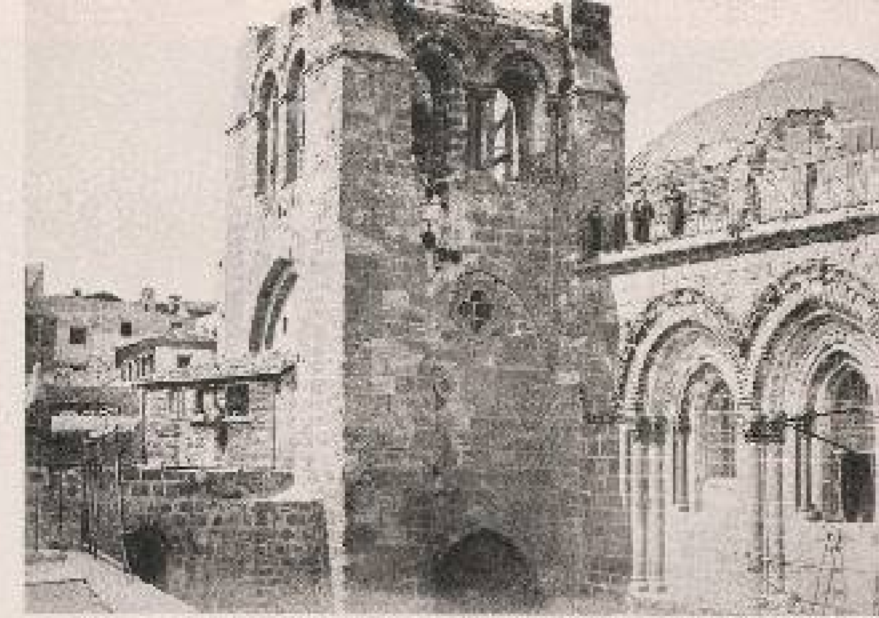
أُنزل النبي عيسى من الصليب حسب المعتقدات المسيحية وتم تعطير جسده بالعطور ثم دفن في مكان قريب في قبر خالٍ. وكان اليهود يخافون من سرقة جثة المسيح ومن شيوع أسطورة قيامه، وذلك لوجود بشائر تشير الى قيام المسيح مرة اخرى بعد القتل. ولهذا وضع حجر كبير امام مدخل القبر، كما وضع جنود رومان لحراسته، ولكن حسب احدى الروايات المسيحية فان النبي عيسى الذي غادر الحياة في احد ايام الجمع قد قام من جديد بعد ان نفخ جبرائيل الروح فيه، وقبل صعوده الى السماء تجول اربعين يوما وذلك بمعية الانقياء بحوارييه. والتقطت هذه الصورة قبل سنة ١٩١٤.

131 | **القبر الذي اكتشف بعد ثلاثة قرون**

اكتشف هذا القبر بعد ثلاثة قرون من قبل هلينة والدة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التي كان يعتقد انها قديسة، واقيم محله القبر المقدس، وهذا القبر الذي حافظ على وجوده في العهد العثماني يعود إلى المرحلة الصليبية، ويقوم الحجاج الكاثوليك والأرثوذكس بزيارته في الوقت الحاضر أيضا، وتعود هذه الصورة إلى ما قبل سنة ١٩١٤.

132 | قبة كنيسة القيامة

هذه الصورة التقطت قبل التعديلات على القبة وبرج الجرس والتي بدأت سنة ١٨٦٧م، وتظهر فيها القبة القديمة لكنيسة القيامة. وتحت القسم الأوسط من القبة مباشرة يقع القبر المقدس. وقد ترك هذا القسم مفتوحاً ليكون رمزاً لقيام النبي عيسى من قبره وصعوده الى السموات باعتبار ان هناك رابطة بين القبر وعالم السموات بشكل مباشر. وترك هذا التفكير النظري الوارد في عمارة القبة محله لهواجس جمالية وفنية.



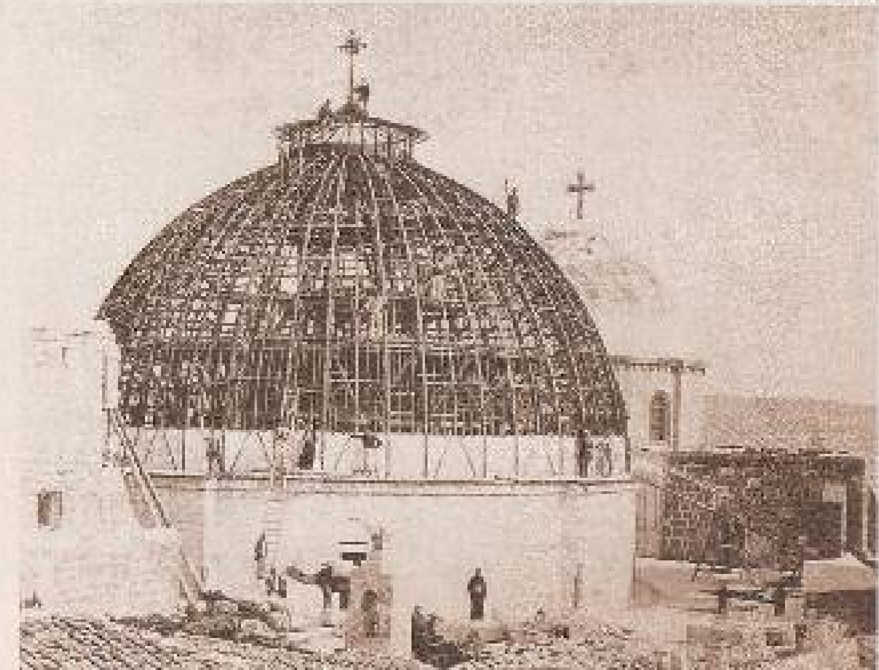
133 | تعديلات الفرنسيسكان

هذه القبة الثانية والأصغر لكنيسة القيامة اخترعت خلال التعديلات التي اجراها الفرنسيسكان في سنة ١٥٥٥م حيث اقاموا مكاناً للعبادة يخص الكاثوليك تحت اسم كاثوليكان وذلك امام القبر المقدس، وشيدوا له قبة مختلفة، ولعلهم بهذا نقلوا اشراقهم على كنيسة القيامة بشكل رمزي الى حد القبة، وامتدت تعديلات هذه القبة حتى سنة ١٨٠٨م.



134 | الجمل الذي أصعد إلى السطح عند إنشاء القبة الجديدة

التقطت هذه الصورة بين سنتي 1863-1867 ويظهر فيها الهيكل الحديدي للقبة الجديدة، وخلال البناء اصعد جمل الى السطح ولفت هذا الأمر انتباه المهندس المعماري الانكليزي في القدس كونراد شك فارسل نسخة من هذه الصورة التي لا يعرف مصورها الى صندوق استكشاف فلسطين.



135 | السقف الذي يعتق بمرور الزمن

اذا سلمنا بالملاحظة التي دونها أحد الباحثين على الصورة فيمكننا القول انها التقطت في سنة ١٨٩١ أو ١٩٥٥. ويستدل من الصورة إن القبة الكبيرة لكنيسة القبر المقدس كانت قد اهترأت في تلك السنوات. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار ان القبة تم ترميمها في سنة ١٨٦٧ فانه يمكن القول بان الكنيسة بقيت دون رعاية لسنوات طويلة.

← The old Dome before the [illegible]
One new made after the [illegible]

The Greek Chancel

The South side of the
Geth[illegible]
[illegible] Convent
in South of the Church yard

١٢٦ - ١٢٧



‹ 136 | كنيسة القيامة وسُلَّم الوضع الراهن

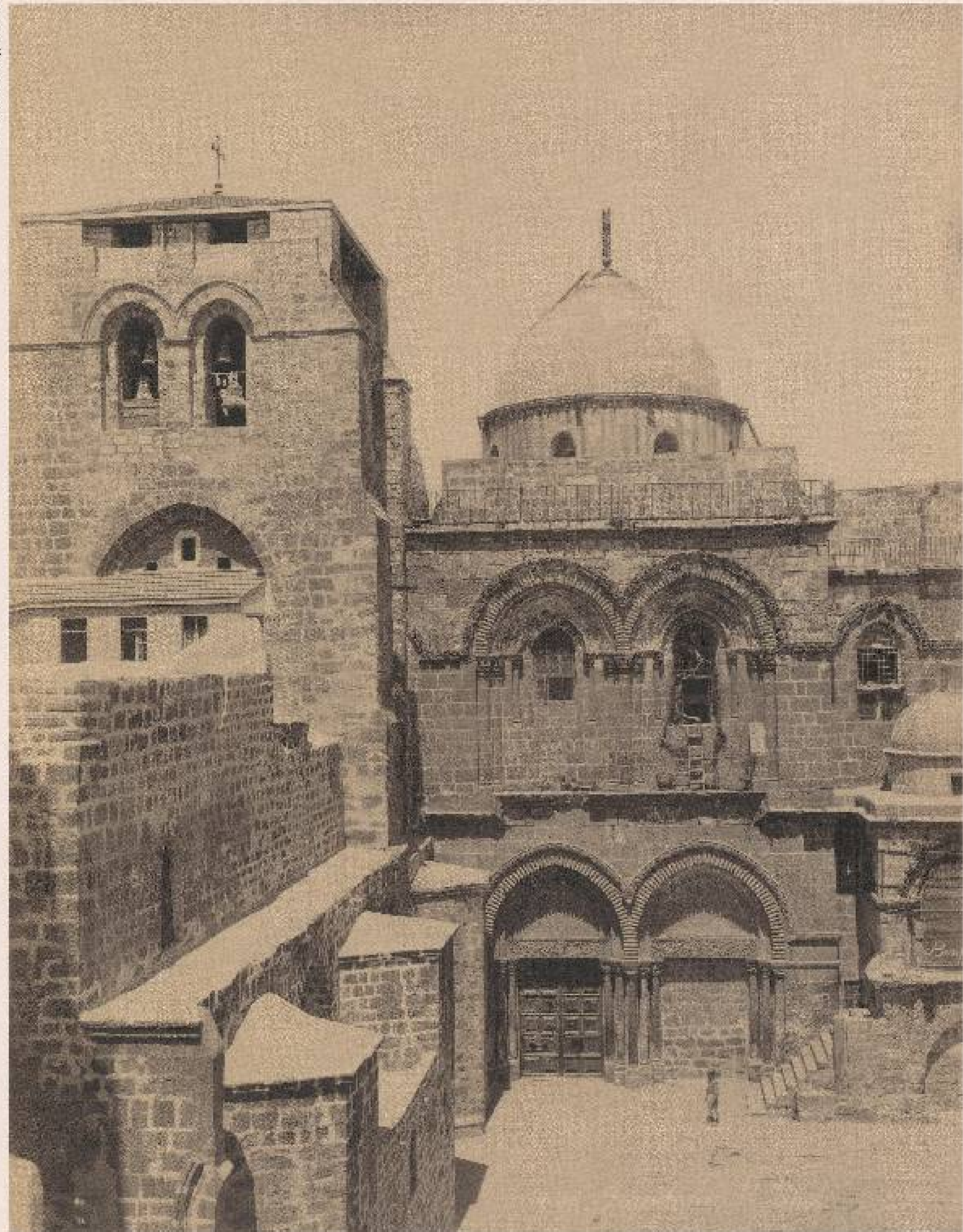
حدث النزاع بين الكنيسة الأرثوذكسية الرومية وطريقة الفرنسيسكان الكاثوليكية بسبب الاشراف على كنيسة القيامة واستمر طيلة العصر العثماني وعلى وجه الخصوص اعتباراً من تعديلات سنة ١٦٢٩ وحتى سنة ١٧٥٧ اذ سعى كل طرف الى استصدار فرمان من استانبول يتيح له الإشراف. كما استمرت الصدامات الدموية بينهما في القدس. وفي سنة ١٧٥٧ اعلن فرمان الوضع الراهن الذي اعد بأسس مثبتة بعد الصدامات التي جرت سنة ١٨٩٢ وأمن التقسيمات الاقليمية بين المذاهب. ونص الفرمان على ان تكون الساحات الواقعة امام الأبواب والنوافذ ساحات مشتركة وان اي تغير يتعلق بهذه الساحات لا يتم الا بقرار مشترك للمذاهب. ويبقى السلم الخشبي الواقع أمام النافذة الرئيسية على اليمين في مكانه اعتبارا من هذا التاريخ. اما اواني المياه التي كانت بجوار السلم فقد رفعت بقرار مشترك بعد بقائها في مكانها لعدة سنوات، إلا ان السلم بقي كرمز لفرمان ستاتوكو. ونظراً لأن هذا الفرمان وضع شرط القرار المشترك في الأماكن المشتركة فان تنظيف هذه الأماكن لم يتفق عليه. ولهذا بقيت هذه الأماكن دون رعاية بشكل عام. والتقطت هذه الصورة بين سنتي ١٨٧٥ - ١٩٠٠م.



« 137

وجه غير مرئي من التغيير

على الرغم من كل الترميمات المتعلقة بالأوضاع الراهنة والخلافات الموجودة بين المذاهب بدأت كنيسة القيامة خلال سنة ١٨٦٨ تمر بمنعطف مهم. التقطت هذه الصورة قبل ١٧ آذار ١٨٦٧ حيث هدمت القبة الأساسية للكنيسة وبوشر ببنائها من جديد. وعند مقارنة هذه الصورة مع الصورة السابقة التي التقطت بعدها في سنة ١٨٧٥م من نفس الزاوية يمكن ملاحظة التغيير الحاصل. ولعل الجرس الذي لم يكن موجوداً في برج الجرس قد وضع في محله بعد عدة سنوات من هذا التاريخ.



« 138 | ترميم في برج الجرس

التقطت هذه الصورة كالصورة السابقة من قبل احد افراد عائلة بونفيلس ومن نفس الزاوية تقريباً وهما لولدان الشعور بأنهما التقطتا في نفس الوقت. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار التغيير الذي حدث في أماكن المواد الموجودة أمام نافذة الجهة الأمامية والتي يوجد فيها سلم ستاتوكو كاندلو والبرميل الخشبي وما طرأ على أعدادها فإنه يمكن القول إن وقتاً معقولاً قد مر بين التقاط الصورتين، ويستدل من مقارنتها مع الصورة الأخرى التي التقطت بعد سنة 1305 انها تعود الى ما بعد هذه السنة بوقت ليس بقصير. وفي سنوات ما بعد هذا الوقت تم وضع جرس منفرد كبير في برج الجرس، ولكن اغلق سقف البرج في الاضافات التي أجريت عليه فيما بعد وألحقت به أجراس مختلفة الحجم وذات اصوات مختلفة ايضاً.



139 | حجاج مسيحيون وأعدادهم المتزايدة

جددت القبة الكبيرة وبرج الجرس لكنيسة القيامة عند ترميمها سنة ١٨٦٨م بالكامل وقد استمرت أعمال ترميمات القبة وبرج الجرس والفناء حتى سنة ١٨٦٩م، ونتيجة لهذه الترميمات ازداد اقبال الحجاج المسيحيين الغربيين لكنيسة القيامة. والتقطت هاتان الصورتان بعد هذه السنوات ويلاحظ فيهما الزيادة المستمرة في تدفق الحجاج المسيحيين الى القدس.

9.74 – Coupoles du St Sépulcre

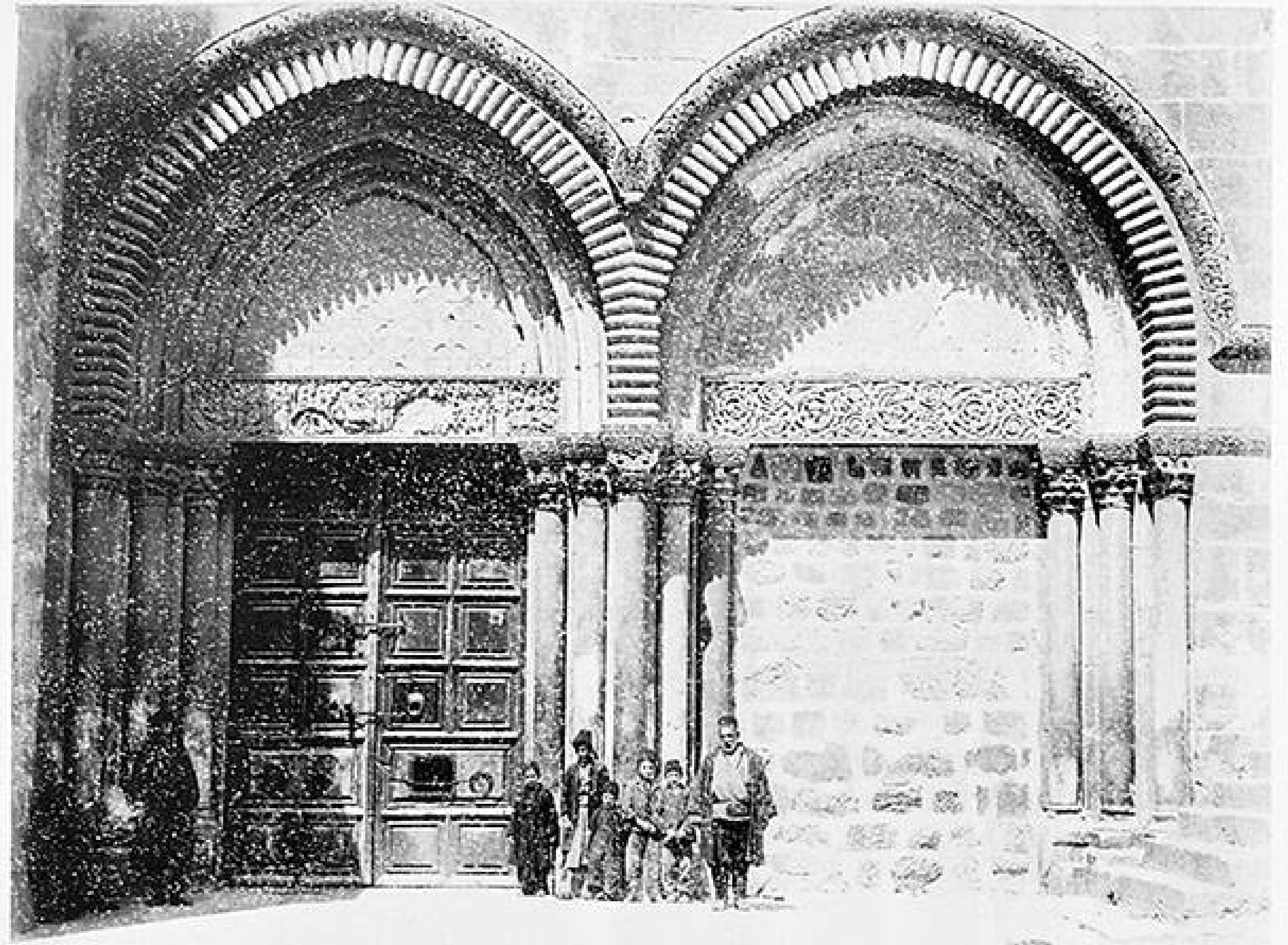


كنيسة القيامة بعد الترميم | 140

التقطت هذه الصورة في سنة ١٨٦٠م والبرج الابيض الكائن بين قبتي كنيسة القيامة والظاهر في الصورة هو برج الجرس لكنيسة المخلص لوثر التي لم يكتمل بناؤها بعد. أما المئذنة الظاهرة في الجانب الأيسر فهي لجامع الخانقاه. وفي نهاية الصورة تظهر أيضاً قبة الجامع الأقصى.

مدينة المآذن والقباب | 141

هذه الصورة التقطها فيلكس وهو من عائلة بونفيلس من الجهة الجنوبية وذلك بين سنتي ١٨٩٠-١٨٧٠م، ويظهر فيها قبة كنيسة القيامة بعد الترميمات ومئذنة المسجد العمري التي أنشئت سنة ١٨٦٠م.



» 143 | **طقوس النار المقدسة في ظل حماية الجنود العثمانيين**

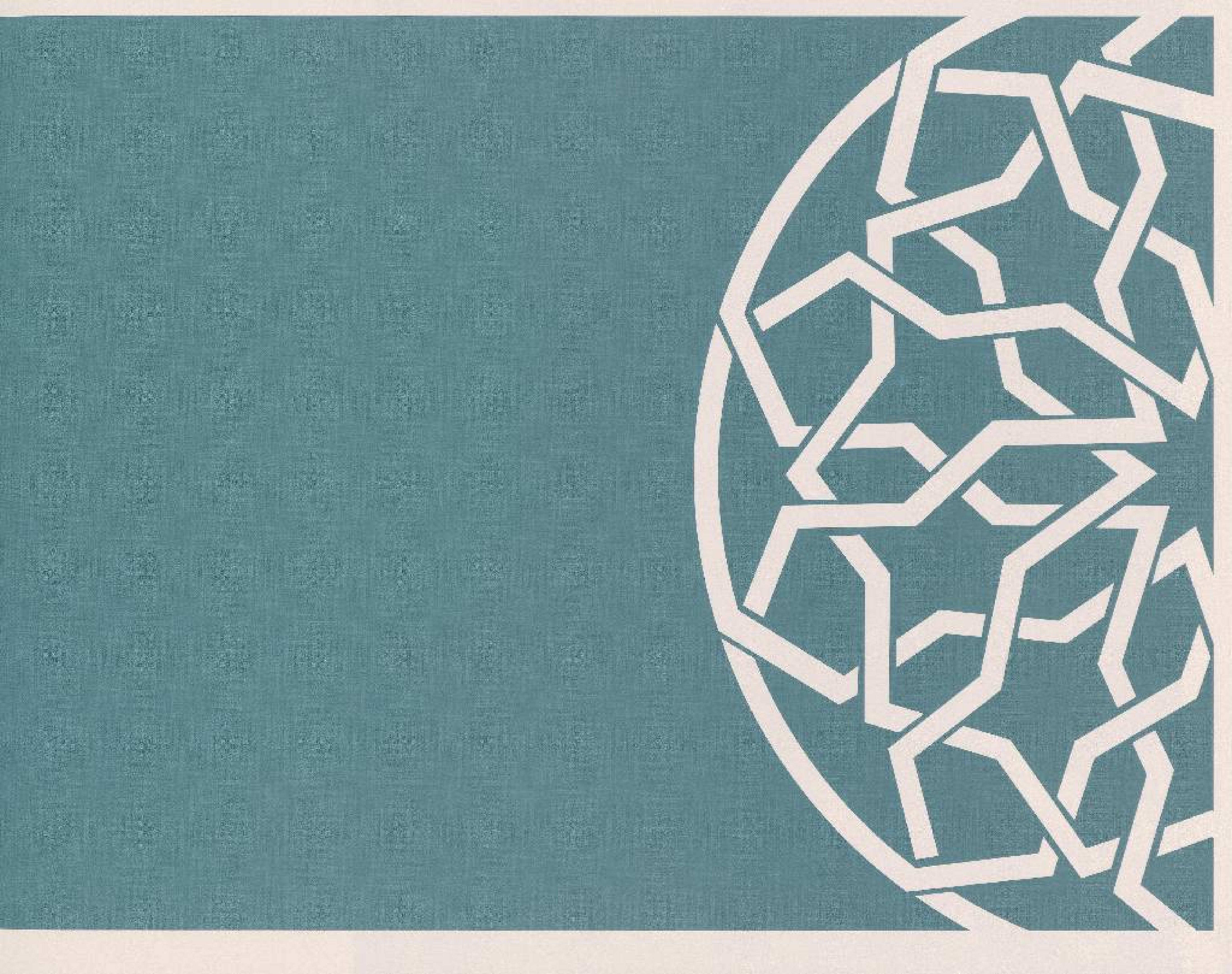
كانت طقوس النار المقدسة اكثر الاحداث اثارة للاهتمام في كنيسة القبر المقدس في العصر العثماني، وقد طرحت المذاهب المختلفة مفاهيم مختلفة حول هذه الطقوس، أهمها المعتقدات المتعلقة بقدسية النار الخارجة من القبر المقدس والشموع المضيئة. وكانت هذه الطقوس تقام تحت إشراف الكنيسة الأرثوذكسية، ولهذا كانت بمثابة نوع من إبراز العضلات. وكان يحضر هذه الطقوس جميع رجال الدولة العثمانية المعينين في القدس ورؤساء البعثات الأجنبية. وكانت هذه الطقوس تؤدي إلى وقوع الإصابات والتنازع بسبب الازدحام الناتج عن رغبة المسيحيين في الوصول قبل حين إلى النار المقدسة، وفي هذه الحالات كان الجنود العثمانيون يضطرون إلى التدخل في الأمر. وفي يوم طقوس النار المقدسة من كل سنة كانت تؤخذ نار من القدس، وتنقل إلى موسكو دون أن تنطفئ لتقديمها إلى القيصر وإشعال شموع الكنائس من جديد هناك. ويظهر في الصورة انتقال النار من يد إلى يد تحت انظار الجنود العثمانيين والمشاهدين الذين يبدو من ملابسهم انهم كانوا مسلمين.

« 142 | **الجدار الذي أنهى التصادم**

إن حجر الجمجمة الذي تقع فيه المراحل ١٠ و١١ و١٢ بداخل كنيسة القيامة هو في مستوى اعلى من ارضية المدخل. وكان يتم الصعود إلى هذا القسم في السابق بواسطة السلام الموجودة الى الجهة اليمنى من مداخل المبنى. ولكن شيد في عهد صلاح الدين الايوبي سلم من الداخل للصعود الى القسم الذي يضم هذه المراحل وذلك بغية وضع حد للتصادمات بين المذاهب المسيحية. وهذا السلم يقع خلف الباب الأيمن من المداخل تقريبا ولهذا تم سد هذا الباب ببناء جدار عليه.



340 Greek Fire at the Sepulchre. Heiliges Feuer. La Cérémonie du Feu Sacré.





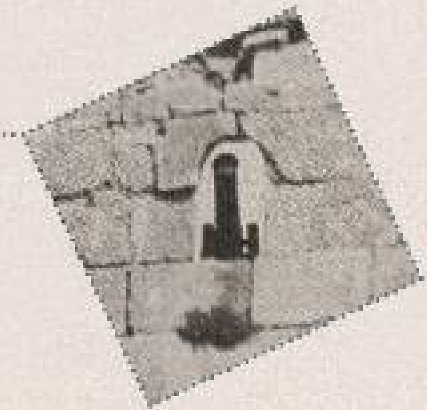
القسم الخامس

تاريخ القدس في أبواب وأزقة المدينة

مصنع نحاس قرب باب العمود







144 | الوضع الأقدم لباب الخليل

لم يتغير باب الخليل أبدا منذ إنشائه في سنة 1538 ولغاية سنة 1860م، ويظهر في هذه الصورة التي التقطت قبل سنة 1860م وبشكل واضح اللوحة الكتابية لإنشاء باب الخليل والجدار المرتبط به. وفي الكتابة المكتوبة باللغة العربية على القوس الوارد إلى الجهة اليسرى نجد هذه العبارات:

1. «أمر بإنشاء هذا السور المبارك مولانا سلطان الملك الأعظم والخاقان المكرم
2. سلطان الروم والعرب والعجم السلطان سليمان بن سليم خان خلد الله ملكه وسلطانه
3. بتاريخ في شهر جمادي الأولى من شهر سنة خمس وأربعين وتسعمائة من الهجرة النبوية عليه السلام».

واستخدمت في الكتابات الموجودة على مدخل باب الخليل العبارات نفسها تقريباً، إلا أن تاريخ إنشاء الباب ورد بشكل واضح وهو: تشرين الأول 1538م.

145 | علم عثماني على الباب ومدفع عثماني في القلعة

التقط هذه الصورة بيتر بيركهيم بين سنتي 1882-1880م، ويظهر فيها أن التغيير الذي حدث في باب الخليل تأخر عما حدث من تطور ورد في أفلام التصوير وذلك في غضون مدة قصيرة، وعلى الرغم من أنها تشبه الصورة السابقة إلا أنها تعرض تفصيلاً لا يلفت الأنظار عند أول نظرة لها، فالمدفع العثماني الظاهر في الفتحة الموجودة على أحد أبراج القلعة، والهلال والنجمة على مصراعي الباب عناصر ملفتة للنظر.

146 | تاريخ القدس في باب الخليل

تحول باب الخليل (يافا) إلى الباب الرئيس للمدينة في سنة 1880م حيث كانت القدس تشهد نهضة عمرانية سريعة. وقبل هذا التاريخ كان باب العامود هو الذي يتميز بهذه الخاصية ولقرون عديدة، إلا أن هذه الخاصية ما لبثت أن تحولت إلى هذا الباب الكائن في الجهة الشمالية الغربية من المدينة ودون رجعة. والواقع أن الباب كان دائم الاستخدام بسبب وقوعه إلى جوار القلعة وانفتاحه إلى الطريق الممتد إلى يافا وبيت لحم والخليل، غير أن هذا الباب شهد تحولاً سريعاً في السنوات الخمسين الأخيرة من الوجود العثماني في المدينة، ولهذا نكاد نتمكن أن نقرأ تاريخ القدس لمدة خمسين سنة من خلال صور الباب. والتقطت هذه الصورة في المراحل الأخيرة من هذا التاريخ الممتد لخمسين سنة. وبرج الساعة الظاهر في الصورة أنشئ في سنة 1906م، والشارع الكائن بين برج الساعة والقلعة الواقعة أمامه تم افتتاحه سنة 1898م، إما فندق جراند الجديد Grand New Hotel فقد أقيم في سنة 1900م واستضاف المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية حتى الحرب العالمية الأولى.


RAND NEW HOTEL
319 New Entrance Breach, in the City Wall. Neuer Eingang der Stadt. L'entrée nouvelle.





147 » | إعمار خارج باب الخليل

في سنة ١٨٧٥ بوشر بالإعمار في باب الخليل موازياً لما كان يحدث في خارجه، إذ شيدت مبان على شكل صف أمام أسوار المدينة تقريباً معظمها بهدف تجاري. وكانت هذه المباني تتوسع شيئاً فشيئاً كل يوم، وتأخذ طابعاً حديثاً، كما كانت محتويات الدكاكين تتغير في هذه الأثناء. ويظهر في هذه الصورة مكتب للصرافة افتتح في مدخل المدينة تقريباً. وكان هذا المكتب يقوم باستبدال النقود الأمريكية والإنجليزية ويحمل يافطة باللغة العبرية. ولعل اليافطة هذه تعد أول يافطة تكتب باللغة العبرية التي اقتصر استعمالها على النصوص الدينية والعبادات.

148 » | ميدان عمر بن الخطاب

التقطت هذه الصورة المصور فيلكس بونفيس بين سنتي ١٨٧٥ - ١٨٨٥م وهي نتاج تقنية صورية أدت إلى امحاء العناصر المتحركة في الصورة. وهذا الشارع المقصير الذي يربط باب الخليل بالمدينة يسمى شارع داود، والساحة التي يطل عليها الباب تقريباً تسمى ميدان عمر بن الخطاب. والمباني الكائنة في الجهة اليمنى هي مباني الفنادق المقامة لأول مرة في القدس. ويظهر في الجهة اليسرى خندق القلعة الذي استخدم في المراحل المتأخرة أسواقاً مفتوحة. والبناء المشيّد بالحجر الأبيض والواقع في مدخل باب الخليل مباشرة وإلى اليمين هو البناء الذي يضم قبري المهندسين العثمانيين اللذين بنيا قسماً من أسوار المدينة. ويحتمل أن أحد المهندسين اللذين يرقدان هنا هو جلبي النقاش الذي بذل جهداً كبيراً في تشييد الأسوار. وبعد التقاط هذه الصورة بمدة تم الكشف عن هذين القبرين، وتقرر بناء مبان فندقية جديدة تحل محل المبنى ذي الطابقين.



321 Jaffa Gate. Jaffa-Thor. Porte de Jaffa.





‎149 » | بداية ثقافة العربات

يعتقد أن هذه الصورة التقطت قبل سنة ١٨٨٥، ومما يلفت النظر فيها أن شوارع القدس أصبح لها مالكون جدد وهم العربات. وفي الصور التي التقطت بعد هذا التاريخ يكاد لا يبقى وجود للجمال والحمير، إذ تحل محلها العربات التي تنقل البضائع والمسافرين. وبطبيعة الحال ستتبع ذلك بعد مدة قليلة وسائط نقل ذات محركات.

‎150 | دائرة الضريبة العثمانية

تحمل هذه الصورة توقيع زنكاغي ١٨٨٠/٧٠ ولعلها التقطت في بداية سنة ١٨٨٠م. والأبنية الكائنة خارج باب الخليل استمرت في النمو. وإلى جانب الباب تقريباً افتتحت دائرة تفتيش عسكرية، وابتاعت مكان مكتب الصراف شركة متخصصة بأمور التعمير. وافتتح إلى جانبه دكان كان بمثابة مركز صحي وصيدلية ويعنى بأمور العطور. وبدئ بأعمال الترميمات أمام هذه الأبنية، وبرز إلى الوجود شارع في ظروف طبيعية وهو شارع يافا.

‎151 | تحول ما زال مستمراً في باب الخليل

يبين البناء المشيد في الجهة اليمنى من الباب تقريباً والذي لا يظهر منه في الصورة إلا سقفه المنحدر وجداره أن هذه الصورة تعود إلى ما قبل سنة ١٩٠٥. في هذه السنوات تم تعبيد الساحة الكائنة أمام باب الخليل بالحجر، وأضيفت إليها الأرصفة. وتعكس هذه الصورة أشكالاً من الناس من الممكن مشاهدتهم في يوم عادي وذلك في أوائل سنوات ١٩١٠م.

» 152 | سبيل عثماني في أسفل القلعة

يستدل من تشييد هذا السبيل الواقع في أسفل القلعة أن هذه الصورة التقطت بعد سنة ١٩٠٦م، ويظهر فيها إعادة تعبيد الساحة الكائنة أمام باب الخليل بالحجر. وبهذا تكون البنية التحتية لشارع يافا الذي يظهر إلى الوجود مكتملة، ويظهر أنه في هذه السنوات تم تغيير مصراعي الباب الخشبي واستبدالهما بمصراعين حديدين، ومما يثير الانتباه هنا أن دائرة الضرائب التي أقيمت إلى يمين الباب قد تم هدمها.



» 153 | بائع جرائد في باب الخليل

يستدل ان هذه الصورة التقطت بعد سنة ١٩٠٧ حيث شيد برج الساعة الكائن في باب الخليل وكأنها تلخص التحول الثقافي الذي شهدته المدينة في هذه السنوات، فمن جهة تم افتتاح محل لبيع الصحف في مدخل المدينة، ومن جهة أخرى تمّ تجديد الكتابات الكائنة على الجدران وكذلك النجمة والهلال الظاهرين على مصراعي باب الخليل.

و يلاحظ ان مهنة صبغ الأحذية التي لم تكن معروفة في القدس قبل هذا التاريخ قد أثبتت وجودها في هذا الوقت.



154 » | معبر جديد في الأسوار

تعود هذه الصورة إلى المرحلة التي كان فندق جراند الجديد Grand New Hotel فيها مبنيا ولكن لم يبن بعد برج الساعة على باب الخليل، ويرجح أنها التقطت بين سنتي ١٩٠٢ - ١٩٠٠، والمعروف أن خندق القلعة الكائن بين باب الخليل والقلعة قد تمّ طمره في سنة ١٨٩٨، ليمر عليه طريق تستخدمه عربات الخيول.

155 » | سبيل عثماني في باب الخليل

التقطت هذه الصورة في مرحلة كان باب الخليل إلى جانب القدس يمر بتحول مهم، وهي بمثابة وثيقة تاريخية، ويُظهر السبيل المقام في أسفل القلعة من جهة اليمين والدكاكين الصغيرة أن هذه الصورة تعود إلى ما بين سنتي 1902 - 1906، وأقيمت في سنة 1906 برج الساعة المشهور على باب الخليل والذي غيّر وجه القدس. وقد أظهر هذا التحول نفسه بزيادة العربات/ التاكسيات التي تنقل المسافرين إلى المدن كيافا وبيت لحم والخليل.



319 New Entrance Breach, in the City Wall. Neuer Eingang der Stadt. L'entrée nouvelle.



« 196 | باب الخليل ذو برج الساعة

من المؤكد أن هذه الصورة التقطت بين سنتي ١٩١٠ - ١٩٠٦ وهي تعود إلى المرحلة التي اكتمل فيها التحول الجاري قرب باب الخليل تقريبا؛ فإلى جانب السبيل نجد أن بناء برج الساعة الذي أمر ببنائه السلطان عبد الحميد الثاني بمناسبة الذكرى الثلاثين لاعتلائه العرش قد اكتمل. كما تمّ بناء غرفة صغيرة على قمة القلعة لتكون على الأغلب غرفة مراقبة. أما بناية الكمرك الكائنة بجانب الجدار الخارجي لباب الخليل تقريبا فقد أصبحت ذات طابقين. كما افتتح المقهى الظاهر في الركن الأيمن من الصورة. أما المكان الذي عليه العلم العثماني والكائن في الجزء الأيسر من الصورة فهو مطعم ومقهى.



» 157 | **الحياة في باب الخليل**

التقطت هذه الصورة في أواخر سنة ١٩٥٥م ويحتمل أن هذه البناية التي رفع عليها العلم العثماني والكائنة في داخل باب الخليل تقريباً وإلى جهة اليسار كانت تستخدم كدائرة منح التأشيرات (فيزا) وهي اليوم مكتب إعلامي للسياح. أما غرفة المراقبة التي شيدت على قمة القلعة فقد هدمت وربما لانتفاء الحاجة إليها، ورفع منها صفان من الحجر المستخدم في بنائه وبقيت آثارها في مكانها.



« 158 | الساعة التي تبين توقيتين في آن واحد

كان التوقيت المستخدم في العصر العثماني يختلف عن التوقيت القياسي المستخدم في أوربا، فالمسلمون استخدموا توقيتاً ينسجم مع أوقات الصلاة، وجعلوا وقت مغيب الشمس الساعة الثانية عشرة. ويستدل من الظلال أن هذه الصورة التقطت في وقت الظهر وعند تحول الشمس وقت الذروة نحو الغرب، والساعة الكائنة إلى جهة اليسار من برج الساعة تبين التوقيت الأوربي/ الغربي، أما الكائنة إلى اليمين فتبين «مواقيت الأذان» عند المسلمين، ففي الوقت الذي يتساوى فيه الليل والنهار فإن التوقيت الغربي يُظهر الساعة الثانية عشرة ظهراً أما توقيت الأذان فيظهر الساعة السادسة مساءً. وعلى الرغم من عدم معرفة تاريخ التقاط هذه الصورة فإنه يمكن القول إنها التقطت في وقت كان النهار فيه أطول من الليل أي في موسم الصيف.



« 159 | قدوم الجنود إلى باب الخليل

في شهر كانون الأول سنة 1914 فتح الإنجليز جبهة جديدة في الحرب العالمية الأولى وهي جبهة قناة السويس وغزة. فبدأ الجيش الرابع العثماني وابتداء من مطلع سنة 1915 بالتحشد في القدس وأرجائها، فكان الجنود الذين سحبتها الدولة العثمانية من البلقان والأناضول ينضمون إلى الجيش الرابع، كما أن حلفاء العثمانيين في الحرب من النمساويين والألمان قاموا بإرسال قوات مساندة إلى المنطقة. وفي هذه الأيام كان يخيم على القدس جو من السلام النسبي، إلا أن مركز سوق الجند كان القدس أيضاً. ويظهر في الصورة الجنود وهم يدخلون إلى المدينة من باب الخليل. وعلى الرغم من الجو النفسي للحرب، إلا أن الوجود الأجنبي في القدس كان مستمراً ومن الممكن التأكد من ذلك من خلال وجوه الأوربيين الذين كانوا يُحدّقون إلى الجنود.



320 View looking down Jaffa Road. Blick auf dem Jaffa-Thor Vue Prise de la Porte de Jaffa



« 160 | شارع مؤقت خارج الأسوار

ان الشارع الذي يمر بالقرب من باب الخليل بين المراكز السكنية التي تبدأ على شكل صفين يتحول في النهاية إلى نقطة حدودية تفصل بينهما، وينتهي في نهاية هذا الشارع شارع يافا بالقدس العربية، والمباني الظاهرة في الصورة سيتم هدمها بالكامل في عهد الانتداب الإنجليزي، ويبدو ان الساعة التي اقيمت على باب الخليل لم يتم وضعها لحد الآن (عند التقاط الصورة) ولهذا يمكن القول إن هذه الصورة تعود إلى سنة ١٩٠٥ م.

« 161 | شارع المصورين

التقطت هذه الصورة بين سنتي ١٩٠٤ - ١٩١٤ وهي للشارع الوارد في الصورة أعلاه، ومن الممكن أن نلاحظ التحولات التي جرت فيه. وفي هذه السنوات فتحت مجموعة من محلات التصوير في المدينة بسبب السياحة الأجنبية في المدينة. ومن الممكن أن نجد في هذا المجال ستوديوهات كريكوريان ورعد وSawides. والمعروف أن ستوديو رعد هو أول ستوديو عربي يقام في القدس اقامه خليل رعد وهو مسيحي عربي، وفضلاً عن هذا فقد كان كاتب مذكرات ناجحاً، وقد صور جمال باشا وكوجوك أحمد باشا بالذات، ولهذا فإن ذكرياته المتعلقة بالحرب العالمية الأولى في تلك الفترة كأنها تسلط الأضواء على التناقضات الداخلية للعرب الذين كانوا لا يرغبون بالحرب داخل الجيش العثماني.


JERUSALEM - JAFFA GATE

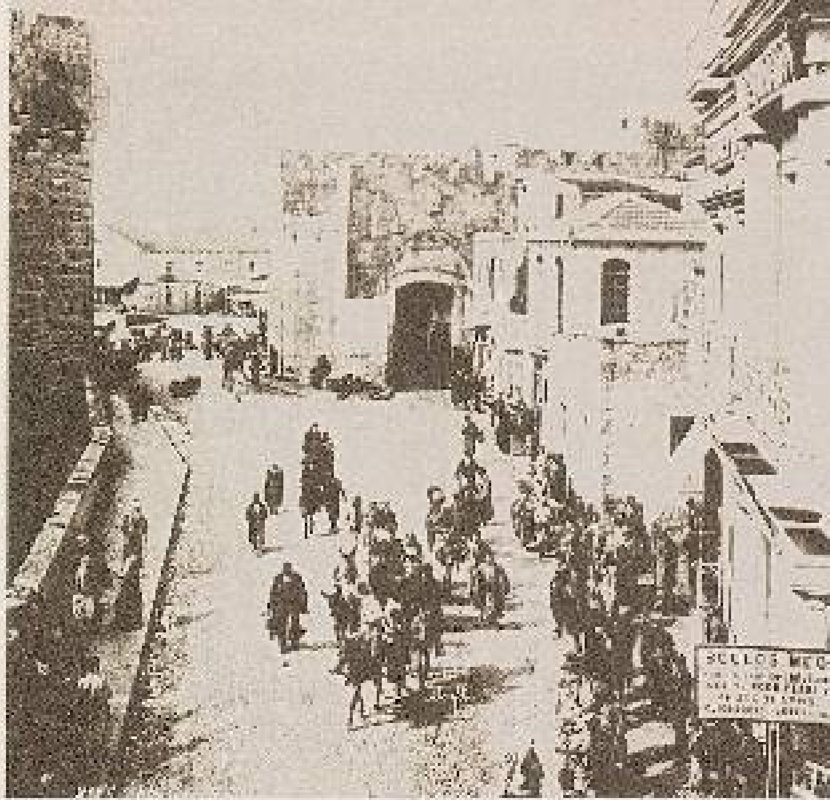


162 | حضارة مؤقتة أمام الأسوار

هذه الصورة التي لا تحمل أي تاريخ ربما تعود إلى ما قبل سنة ١٩٠٧ فمن جهة نجد أنه بني في الجناح الأيسر من هذا الشارع ذي العمر القصير أولى الأبنية؛ ومن جهة أخرى لم يُشيّد بعد برج الساعة على باب الخليل؛ ووجود غرفة المراقبة على القلعة يثبت على أن الصورة لا تعود إلى ما بعد هدم البرج. وقد تمّ هدم جميع هذه الأبنية الواقعة خارج الأسوار في تموز يوليو ١٩٤٤ وذلك بغية تنظيف الواجهة الأمامية للجدران.

163 | ميدان عمر بن الخطاب

تعكس هذه الصورة مدى التحول الكبير الذي شهدته مدينة القدس في الربع الأول من القرن العشرين. وربما يشهد ميدان عمر بن الخطاب بباب الخليل تقريباً لأول مرة فتيات حاسرات الرأس يلبسن تنانير لحد الركبة. ويظهر في هذه الصورة تعايش السيّاح الغربيين والبدويين ورجال الدين اليهود والفتيات اليهوديات غير المتدينات جنباً إلى جنب. والصورة الملتقطة من قبل ستوديوهات الكولونيه الامريكية في اواخر العهد العثماني، لم يلتقط مثلها بعد هذا الوقت أبداً، وهي تعبر عن الأمان.



164 | مجوهراتي الأراضي المقدسة

يتحكم على ميدان عمر بن الخطاب القلعة من جهة وفندق جراند الجديد من جهة أخرى، وكان يفتتح في الطابق السفلي من الفندق دكاكين جديدة وبشكل مستمر، وفي هذه الصورة يقوم محل «مجوهراتي الأراضي المقدسة» بالترويج للمنتجات التي يقوم بصناعتها وهو يستهدف السياح، ويقدم قائمة بأسماء المواد السياحية المنتجة في القدس في تلك الأيام من أمثال: منتجات من شجر الزيتون والتطعيم بالصدف، الصور، الكتب الإرشادية والزهور.

165 | ميدان عمر بن الخطاب من داخل المدينة

كان باب الخليل وميدان عمر بن الخطاب مكاناً يلتقي فيه السكان الجدد للمدينة مع أصحاب البيت الذين يسكنون فيها منذ عصور. في هذا المكان يلتقي القديم مع الجديد ويمتزج هاجس الأهالي مع آمالهم، وأحزانهم مع أفراحهم. وفي هذه المرحلة لم تتغير الأبنية فحسب: بل تغيرت الوجوه أيضا. ولهذا لا يمكن فهم القدس الحديث والصراع العربي الإسرائيلي ومأساة فلسطين بتفاصيلها دون فهم هذه المرحلة. ويبدو أن إيجاد حلول لهذه الصراعات غير ممكن دون فهم التسامح العثماني الواسع الذي جعل كل هذه الاختلافات تتعايش معا.

166 | فنادق ومحلات هدايا

كان ميدان عمر بن الخطاب قد تحول إلى ساحة لضم أحدث الفنادق والدكاكين التي تبيع الهدايا. ومن هذه الدكاكين دكاكين لبيع صور القدس وفلسطين والكتب الإرشادية وهي أكثر المحلات جذبا للزبائن. وهذه الصورة التقطت بين سنتي 1900 حيث افتتح فندق جراند الجديد Grand New Hotel و1906م حيث أقيم برج الساعة. وتحولت مدينة القدس إلى مركز سياحي مهم للسياح الغربيين وذلك بعد زيارة القيصر الألماني ويلهلم الثاني في سنة 1898م. وكانت السياحة تؤمن مصدر رزق للمصورين من جهة وتوفر في الوقت نفسه أرضية لتطور فن التصوير والطبع.



822 Street Scene inside Jaffa Gate. Jaffa-Thor innen. Vue intérieure de la porte de Jaffa.

« 167 | تحول في ميدان عمر بن الخطاب

التقطت هذه الصورة بين سنتي 1926 - 1934م، ومن الممكن أن نلاحظ فيها الوجوه التي تتجول في أزقة القدس في تلك الفترة. ولنجدن في هذا الألبوم بعض الصور التي كانت تباع في الدكاكين الواقعة في الطابق الأرضي من فندق جراند الجديد والذي يظهر في الجزء الأيمن من الصورة. ومما يثير الانتباه في هذه الصورة الدكان المسبر ذو الطابقين والذي افتتح قرب باب الخليل ويطل على الميدان، وقام الدكان ببيع الصحف لمدة من الزمن، ثم تولى عمله كمركز لتواجد المرشدين السياحيين وبعد مدة تم هدمه لعرقلته مرور المشاة والعربات.

« 168 | مناظر بشرية من القدس

لم تتغير الهندسة المعمارية لميدان عمر بن الخطاب اليوم كثيراً وكانت تصادف فيه وجوه بشرية تتغير بشكل مستمر وذلك بين سنتي 1929 - 1934. ويلاحظ في هذه الصورة أن اليهود الأوروبيين والبروتستانت الألمان قد أضيفوا إلى البنية الديموغرافية للمدينة التي كان العرب والمسلمون يشكلون أغلبية سكانها، كما يلاحظ أن العادة المتبعة في نقل الحمل على الرأس من قبل النساء كانت ما زالت جارية في تلك السنوات. ويظهر في مركز الصورة وخلف المراتين الكرويتين تقريباً وإلى جهة اليمين رجل علق جرة ماء على صدره وهو يبيع الماء وذلك من أجل تأمين حياته المعيشية.







« 169 | ميدان عمر بن الخطاب من الأعلى

تُظهر هذه الصورة ميدان عمر بن الخطاب بالكامل؛ وهي تعود إلى المرحلة التي اكتمل فيها التطور المعماري للشارع. وبعد هذه المرحلة لم تتمّ إضافة عنصر جديد للشارع غير برج الساعة وبعض العناصر التي تمّ هدمها فيما بعد مثل كشك الصحف الكائن في أسفل البرج. والخندق الموجود في الجزء الأيسر من هذه الصورة والكائن في القلعة يستخدم اليوم مكانًا للسوق.

« 170 | ألف وجه ووجه في مدخل المدينة

هذه الصورة تظهر انعكاس التحول الديموغرافي الذي عاشته القدس بين سنتي ١٨٥٦ - ١٩١٧م على الشارع، وهي تجمع التقليد مع الحداثة، والغرب مع الشرق، والمتدين مع العلماني والمعْسر مع الغني. وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية كانت تعاني من أزمة في المجال الأمني إلا أن المدينة كانت تعيش حياة آمنة.



322 Street Scene inside Jaffa Gate. Jaffa-Thor innen. Vue intérieure de la porte de Jaffa.

» 171 | جنود عثمانيون في باب القلعة

هذه الصورة وردت في أحد الأدلة التي تحتفظ بها ستوديوهات التوثيقية الأمريكية وتضم صوراً التقطت قبل سنة ١٩١٧م، وهي تظهر إلى أي مدى كانت تختلف وجوه الناس الذي كانوا يعيشون في القدس في سنوات ١٩٢٠م. وهذا الزقاق الذي يمر من أمام القلعة ويصل إلى حيي الأرمن واليهود كان من الممكن أن تشاهد فيه أيضا أوربيين يرتدون قبعات رعاة البقر، فواجهات أماكن العمل تدل بكتابتها باللغتين العربية والانجليزية ومنذ زمن طويل، حتى أن الجنود العثمانيين الذين يتجولون البتاه خارج نطاق الحياة الاجتماعية اكتفوا بمشاهدة هذا التحول السريع للمدينة من باب المدينة.

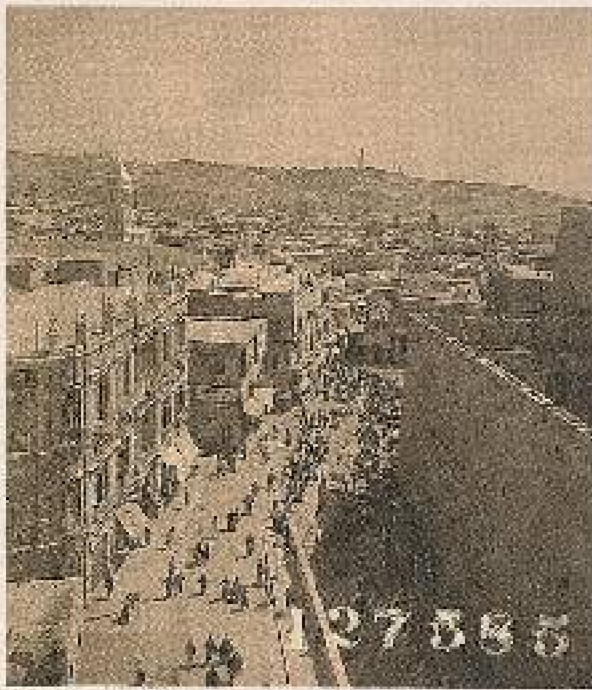
» 172 | مناظر بشرية في أزقة القدس

التقطت هذه الصورة حوالي سنة ١٩١٤م، ومن الممكن أن تشاهد فيها يهودا متدينين احتلوا أماكنهم بين السكان الجدد للمدينة. ويظهر في الصورة تنوع في أغطية الرأس: اللفاف، القص، الكاسكيت، الكاب، البيريه، والقبعة وهذه النظرة التي تجمع كل ذلك معا في زقاق واحد لا يمكن أن نجدها في مدينة أخرى في تلك المرحلة ولا في الوقت الراهن، وهي تجمع عشاق القدس في مكان واحد. ولكن مما يؤسف له إنه بعد مرور مدة نجد الذين يتقاسمون عشق المدينة نفسها أصبحوا يتصادمون مع بعضهم البعض. ولكن الحقيقة أن الإدارة العثمانية أثبتت ولمدة أربعة قرون أن لكل شخص له قيمته هناك.





323. David's Street. David's Straße. Rue de David

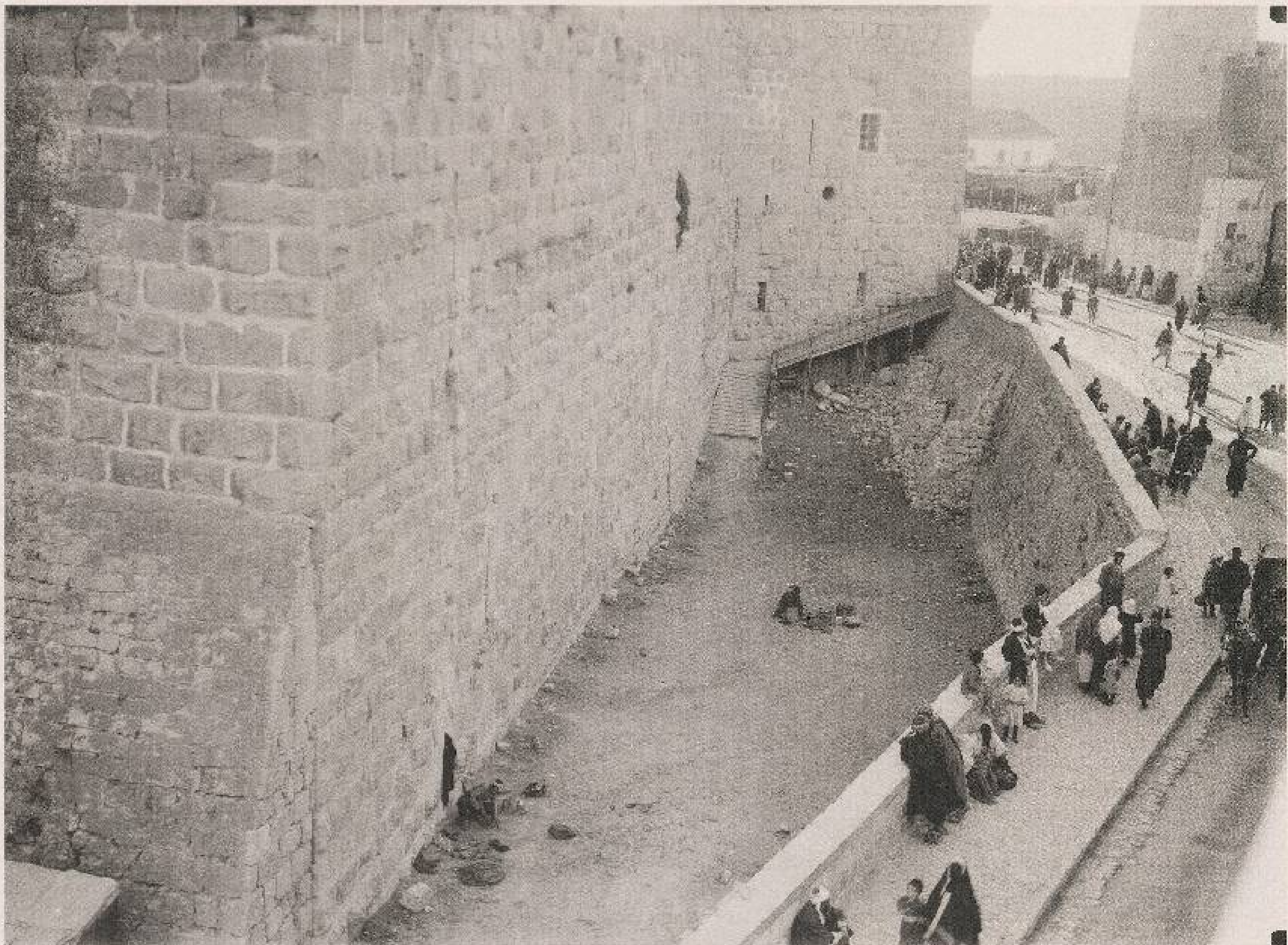


« 173 | القدس من برج الساعة

التقطت هذه الصورة من على برج الساعة الكائن على باب الخليل ويظهر فيها مشهد نادر للقدس من هذه الزاوية، إذ تشاهد الخندق الكائن في القلعة وهو يستخدم اليوم موضعاً للسوق. وتعد هذه الصورة إحدى الصور البانورامية الأكثر شمولاً للقدس من الممكن التقاطها من جهة الغرب. وكما يظهر في الصورة فإن المنافس الوحيد لبرج الساعة العثماني في المدينة هو برج كنيسة لوثر. ولكن عند المقارنة بينهما نجد أن برج الساعة يتقدم على البرج الآخر. وفي سنة 1918م قام الإنجليز، وهم يتبعون المذهب البروتستانتي كالألمان، بهدم برج الساعة متذرعين بأنه لا ينسجم مع النسيج التاريخي للمدينة، ونقلوا الساعة إلى القدس الغربية ثم إلى لندن. فهل أصبح ضحية هذه المنافسة؟ هذا الأمر نجهله. وما نعرفه هو أن برج الساعة لم يكن أكثر «غرابة» من برج الجرس للكنيسة بالنسبة إلى المدينة.

« 174 | سوق في خندق المدينة

استخدم خندق القلعة مكاناً للسوق في فترات مختلفة حتى سنة 1974م. وكان يتمّ افتتاح أسواق لعرض مواد مختلفة في أماكن مختلفة من المدينة. وأقيم سوق للحيوانات في منطقة بركة سليمان الواقعة غرب أسوار المدينة، وسوق البطيخ والشمام في غربي القلعة تقريباً، وسوق الخضار في هذا الخندق. وتظهر هنا نساء بدويات يبعن الأعشاب التي جمعنها.



175 | **الحياة في الخندق**

التقطت هذه الصورة قبل سنة ١٩١٤م ويظهر فيها خندق القلعة الكائن في الجزء الشمالي من قلعة المدينة تقريباً وباب الخليل الذي كان المدخل الرئيسي للمدينة.

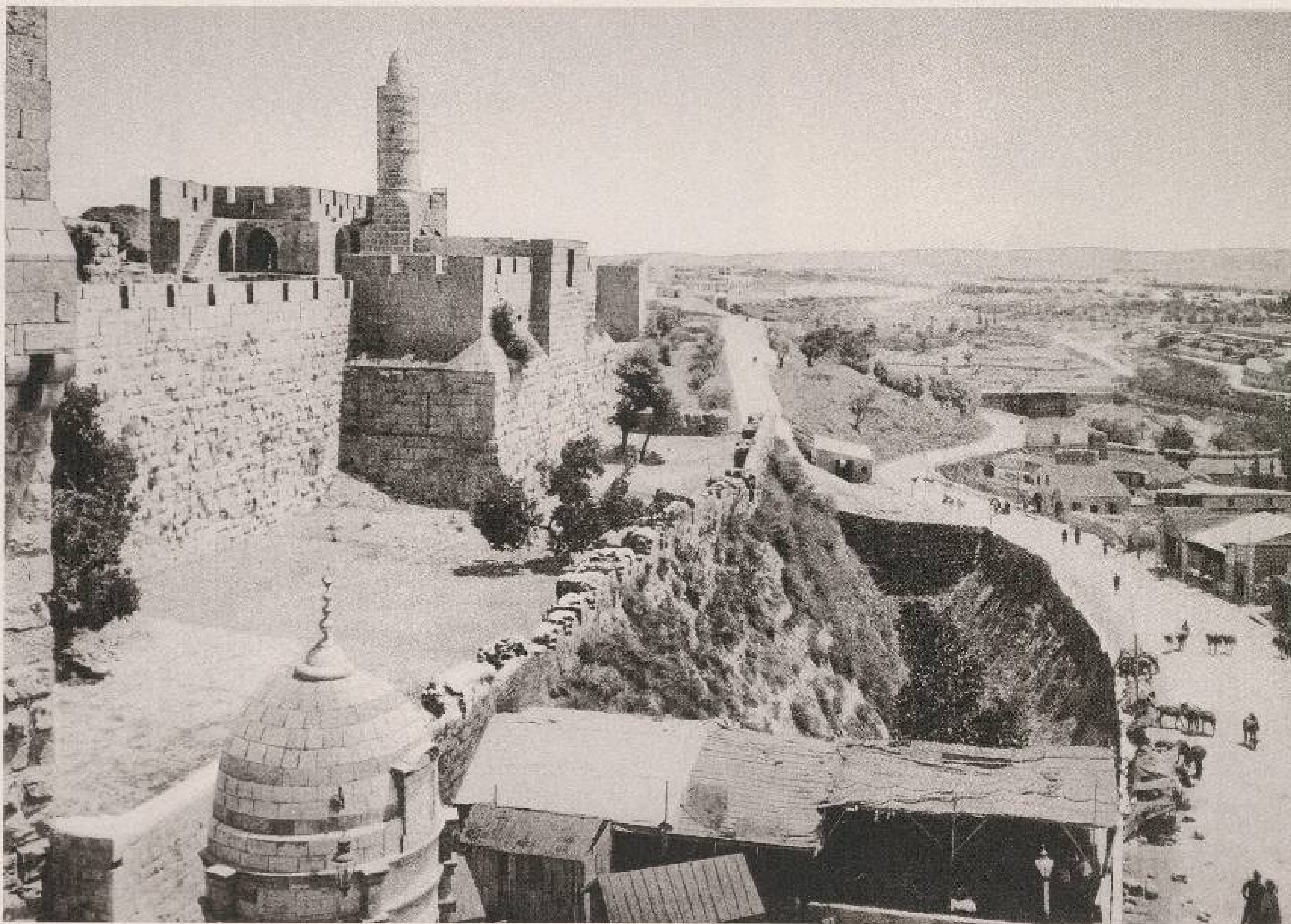


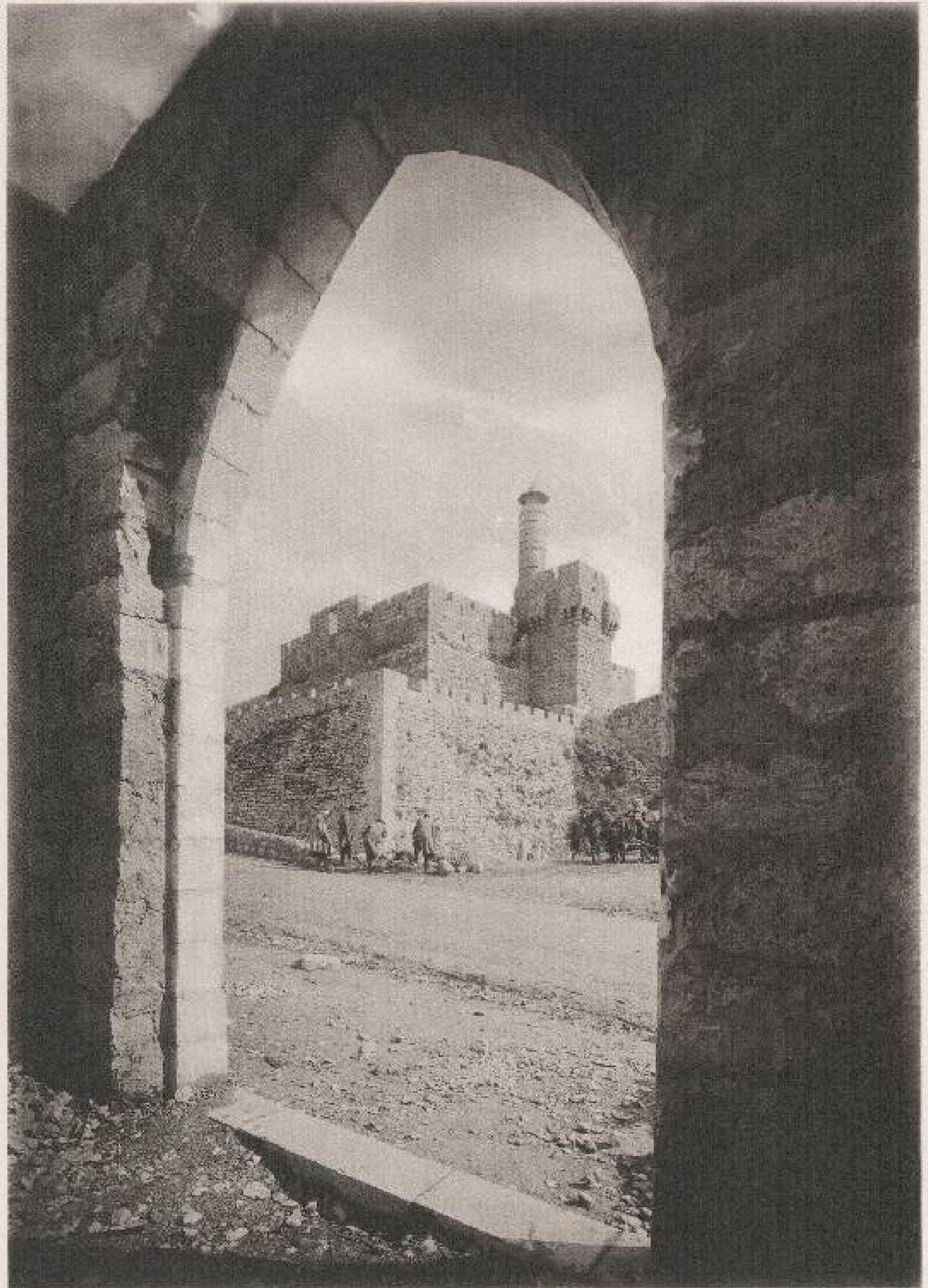
« 176 | مدفع رمضان (الإفطار) في القلعة

في هذه الصورة يظهر الدخان الصاعد من مدفع الإفطار في القلعة بعد إطلاقه في أحد أيام رمضان. ويقع أمام القلعة مبنى مكتب البريد النمساوي، وكانت مؤسسة البريد تحظى بأهمية حياتية في تلك الفترة، وكانت دوائر البريد العثمانية والنمساوية واليهودية تتسابق فيما بينها من أجل تقديم أفضل الخدمات، وكانت بناية مكتب البريد العثماني تقع أمام باب الخليل مباشرة.

« 177 | أسوار المدينة وطريق بيت لحم

التقطت هذه الصورة من على برج الساعة الذي أقيم على البرج الشمالي لباب الخليل في الذكرى الثلاثين لاعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني العرش، وتعود إلى السنوات العشر الأخيرة للعهد العثماني في القدس، والبناية المقببة التي نشاهدها في الصف الأمامي من الصورة هي السبيل الذي تزامن بناؤه مع بناء برج الساعة المذكور. وفي مكان خندق البرج الظاهر في أسفل البرج يوجد طريق سيارات يؤمن اليوم الدخول إلى المدينة. وفي أواخر العصر العثماني كان هذا الخندق يستخدم مكاناً لإقامة الأسواق بشكل منتظم، والطريق الواقع إلى غرب الخندق مباشرة هو الطريق الذي يربط القدس بمدينتي بيت لحم والخليل. وتطل على هذا الطريق الثكنة الواقعة في القلعة والمقامة من قبل العثمانيين فتتحصنه هي والقسم الغربي من أسوار المدينة.





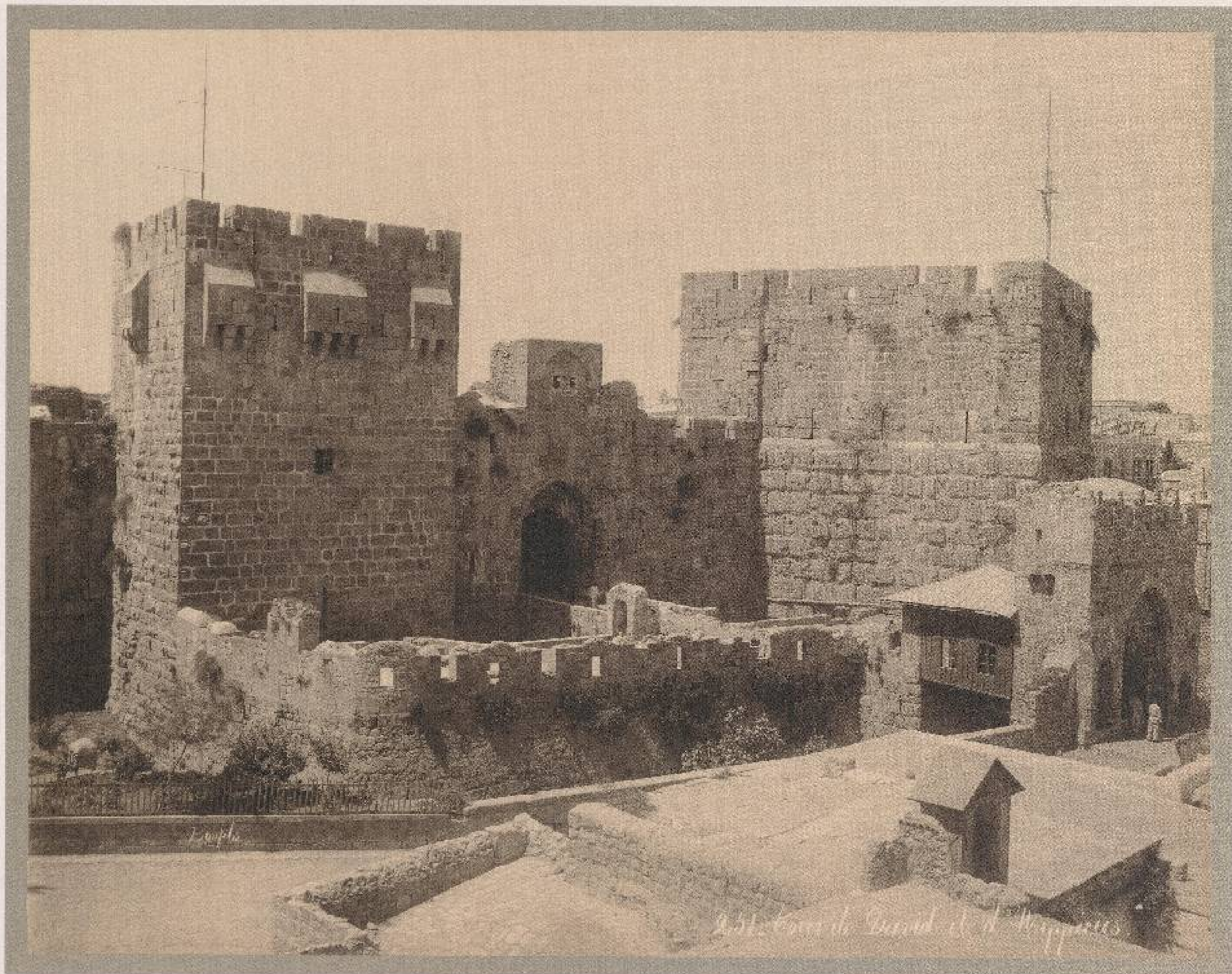
178 » | المئذنة العثمانية في القلعة

استخدم المصور عقد أحد الأحياء التي بدئ بإقامتها في سنوات ١٩١٠م على طريق بيت لحم والخليل إطاراً لتصوير قلعة المدينة والمئذنة التي تعتليها والمقامة من قبل العثمانيين. وهذه المئذنة أضيفت إلى القلعة في سنة ١٦٥٥ م وهي اليوم بمثابة أحد رموز مدينة القدس. وقد أقيمت بأمر من متصرف القدس في تلك الفترة وهو سلحدار محمد باشا وتوجد كتابة باللغة التركية على المئذنة تقرأ منها هذه الأسطر:

إن صاحب الخيرات والحسنات
مظهر الإنعام
سلحدار محمد باشا قام بهذا العمل
في مقام النبي داود
ابتغاء لمرضاة الله
فبنى المئذنة في سنة ١٠٦٥هـ.

179 » | مقر الجيش العثماني

يطلق المسلمون على قلعة مدينة القدس اختصاراً اسم «القلعة"، ويسميها المسيحيون واليهود «قلعة داود". والحقيقة أن هذه القلعة لا صلة لها بالمدينة في عهد داود، بل أنها كانت بمثابة مقر للجنود العثمانيين المكلفين بالمحافظة على القدس، وكانت تقوم بمهامها كمركز للحياة الديبلوماسية والعسكرية في المدينة وذلك لوجود الثكنة العسكرية وميدان التحرير قربها. والتقطت هذه الصورة من قبل ميسون بونفيلس ومركزه بيروت، وهي تظهر القلعة من جهة المدخل الشرقي، وعلى الأغلب إنها التقطت بين سنتي ١٨٦٧ - ١٨٩٩م.




Tour de David



» 180 | العلم العثماني في القلعة

هذه الصورة هي اقدم قياسا إلى صورة بونفيس؛ إذ التقطت في سنة ١٨٦٥م من قبل المصور الأرمني جورج صابونجي. وعائلة صابونجي هي في الأصل من ديار بكر. وقد مارس جميع أفراد الأسرة مهنة التصوير فلويس صابونجي على وجه الخصوص قام بالتقاط صور للكثير من المدن العثمانية بما فيها اسطنبول؛ وذلك بتكليف من والي سورية مدحت باشا والسلطان العثماني عبد الحميد الثاني. ويُلاحظ العلم العثماني مرفرفاً في الركن الأيمن من الصورة.

» 181 | الأسوار الغربية لمدينة القدس

التقطت هذه الصورة من الركن الجنوبي للأسوار الغربية لمدينة القدس؛ وهي إحدى الصور النادرة التي تعكس التحوّل الذي حدث في المدينة. والطريق الظاهر في الصورة كان يصل إلى قمة تل النبي داود بعد مروره من الركن الجنوب الغربي من المدينة؛ ويسمي اليهود هذه القمة «قمة صهيون". وعلى هذه القمة توجد أماكن أخرى تعد مقدسة عند المسيحيين. وينبغي أن يكون مرور الحجاج المسيحيين من هذا الطريق على علاقة بهذا الأمر. والبناء الظاهر في الجزء الخلفي من الشجرة الظاهرة على الصورة يعد أول نماذج البناء، وقد تمّ تشييده بعد طمر وادي ماميلا الذي حال وعلى مدى التاريخ دون توسع القدس. وبعد أن اجتازت المدينة هذا الوادي توسعت نحو الشرق بشكل سريع؛ وظهرت بذلك القدس الشرقية الحالية.

182 » | قلعة القدس

عندما شيّد العثمانيون أسوار القدس، أقاموا قلعة المدينة وهذا أمر مؤكد من الناحية الأثرية، ولا يبدو أن لهذه القلعة علاقة مع قلعة داود الوارد ذكرها في العهد القديم وفي كتب جوزيفوس وهو من مؤرخي اليهود في القرن الأول. ويزعم بعض الأثريين أن القلعة التي ذكرها جوزيفوس والأبراج الثلاثة التي أقامها الملك هيرودس الكبير في سنة ٤٠ ق. م. هي في هذه الأرجاء، وأن الأمويين اكتشفوا أسس هذه الأبراج المتهدمة وبنوا عليها أبراجاً جديدة وأن المعماريين العثمانيين أقاموا أبراجاً على أسس الأبراج المتهدمة في العصر الأيوبي. وعلى أية حال فإن هذا البرج لا علاقة له بعهد النبي داود رغم أنها تحمل اسم النبي داود في المصادر اليهودية والمسيحية، وفضلاً عن هذا فإن المدينة التي أقامها النبي داود تقع إلى الجنوب من أسوار مدينة القدس الحالية.

183 » | أسوار المدينة

يحيط بمدينة القدس القديمة سور بني بين سنتي 1536 - 1539م بأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني. وعند بناء السور استخدمت قواعد الجدران القديمة المتهدمة والباقية من العصر الأيوبي، إلا أن هذه القواعد تم تعليتها في بعض الأماكن، وفي بعض الأماكن تمّ تزيينها بأبراج وأبواب رائعة. ويحيط السور بمحيط المدينة ويبلغ طوله 4 كم. وتمّ بناؤه في الجزء الجنوبي الشرقي بشكل مرتفع. أما في الجزء الجنوبي الغربي فشيد بشكل منخفض، وذلك لوجود واديين عميقين في الجهة الشرقية والغربية من المدينة، وتمّ تنظيم ارتفاع السور حسب عمق الوادي. وشيّدت قلعة المدينة في الركن الشمال الغربي وذلك لكون هذه الجهة أكثر عرضة للهجمات.









184 | القلعة ومئذنتها

التقطت هذه الصورة للقلعة من على طريق القدس - الخليل من قبل ستوديوهات الكولونية الامريكية وذلك في سنة [illegible] م. والطريق الظاهر في الصورة تحول اليوم إلى شارع للسيارات، وتضم الصورة كذلك سقف احد المقاهي.

185 | باب العامود (باب الشام)

سميت أبواب مدينة القدس، مثلما كانت تسمى مدن الشرق كلها، نسبة الى اسماء الجهات أو المدن التي تطل على هذه الأبواب. ولكن باب الشام [تغلب عليه اسم باب العامود] كمدينة القدس له اسماء كثيرة، فحتى العصر الصليبي كان يعرف في الثقافة المسيحية باسم باب القديس ستيفن، وهناك اعتقاد بان القديس ستيفن استشهد أمام هذا الباب، إلا أن الصليبيين نقلوا هذا الاسم والاعتقاد إلى باب الاسود وهو الباب الشرقي للمدينة. ويسمى الباب في العبرية حتى الآن باسم Shaar Shkhem أي باب نابلس، وتسمية العرب للباب لها عمق تاريخي. ففي القرن الثاني الميلادي قام الامبراطور الروماني بإعادة بناء المدينة ونصب عموداً في القسم الداخلي لهذا الباب، وأمر ببناء جميع طرق وأبنية المدينة بالقياسات الجارية من هذا العمود، ونصب في نهاية الامر تمثال ادريان على هذا العمود، ولكن بمرور الزمن ازيل التمثال والعمود ولكن بقي اسمه، فالعرب يسمون باب الشام لحد الآن باب العمود أو العامود. وتنسب هذه الصورة الى المصورين روبرتسن وبياتو والتقطت في سنة ١٨٥٧م.



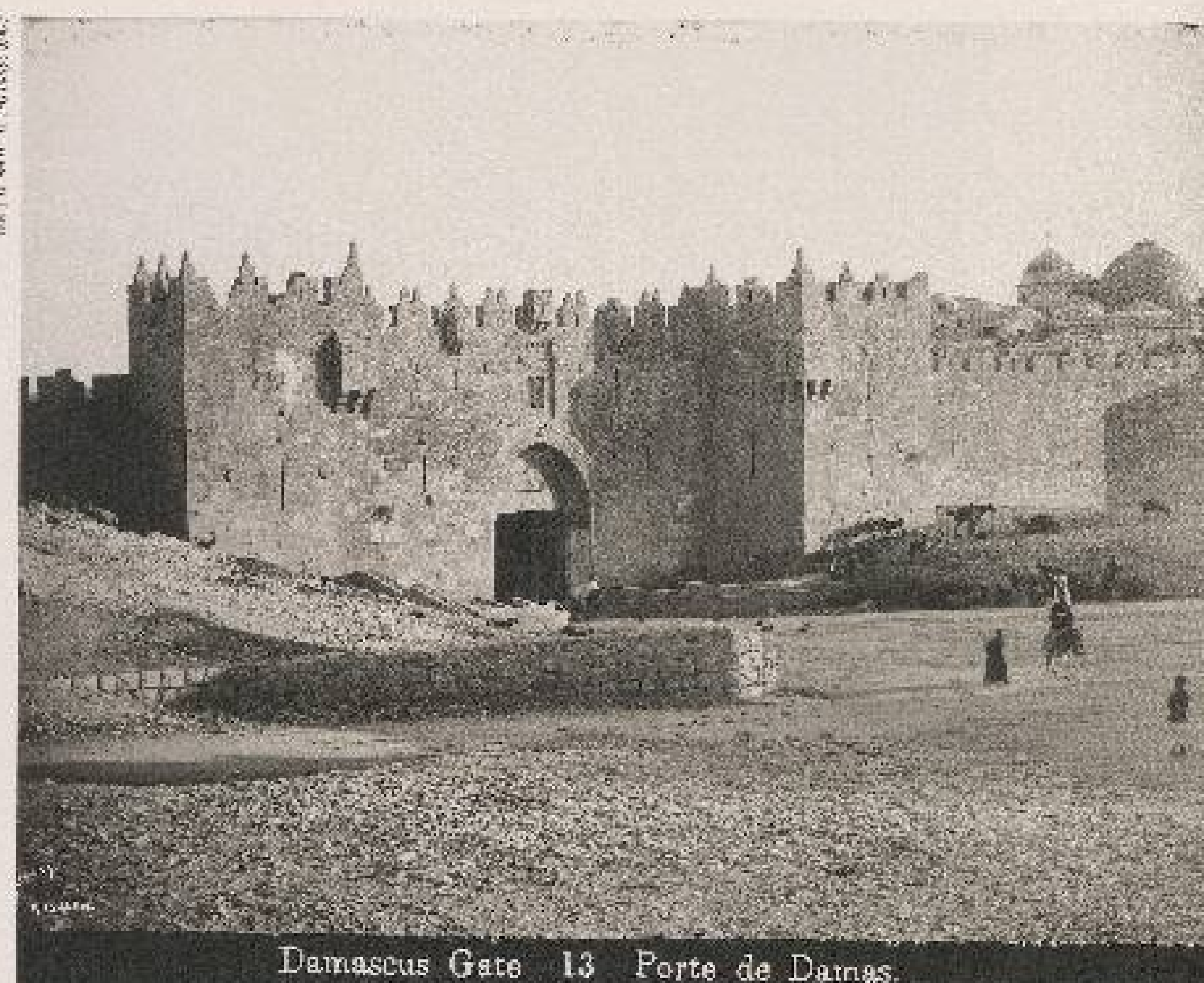
186 | تحويل باب العامود

كان باب العامود هو الباب الرئيسي للقدس حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر حيث أصبح باب يافا يتميز بهذا الوصف فالأسواق كانت تقام بجواره، وتنزل القوافل حملها في هذا المكان وتجري الإجراءات الكمركية الأساسية في هذا الباب. ولم يكن أحد يعرف هذا الأمر في تلك السنوات، ولكن الدراسات التي أجريت في القرن العشرين أظهرت أن هذا الباب الذي يُعد أثرا عثمانيا أقيم على أسس باب آخر أقامه الرومان قبل عدة قرون. وأقيم باب العامود على وادي الجبانة Tyropoean الذي يوضح أحد خطوط طوبوغرافية القدس، غير أن هذا الوادي طمر بالتراب والحصاة بمرور الزمن، ولهذا فان الباب يرتفع على الأساس الحجري لعدة أمتار. وعند إقامته مع أسوار المدينة سنة 1538م لم يكن التراب المتراكم بهذا الحجم، ولم تتحقق إزالة هذا التراب المتراكم وإظهار الباب بكل روعته إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. والتقطت هذه الصورة بين سنتي 1860 - 1880م.



187 | تنظيم الطرق حول باب العامود

التقطت هذه الصورة من قبل المصور ج. صابونجي الديار بكري الذي زار القدس في سنوات 1880، وتظهر فيها الإشارات الأولى للإجراءات المتعلقة بتنظيم الطرق حول الباب والتي كانت تجرى بمرور الزمن.



٢ 188 | قباب ومآذن من باب العامود

التقطت هذه الصورة بين سنتي ١٨٩٨ - ١٩١٤م. ويظهر أن التراب المتراكم بجوار باب العامود قد أزيل بالكامل تقريباً، وأن ملامح شارع سليمان الرئيسي الموازي لأسوار المدينة قد ظهرت. والقباب الظاهرة في جهة اليسار هي قباب كنيسة القيامة. أما المئذنة الكائنة إلى اليمين منها فهي مئذنة جامع الخانقاه، والمعروف أن جامع الخانقاه أقيم في المكان الذي أوقفه صلاح الدين الأيوبي للمتصوفة بعد استعادته القدس من الصليبيين.



٣ 189 | تحول في باب العامود ومناظر بشرية

بين سنتي ١٨٩٨ - ١٩٠٠م جرت تعديلات أساسية أمام باب العامود، وكان يتمّ تبديل بعضها بما هو أجدد عند القيام بذلك. وعلى الرغم من أن الجدران الظاهرة في الصورة ستتمّ إزالتها فيما بعد، إلا أنها استمرت تحدد الملامح العامة للطرق والمباني خارج باب العامود.

237 Damascus Gate. Damascus Thor. Porte de Damas.



٪ 190 | باب العامود كنقطة التقاء

التقطت هذه الصورة - كما هو معروف - بين سنتي 1898 - 1900م ويظهر فيها توسعة الساحة الواقعة أمام باب العامود، وهذه الساحة أعادت من جديد صفة «نقطة التقاء» لباب العامود الذي فقدها. فبعد جلاء العثمانيين عن المدينة استخدمت هذه الساحة كمحطة لنقل المسافرين بين المدن. وبعد انقسام المدينة إلى قسمين: شرقي وغربي بعد سنة 1948 قام الإسرائيليون بإقامة شبكة مواصلات خاصة بهم. وتستخدم الساحة الواقعة أمام باب العامود اليوم محطة لانطلاق السيارات إلى بعض المدن الفلسطينية إلى جانب استخدامها سوقاً مفتوحة.

٪ 191 | قافلة بعير في باب العامود

تحولت الساحة الكائنة أمام باب العامود إلى مكان لتحميل وتنزيل بضائع أصحاب دكاكين المدن والقرى المجاورة ممن يمارسون التجارة وذلك بسبب إقامة أسواق مفتوحة فيها ووجود تجار الجملة في الأفضية الداخلية. وهذه الصورة التقطت في بداية سنوات 1900م وهي تصور تحميل البضائع على قافلة من البعير.

391 Damascus Gate. Damascus Thor. Porte de Damas.



192 | الحياة في باب العامود

التقطت هذه الصورة بين سنتي ١٨٩٨-١٩١٤م ويظهر فيها بدء أعمال البناء خارج باب العامود، والدكاكين الظاهرة إلى جهة اليسار تتوسع فيما بعد بمرور الزمن، ولكنها ستزال بمرور الزمن أيضاً.

193 | سوق الغنم في باب العامود

كان باب العامود وباب الزهرة الواقع إلى الشرق منه مكاناً لبيع الغنم في الوقت ذاته، وفي هذه الصورة التي التقطت في أوائل سنوات ١٩٠٠م نشاهد قطيعاً من الغنم وهو معروض للبيع. وفي الجهة الخلفية يظهر أصحاب مهن مختلفة يبحثون عن رزقهم اليومي في باب العامود، ويظهر إلى جهة اليسار وأمام الحمير صباغ أحذية، وإلى جهة اليسار من الباب ناقل ماء وأمامهما مصلح مواد جلدية.

194 | التقاء أهالي المدينة والقرى في باب العامود

التقطت هذه الصورة في ٣٠ نيسان/ ابريل ١٩٠٨م، ويظهر فيها كذلك سوق مفتوحة للغنم أقيمت أمام باب العامود. وأضيفت إلى جانبي الباب مبان جديدة لا يمكن تغافل تفاصيلها.







195 | القدس من باب العامود

استمر التحول الذي جرى أمام باب العامود حتى اليوم الأخير من جلاء العثمانيين عن المدينة؛ ففي هذه المنطقة بدأ الألمان وغيرهم من البروتستانت بالإقامة وفتحوا لهم فيها مدارس، وكانوا يتحسسون الحياة التجارية. والتقطت هذه الصورة حسب استوديوهات الكولونية الأمريكية قبل سنة ١٩١٤، ولكن يرى بعض الخبراء أنها التقطت في سنة ١٩١٣م. ومع ذلك فإن هذا الأمر ليس مهماً بدرجة كبيرة من حيث الألبوم؛ وإذا صرفنا النظر عن هذا وتحولنا إلى المناظر البشرية أمام باب العامود، نجد في هذه المرة رعاة قدموا لبيع الأغنام فضلاً عن رعاة الماعز، فهنا نشاهد إلى جانب الجمال الحمير أيضاً لنقل البضائع. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار وجود عربات الخيول التي تنتظر لنقل الحمولة أمام باب الخليل، فإنه تتوضح لنا هوية زبائن باب العامود من الناحية الاجتماعية. وإذا ما لوحظت أعمال الحجارة التي نشاهدها في البناء الظاهر في الجزء الأيمن من الصورة فإن هذه الصورة تعد من الصور البانورامية النادرة التي التقطت للقدس من هذه الزاوية، ولهذا فإنها ذات قيمة.

196 | من باب العامود إلى سبيل الشوربجي

ينقسم الشارع الذي يمتد من باب العامود نحو الأسفل وبعد خمسين متراً منه إلى قسمين؛ ويصل المتجه نحو اليسار إلى المسجد الأقصى، أما المتجه يميناً فيصل إلى كنيسة القيامة، وأقيم هذا الطريقان في العصر الروماني، ولهذا أطلق عليهما الاسمان Cardo Maximus و Cardo

197 | تحول في الأرجاء القريبة من باب العامود

التقطت هذه الصورة من على أبراج باب العامود، وهي إحدى الصور النادرة التي تعكس أعمال البناء التي بدأت تمتد نحو الجزء الشمالي من القدس. والمبنى الكبير في الصورة هو خان القديس باول الذي تحول في السنوات المتأخرة إلى مدرسة، وهو يعد أحد النماذج الأولى لأعمال البناء التي بدأها المسيحيون البروتستانت في هذه المنطقة. والمنطقة الحجرية الظاهرة خلف الخان مباشرة هي حجر الجمجمة الذي تم صلب النبي عيسى عليه، وعند التدقيق فيه نجد أن المغارتين اللتين تشكلان تقبين لباب الحجر تبدوان وكأنهما عينان في جمجمة. ويقع أمام هذه المنطقة الحجرية مباشرة محل الحج الذي يطلق عليه البروتستانت اليوم اسم حديقة القبر (Garden tomb).

« 198 | مرشد الأعمى أعمى

يظهر في هذه الصورة مقطع لباب العامود داخل المدينة، وتكمن أهميتها في إظهارها العميان أمام باب العامود وهم يرومون الدخول إلى المدينة أكثر من الباب نفسه، وكما يبدو فإنهم كلهم عميان كما أن مرشدهم أعمى أيضاً. وهم يقومون بزيارة القدس. وهذه الصورة التقطها مصور أستوديو الكولونية الأمريكية - وسماها «مرشد الأعمى أعمى».

« 199 | باب النبي داود

باب النبي داود هو الباب الجنوب الغربي لمدينة القدس القديمة. وفي الجزء الداخلي من الباب نجد المنحدر النازل إلى حي الأرمن وحائط المبكى. أما في الجزء الخارجي من الباب فيوجد مقام النبي داود ومنزل الحواري بيتر الذي تناول فيه النبي عيسى طعام العشاء الأخير المشهور وسلسلة من المحلات المسيحية. ويطلق على التل الكائن خارج الباب في المصادر اليهودية والمسيحية اسم «تل صهيون»، ولهذا سمى العبرانيون الباب باب صهيون.





200 » | إعمار في باب النبي داود

شهدت الساحة الواقعة أمام باب النبي داود كغيرها من الساحات التي تطل عليها الأبواب أعمال إنشائية مكثفة وذلك في الربع الأخير من الوجود العثماني في القدس. ففي هذه المنطقة قام المسيحيون بإقامة كنائس كبيرة لهم وذلك في الأماكن ذات العلاقة بمعتقداتهم، كما قام اليهود الذين استوطنوا المنطقة حديثاً وعلى وجه الخصوص المتدينون منهم بإقامة مؤسسات تعليمية فيها وذلك بغية التواجد بجوار مقام إلنبي داود. وباب مقام النبي داود اليوم هو تقريباً نفس الباب الذي نشاهده في الصورة التي التقطت قبل قرن من الآن، والفرق المهم بينهما هو عدم بقاء جناحي الباب اللذين خلعهما الاسرائيليون سنة ١٩٦٧م عندما كانت القدس تقاوم الاحتلال الاسرائيلي.

201 » | مجمع النبي داود

تُظهر هذه الصورة وضع المجمع الذي يتضمن مقام النبي داود وغرفة العشاء الأخير حسب المعتقدات المسيحية وذلك في أواخر العصر العثماني، وتوجد إلى جانب غرفة العشاء الأخير التي تمّ تحويلها إلى مسجد في العهد العثماني مبانٍ لعليمية أضيفت إليه. وتعود هذه الصورة التي التقطها صابونجي إلى سنوات ١٨٨٠م على الأغلب. ويقع اليوم في محيط هذا المجمع مجموعة من الكنائس المسيحية والكنس (جمع كنيس) اليهودية مثل دورميشن أبي، القديس بيتر (بطرس) كاليكنتو.




Nº Tombeau de David



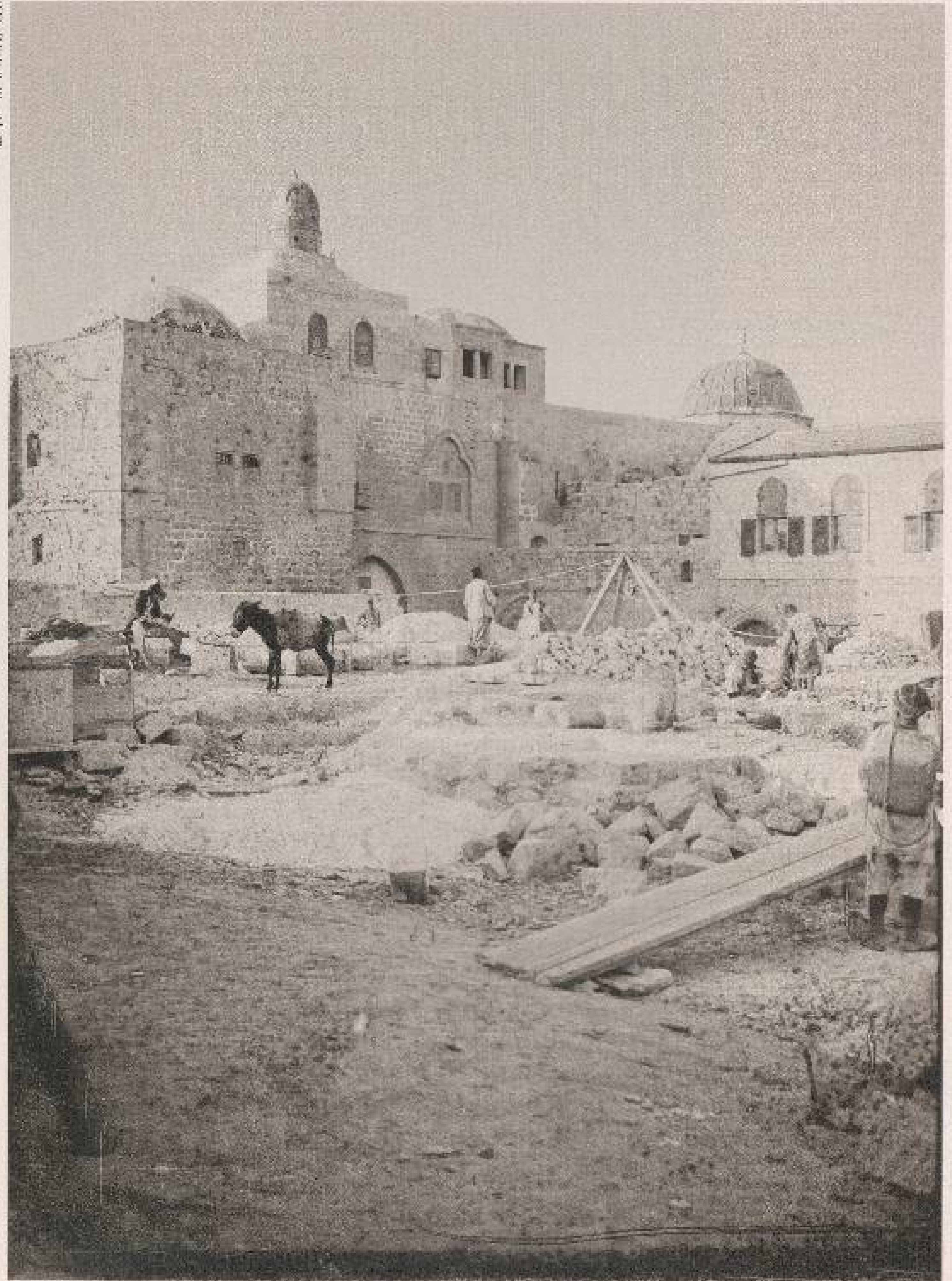
202 | مقابر قرب مجمع النبي داود

غدا مجمع النبي داود مقبرة حظيت باهتمام المسيحيين عبر التاريخ، فالساحة الواقعة قبالة مجمع النبي داود والمحاطة بسور خصصت مقبرة للأمريكيين المتوفين في الأراضي المقدسة، وفي السنوات التي بوشر بالبناء في هذه المنطقة تم نقل المقابر الى جبل الزيتون حيث خصص فيه مقبرة خاصة بالأمريكيين، وهذه الصورة التي التقطها P Bergheim تعود الى سنوات 1860 - 1880م.



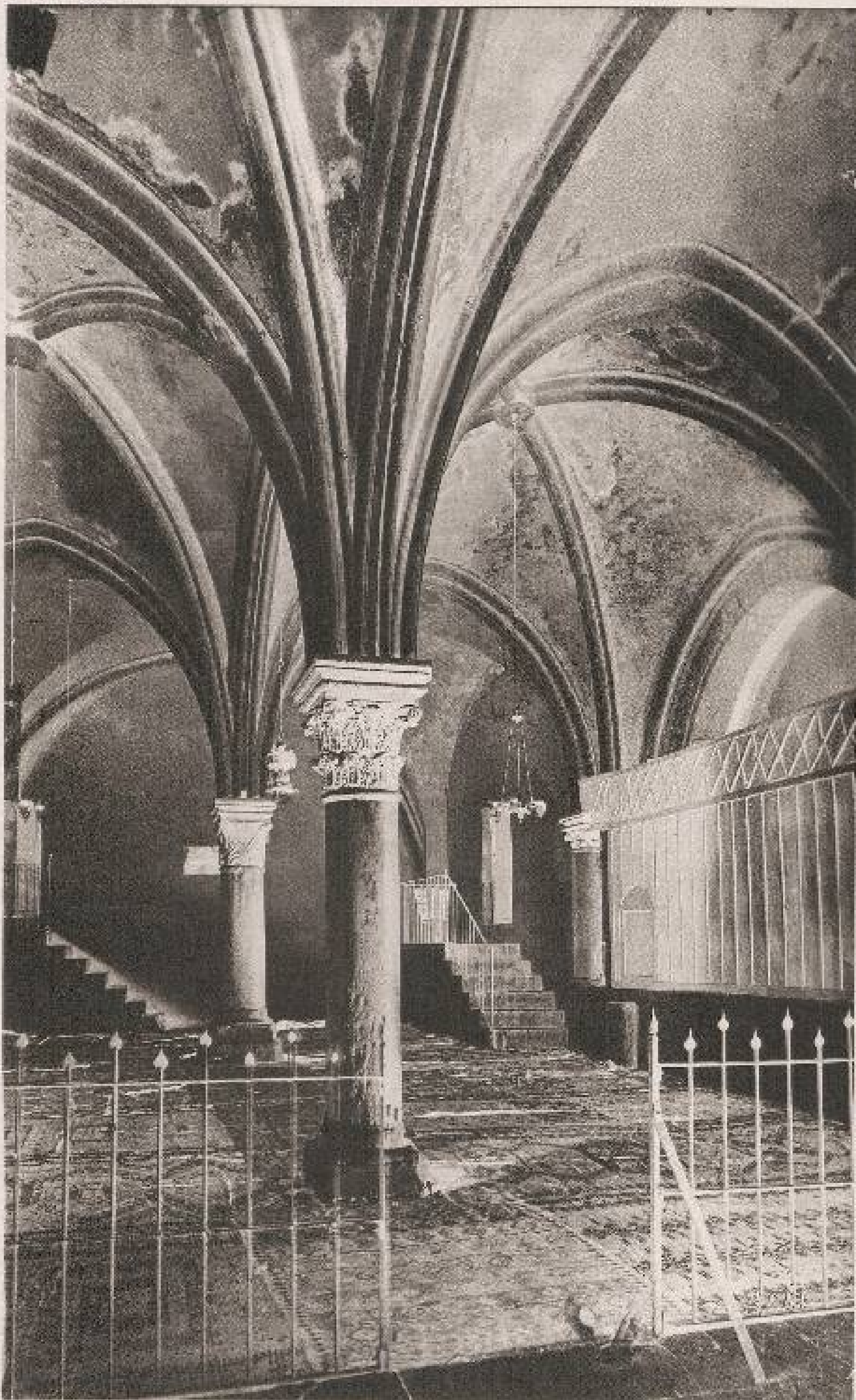
٢٠٣ | طوائف مختلفة في ظل مجمع النبي داود

تعود احدى الساحات الواقعة قبالة مجمع النبي داود إلى طائفة الارمن. وحظي هذا المجمع في المرحلة الأخيرة باهتمام الدولة العثمانية ليس من الناحية العمرانية فقط، بل من حيث الفعاليات الصهيونية أيضا. وواصل المجمع بخاصيته هذه في عهد نظام الانتداب الإنجليزي. كما استخدمت إحدى غرف الطوابق العليا من مجمع النبي داود كغرفة لالتقاء زعماء الصهيونية كـ (اسحق بن زوي) ودبفيد بن غوريون، ووضع الخطط فيها.



« 204 | نشاط عمراني في مجمع النبي داود

التقطت هذه الصورة في الربع الأول من القرن العشرين ومن نفس الزاوية التي التقطت الصور الأخرى، ويلاحظ أن نشاطاً عمرانياً شاملاً قد بوشر به في محيط المجمع وذلك بعد سنة ١٩١٨، وتحولت المنطقة المجاورة للمجمع الى ساحة مفتوحة تستخدم موقفا لانطلاق حافلات السياح الزائرين لمدينة القدس القديمة.



205 | غرفة العشاء الأخير

هناك اعتقاد بأن الغرفة الواقعة على القبة التي يتضمن مقام النبي داود هو المكان الذي تناول فيه النبي عيسى طعام العشاء الأخير مع حوارييه، ويوجد إلى جوارها المكان الذي يعتقد ان الروح القدس نزلت فيه على الحواريين بعد صعود النبي عيسى الى السماء، ولهذا وضع المسيحيون هذا المكان تحت تصرفهم على مر التاريخ. واقيمت غرفة العشاء الأخير بوضعها الحالي في العصر الصليبي؛ وعلى الرغم من هذا فهناك اعتقاد بوجود كنيسة مسيحية أو كنيس يهودي في هذا المكان وهي تعود إلى مرحلة متقدمة. وهذه الكنيسة / الكنيس اقيمت في فترة لم تكن المسيحية تعد بعد دينا مختلفاً عن اليهودية، بل إن أتباع النبي عيسى كانوا وما زالوا يعتبرون أنفسهم يهوداً. وتركت هذه الكنيسة مكانها بمرور الزمن إلى الكنائس البيزنطية التي بدورها تركت مكانها لهذه الغرفة التي بناها الصليبيون والتي غدت على مر التاريخ مكاناً مهماً للمسيحية، إذ شهدت الحدث الأخير [في تاريخ المسيحية] قبيل صلب النبي عيسى؛ وغدت مكاناً يقصد فيه الحجاج المسيحيون وغيرهم، ويتخذون أطواراً لا تعكس جوهر الدين المسيحي. وفي المرحلة التي انضوت المدينة تحت الحكم العثماني وصلت الطقوس المسيحية في هذا المكان إلى درجة عبادة الأصنام. وأمر السلطان سليمان القانوني بوضع حد لهذا فتم وضع اليد عليه وتحويله إلى جامع. وفي سنة ١٩٥٥م حوّله الاسرائيليون إلى متحف ولكنه ما زال محافظا على ملامحه كجامع.

331 Mount Zion. Berg Zion. Mont Sion.



« 206 | بانوراما القدس من الجنوب

التقطت هذه الصورة من جنوب وادي هنوم الذي يحدد الحدود الجنوبية للقدس على مر العصور؛ وهي مهمة من حيث رسمها توسع المدينة نحو الغرب من جهة؛ وبيانها أعمال البناء الجارية بجوار مجمع النبي داود من جهة أخرى. والكنيسة الظاهرة في مركز الصورة هي الكنيسة التي قام قيصر ألمانيا ويلهلم الثاني بتغطية نفقات بنائها؛ وقد أقيمت حسب المعتقدات المسيحية في المكان الذي عاشت فيه السيدة مريم العذراء مدة من الزمن. وفي الجزء الأيمن منها وإلى جهة اليسار تظهر قبة ومئذنة مجمع النبي داود. والقباب الظاهرة عند التقدم نحو اليمين هي قبة كنيس تفئيريت إسرائيل وقبة الصخرة وقبة الجامع الأقصى. ويظهر في الجزء الأيسر من الصورة القسم الجنوبي الغربي من أسوار المدينة ثم تظهر الأعمال العمرانية في القدس الغربية التي يشكل اليهود الأغلبية فيها. والتقطت هذه الصورة حوالي سنة 1914م.

« 207 | باب التوبة والرحمة

تتناول المصادر اليهودية والمسيحية الباب الشرقي تحت اسم الباب الذهبي وذلك استنادا إلى الرواية القائلة أن النبي سليمان عندما بنى بيت المقدس بنى بابه من الذهب. وقد أصبح هذا الباب ذو المصراعين حتى الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة عمر الباب الرئيسي لساحة المعبد. وكان النبي عيسى يقوم بزيارة بيت المقدس مارا من هذا الباب. ويعتقد اليهود أن المسيح سيدخل إلى المدينة من هذا الباب؛ أما المسيحيون فيعتقدون أن المسيح عيسى سيستخدم هذا الباب عند عودته الثانية. كما أن الامبراطور البيزنطي هرقل الذي كان يتولى الحكم في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قد دخل إلى القدس من هذا الباب حاملا معه الصليب المقدس وقطعة من الحجر المعلق اللذين سرقهما الفرس. وتم غلق هذا الباب ببناء جدار عليه إلى جانب الأبواب الأخرى التي تؤمن الدخول المباشر إلى ساحة المعبد وذلك في عهد الخليفة عمر. وتدعي بعض المصادر اليهودية أن هذا الغلق يرتبط بمرحلة قدوم المسيح، إلا أن هذا الإجراء لم يتخذ إلا بسبب القلق الأمني. والتقط هذه الصورة P. Bergheim وتعود إلى مرحلة 1880-1885م.



208 | باب الصحابة

كان للباب الشرقي كما يبدو مصراعان، وهما حسب ما هو متعارف عليه: باب التوبة وباب الرحمة. والداخلون من باب التوبة إلى الأقصى، يتركون المسجد من باب الرحمة وقد غفرت ذنوبهم. واستخدم محيط بابي الرحمة والتوبة مقبرة للمسلمين منذ الأيام الأولى للفتوحات الإسلامية. والمعروف أن اثنين وسبعين صحابيا دفنوا في هذه المقبرة، وقد تم تحديد مقابر ستة عشر منهم. وتم إبراز قبري شداد بن أوس (ت ٦٧٠/ ٥٨هـ) وهو أول وال إسلامي في القدس، وعبادة ابن الصامت (ت ٦٥٥/ ٣٤هـ) وهو أول قاض للمدينة، وتم تغطيتهما بغطاء أخضر. وهذه الصورة التي لا نعرف تاريخ التقاطها بالضبط، من المؤكد أنها تعود إلى ما قبل سنة ١٨٩٩م.



◄ 209 | المدرسة الناصرية

بعد غلق المدخل الخارجي لباب الرحمة والتوبة لم يستغن من القسم الداخلي منه، فقد تمّ تحويله إلى جانب أبنية كثيرة تعود إلى العصرين الأموي والمملوكي إلى مدرسة حملت اسم المدرسة الناصرية. وكان المتصوفة يولون أهمية كبيرة للتعلم في القدس وذلك لأن المدينة شهدت صعود النبي إدريس والنبي عيسى إلى السماء ومعراج النبي (صلى الله عليه وسلم). فكانوا يفضلون هذه المدرسة على وجه الخصوص لوقوعها أمام مكان المعراج ، ومن الزوّار المعروفين للمدرسة الناصرية الإمام الغزالي الذي وضع مؤلفه إحياء علوم الدين عند نزوله في المدرسة. ولهذا تسمى المدرسة «المدرسة الغزالية» أيضا.



« 210 | المدرسة الناصرية من جديد

فقدت المدرسة الناصرية عصرها الذهبي بمرور الزمن وتُركت لقدرها مدة طويلة من الزمن، ويظهر في هذه الصورة التي التقطها Francis Frith بين سنتي ١٨٥٦ - ١٨٦٠م أن باب الرحمة والتوبة لم يعد ومنذ سنوات يستعمل كبناية مدرسة.

« 211 | مدرسة البنات

في أواخر العصر العثماني بدأت حملة أساسية لإعمار المدن العربية وذلك في إطار مشروع تكامل الأراضي العربية مع الدولة العثمانية من جديد والذي تبناه السلطان عبد الحميد الثاني. وفي هذا الإطار تم إحياء المدرسة الصلاحية، وبدئ باستخدامها كمدرسة للبنات. والمبنى الكائن ضمن باب الرحمة والتوبة ما زال يستخدم حتى اليوم مدرسة للبنات.





212 | ٢١٢

» 212 | قبر السيدة مريم

لا نمتلك معلومات موثقة عن المكان الذي دفنت فيه السيدة مريم العذراء ولكن عندما يكون الانسان في القدس يكتفي باعتبار القبر الكائن في أسفل وادي الجوز قبرها، ولا يرى داعيا للبحث عن مكان آخر. فبناية هذا القبر / الكنيسة التي تعود إلى العصر البيزنطي قد حافظت تقريباً على ملامحها بالكامل والتي كانت عليها في العصر العثماني. وكان يوجد طابق ثان على الكنيسة التي نشاهدها اليوم وذلك في العصر الصليبي، وقد تم هدمه في عهد صلاح الدين الأيوبي واستخدم احجارها في ترميم أسوار المدينة.

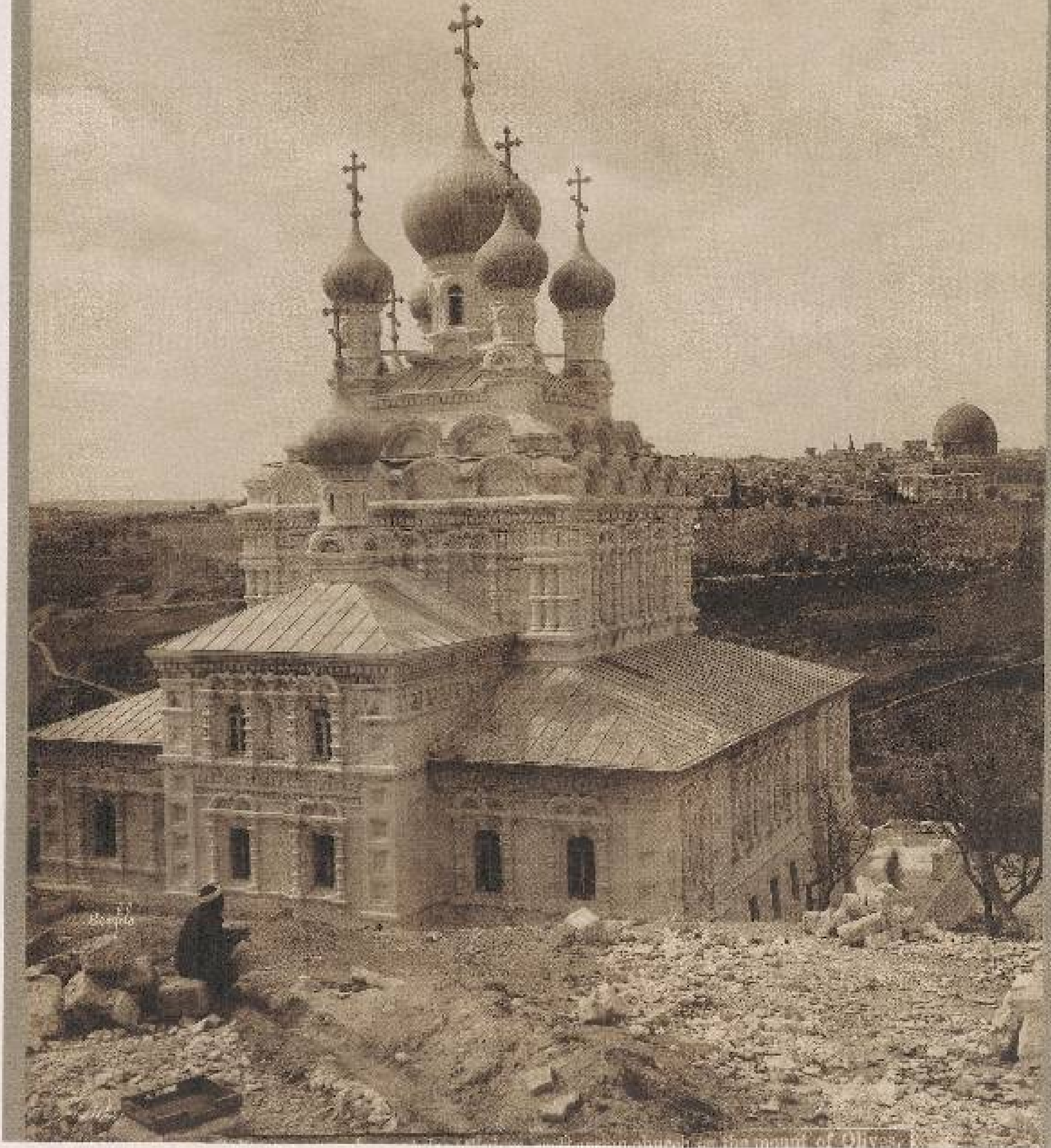
» 213 | المزار الفارغ للسيدة مريم

قبر السيدة مريم عبارة عن مزار فارغ يتم النزول اليه من الباب الظاهر في الصورة وبواسطة خمسين درجة. ويعتقد القسم الأكبر من المسيحيين أن جسد السيدة زينب صعد إلى السماء ولهذا فإن قبرها فارغ.



» 214 | **كنيسة مريم المجدلية**

بنيت كنيسة مريم المجدلية في جبل الزيتون، و غدت إحدى الأبنية الرمزية للقدس. وكانت إليزابيث حفيدة الملكة فيكتوريا، تزوجت من سيرجي شقيق بطرس المجنون ونتيجة لهذا الزواج انزوت إلى عالمها الداخلي، وكرست حياتها للأعمال الخيرية، وأشرفت على بناء هذه الكنيسة ذات القبة البصلية والذي اكتمل في سنة ١٨٨٨، وماتت خلال افتتاح هذه الكنيسة، وتمنت لو دفنت فيها. وفي سنة ١٩٢١م نقل جسد اليزابيث التي أعدمت الى جانب جميع أفراد أسرتها الى القدس ودفنت فيه وذلك من قبل أتباع الكنيسة البيضاء التي لم يتبناها النظام السوفييتي. وأعلنت الكنيسة ارتباطها بروسيا القيصرية وليس بروسيا الحالية، وهي احدى كنائس روسيا البيضاء. والتقطت هذه الصورة بين سنتي ١٨٩٨ - ١٨٩٥م.



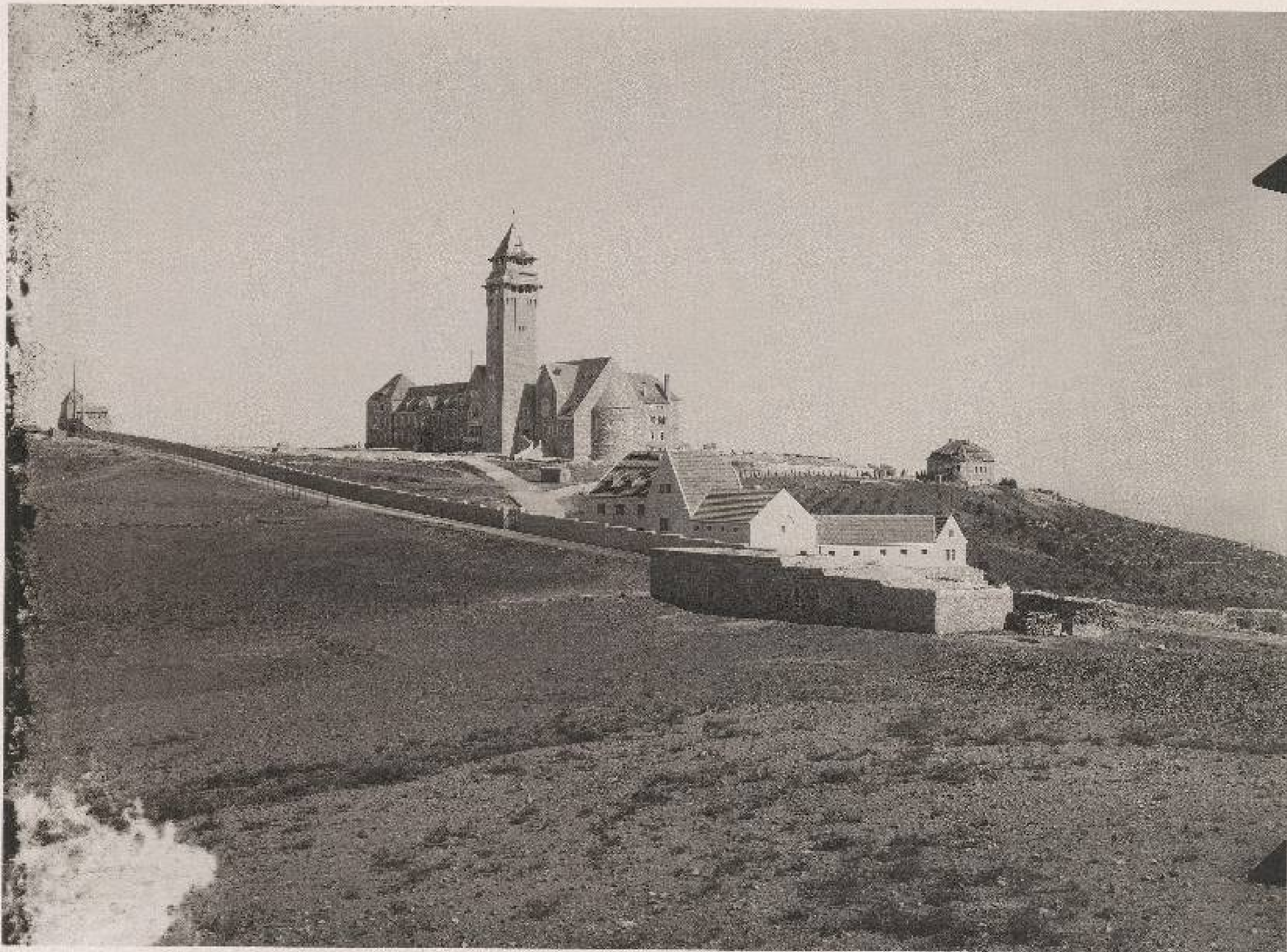
» 215 | من مريم المجدلية إلى الأقصى

التقطت هذه الصورة لكنيسة مريم المجدلية في مرحلة تشييدها وتظهر فيها الواجهة الخلفية لها. واستمدت الكنيسة اسمها من اسم مريم المجدلية التي يعتقد المسيحيون أنها عاشت في عهد النبي عيسى. وكانت في السابق امرأة سيئة، ولكنها غيّرت أسلوب حياتها بعد إيمانها بالنبي عيسى. ويدعي بعض المحللين المسيحيين المحدثين أن النبي عيسى ومريم المجدلية قد تزوجا ورزقا بأطفال وأن ذريتهما قد استمرت. وعلى الرغم من هذا لا يوجد أي دليل لا في المصادر الإسلامية ولا في أيدي من يدعي بهذا الادعاء يؤيد هذا الزعم.



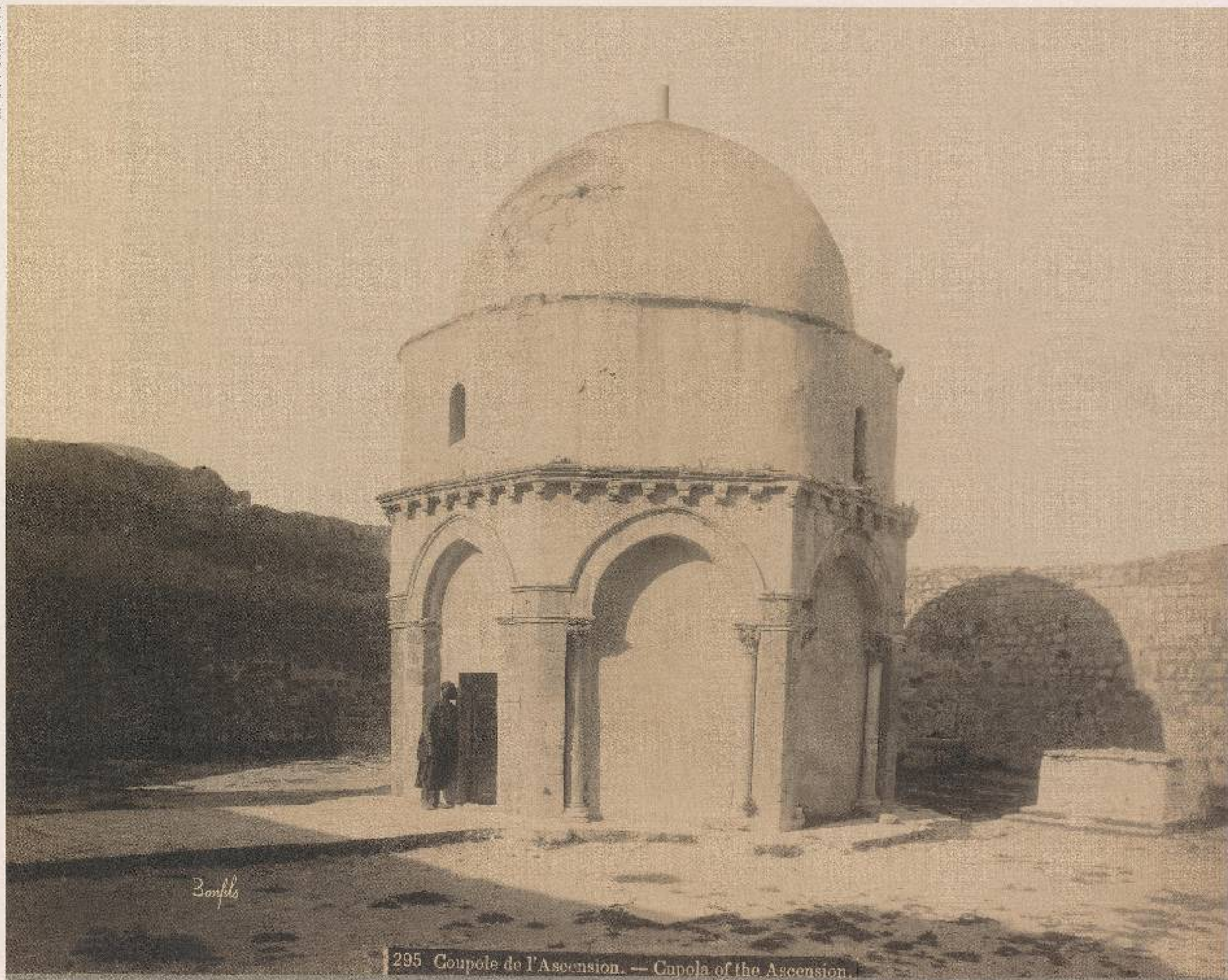
216 | جبل الزيتون بعد العثمانيين

التقطت هذه الصورة بعد سنة ١٩١٩م ويظهر فيها الأبنية المحيطة بكنيسة مريم المجدلية بعد العثمانيين. والبناية المشيدة تحت كنيسة مريم المجدلية تقريبا هي كنيسة كل الأمم.

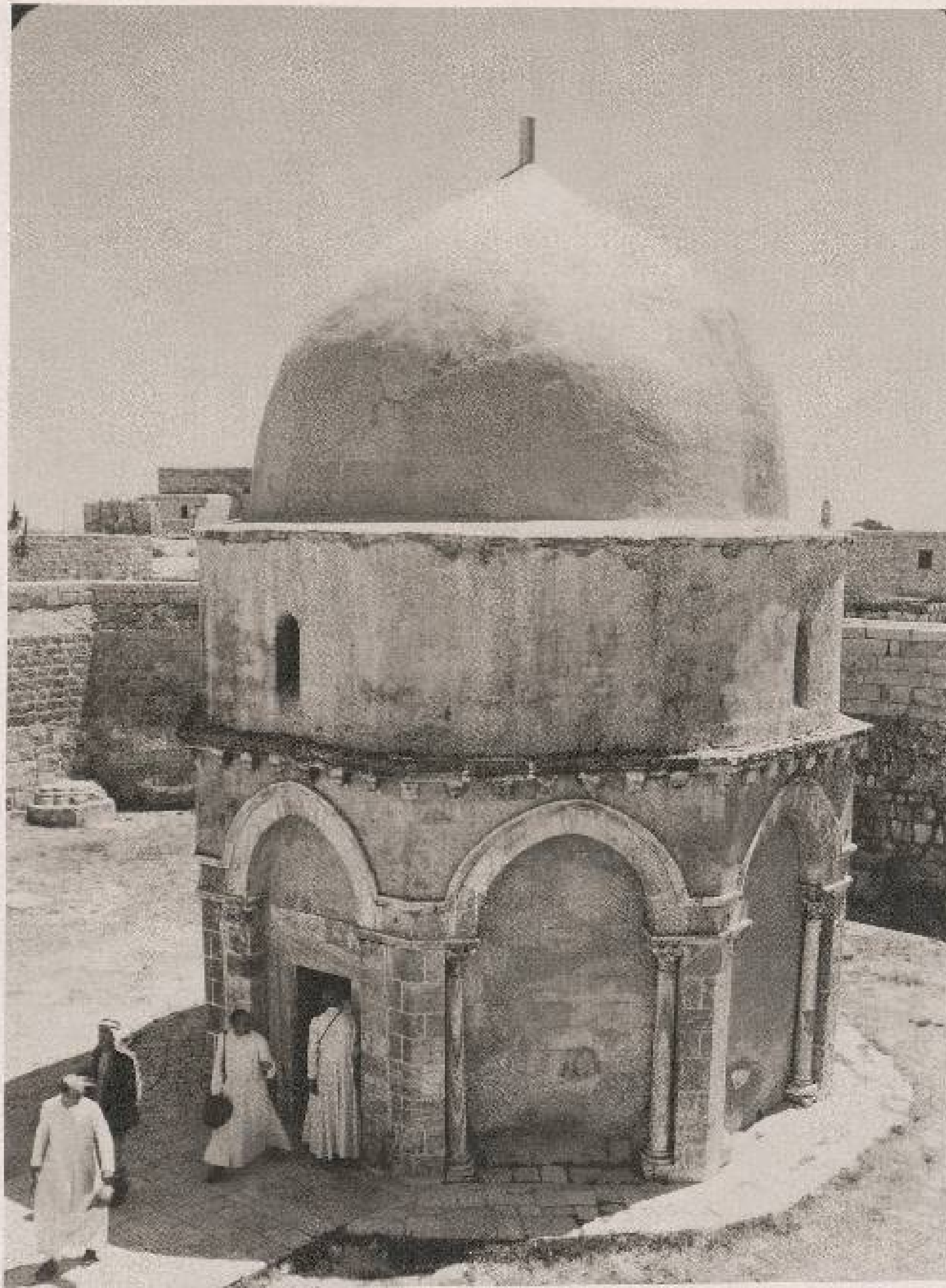


217 | مقر الجيش الرابع العثماني

هذه البناية التي استخدمت مقراً للجيش الرابع العثماني خلال الحرب العالمية الأولى هي نفس مستشفى أغوستا فيكتوريا الذي اكتمل بناؤه في سنة ١٩١٠م، وخطط بناء المبنى خلال زيارة القيصر الألماني ويلهلم الثاني الى القدس. ويقال إن القيصر هو الذي عمل شخصيا تصميم برجه، وبني في الأصل ليكون خانا يحمل اسم زوجة القيصر أغوستا فيكتوريا، واصبح عند انتهائه أحدث مباني القدس، وكان له كهرباء خاص به؛ وهو البناء الوحيد الذي كان يتم الصعود الى برجه بالمصعد، ونتيجة لهذه المزايا فقد استخدم المبنى خلال الحرب العالمية الأولى مقراً للجيش الرابع العثماني، فاصبح مقرا لجمال باشا، ولم تتغير وظيفته بعد سيطرة الانجليز على القدس في سنة ١٩١٧م حيث استخدموه ولمدة طويلة مقراً عسكرياً او مستشفى عسكرياً. وكان [الكاتب التركي] فالح رفقي اتاي امضى ثلاث سنوات في القدس حيث عمل كاتبا لجمال باشا، وتفقد المنطقة وطلع على أراضي المنطقة من على برج أغوستا فيكتوريا وسجل مذكراته عن تلك الأيام في كتابه «جبل الزيتون».



295 Coupole de l'Ascension. — Cupola of the Ascension.



218 | جامع العروج

يقع هذا البناء الصغير في فناء جامع العروج الذي بني على جبل الزيتون في عهد صلاح الدين الأيوبي، وأصبح عنصر جذب للمصورين الأوروبيين أكثر من الجامع نفسه. ويعود السبب في ذلك الى أن هذا البناء، حسب المعتقدات المسيحية، هو المكان الذي صعد منه النبي عيسى إلى السماء راكبا سحابة تحت أنظار حوارييه الذين التقى بهم أربعين يوماً وذلك بعد عودته الى الحياة. وبني هذا المبنى لأول مرة في العصر البيزنطي وكان يخلو من القبة للضرورة التي يفرضها شكل الصعود إلى السماء في ذلك الوقت. إما القبة الحالية الموجودة عليه فقد اقيمت في العصر العثماني، وكما يبدو في الصورة فقد اقيمت بعض القبور في فناء المعبد في العصر العثماني ايضا؛ وكما يستدل من الصور التي التقطت فيما بعد، فانه لم يبق لهذه القبور أي أثر. ويعد هذا المكان اليوم نقطة البداية للحج المسيحي الكبير الذي يقام في أيام الجمعة العظيمة واحد التعالين (السعف). والتقطت هذه الصورة بين سنتي 1367 – 1369م.

219 | معبد الصعود

التقطت هذه الصورة بعد سنة 1369م، ويستدل منها أن فناء جامع العروج لم يشهد تعديلات أساسية باستثناء ازالة القبور التي كانت فيه. ومما يثير الانتباه هنا تشييد البناء في وسط الفناء بحيث يمكن الطواف حوله. ويحتمل أن البيزنطيين الذين بنوا البناء لأول مرة، تأثروا ببناء الكعبة أو غيرها من أماكن الطواف الموجودة في شبه الجزيرة العربية. ومن الممكن أن نجد شبيها لهذا في كنيسة القبر المقدس التي أقامها البيزنطيون أيضا.





220 » | المسكوبية

عززت الكنيسة الروسية الأرثوذكسية وجودها في الأراضي المقدسة في أواسط القرن التاسع عشر. ففي سنة ١٨٦٠م ابتاعوا المحلة المعروفة اليوم بحي الروس الذي يقع في مركزه كاتدرائية الثالوث المقدس. وكان هذا الحي يسمى في تلك الأثناء مسكوبية، وكان الروس بحاجة أساسية إلى خانات لإقامة حجاجهم، ولهذا أقاموا في المنطقة سلسلة من المستشفيات والخانات والمضايف، وقد استمر ذلك حتى سنة ١٨٧٢م حيث شيدوا الكاتدرائية الظاهرة في الصورة، وقد غطى تكاليف بنائها الأمير نيقولا، ويحتمل أن هذه الصورة التقطت في سنة ١٨٨٥م.

221 » | كاتدرائية الثالوث المقدس

تطور حي الروس الكائن بجوار كاتدرائية الثالوث المقدس في غضون فترة قصيرة وتحول إلى أحد أروع أماكن السكن الكائنة خارج أسوار القدس، حتى أن المحل الذي شيد باسم منزل [illegible] والواقع قبالة الكاتدرائية استخدم مدة من الزمن داراً لإقامة متصرفي القدس ومقراً لعملهم، وبعد مدة تحول إلى سجن، ويواصل حي الروس اليوم عكس الصورة التي اكتسبها في المراحل الأخيرة من الدولة العثمانية وذلك بالمطاعم ومراكز الترفيه، وأقيمت بلدية القدس في حي الروس أيضاً.



» 222 | **إنشاءات الطرق المؤدية إلى القدس**

ورد في الألبومات المختلفة ما يشير إلى أن هذه الصورة التقطت في سنة ١٩٠٥م، وهي تظهر الأعمال الإنشائية الجارية على الطريق قرب القدس.





223 | **قافلة جمال في أبواب القدس**

ورد في المدونات ان هذه الصورة التقطت قبل سنة ١٩٢٥م، وتظهر فيها قافلة جمال امام باب النبي داود وهي في وقت الراحة، وهناك تفسير مهم لاراحة الجمال امام باب النبي داود، وذلك لوجود بركة سلوان (سيلومان) في الجزء الأسفل من هذا الباب مباشرة، وهي تعد أحد مصادر المياه الرئيسية المثالية لسقي الجمال، كما ان المكان يستخدم موقفا للحافلات السياحية رغم عدم وجود علاقة بين الاثنين.





224 | في الطرق

جبل الزيتون من طريق بيت حاني... التقطت هذه الصورة في السنوات الأولى من القرن العشرين، ونشاهد فيها مناظر جبل الزيتون الواقع على الطريق المؤدي من القدس الى العيزرية وبيت حاني. والبرج الظاهر على قمة هذا الجبل هو برج الروس.

225 | دير الجنة: أثيوبيا في الأراضي المقدسة

إذا سألتم الاثيوبيين عن الوجود الاثيوبي في الأراضي المقدسة سيقولون لكم ان ذلك يعود إلى عهد النبي سليمان وبلقيس ملكة سبا التي قامت بزيارته، وقد استمر هذا الوجود منذ ذلك الوقت دون انقطاع. وعلى الرغم من عدم توافق هذا الاعتقاد مع الحقائق التاريخية فإنه يمكننا القول أن المسيحيين الأحباش كانوا ومنذ المراحل المتقدمة على صلات مع القدس، وقد تعززت هذه الصلة اعتباراً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث تمتعت اثيوبيا بالأمن والنظام. وفي عهد الإمبراطور الاثيوبي يوهانس وحوالي سنة ١٩٠٠ تمّ شراء قطعة أرض في شارع أثيوبيا في القدس لإقامة دير الجنة (Debre Gennet) عليها، وقد بوشر ببنائه في هذه المرحلة. ويظهر في الجزء الأيمن من الصورة حي المسكوبية وكاتدرائية التثليث المقدس. أما في اليسار فيظهر برج الروس على جبل الزيتون.





447 Mizpah where Samuel Judjed Israel. Mitzpah. Tombeau de Samuel.



437 Pool of Siloam. Siloa Teich. Piscine de Siloé.

« 226 | الحصن الأخير للدفاع عن القدس: النبي صموئيل

يقع مجمع النبي صموئيل على تل في الجزء الشمالي الغربي من القدس. وقد ذكر النبي صموئيل بهذا الاسم في العهد القديم، وورد ذكره في القرآن بما قام به من أعمال؛ وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل، وقد لعب دوراً في إقامة بني إسرائيل مملكة تحت حكم الملك هارون (شاؤول)، كما كان العامل المؤثر في إعلان النبي داود ملكاً. وغدا النبي صموئيل نبي مصالحة على مر حياته، ولهذا أصبح الجامع الكائن في المكان الذي يوجد فيه مقامه مكاناً غلب عليه عبر التاريخ التسامح والتعايش. ولكن مما يؤسف أن تل النبي صموئيل أصبح مسرحاً لآخر معركة خاضها العثمانيون وخسروا بعدها القدس، وتعرض الجامع خلال المصادمات إلى تخريب كلي. وقد تحول اليوم إلى متحف، ويعتقد أن كنيسا يهوديا كان موجودا في مكانه، وأن هذا الكنيس أقيم محل كنيسة بيزنطية كانت موجودة في المراحل المتقدمة.

« 227 | مئذنة سلوان وأسوار المدينة

في النقطة التي يلتقي فيها وادي الجوز مع وادي هنوم في الجنوب تقع قرية سلوان وبركة سلوان. وأنشئت هذه البركة في العصر الروماني لتتجمع فيه المياه الجارية في قناة ضيقة. وأقيمت المئذنة الكائنة على رأس البركة في العصر العثماني وتحولت بمرور الزمن إلى جامع كبير. ويظهر في الجزء الخلفي من الصورة أسوار المدينة القديمة العائدة إلى العصر العثماني. والتقطت هذه الصورة بين سنتي ١٨٩٨ - ١٩١٤م.



439 Joab's Well. Joabs Brunnen. Puits de Joab.



228 » | بئر النبي أيوب

تقع بئر النبي أيوب (En-Rogel) في جنوبي قرية سلوان وعلى حوض الوادي الجاري نحو البحر الميت. وتوجد مثيلات هذه البئر في الأناضول أيضاً، وهي تمنح الحياة للبيئة التي تحيط بها، وتقع على حافة صحراء قاحلة، وهي في وضع بحيث يؤكد ما ورد في القرآن الكريم عن المسجد الأقصى. وتعود هذه الصورة إلى سنوات ١٨٩٨-١٩١٠م.

229 » | باب حي الأرمن ذو النجمة والهلال

حي الأرمن في القدس عبارة عن مدينة صغيرة داخل مدينة القدس. وكما يستدل من هذا المدخل الرائع للحي أن أطرافه محاطة بجدران عالية وبهذا يُعد حياً صغيراً مغلقاً على نفسه. وتشكل كاتدرائية القديس جيمس (مار يعقوب) العنصر المركزي لهذا الحي، ويعتقد أنها أنشئت على المكان الذي يضم قبر القديس جيمس وهو من الحواريين. وأكمل بناؤها في القرن الثاني عشر ولكن جرت تعديلات أساسية عليها في القرن الثامن عشر على وجه الخصوص حيث تم تزيينها بالبلاط القاشاني الأرنيقي، ومما يلفت النظر في هذه الصورة التي التقطت في الربع الأول من القرن العشرين وجود شكل النجمة والهلال على الحجر الكائن بجانب مصراعي باب الحي.

« 230 | أقدم مسيحيي القدس

تعتبر طائفة الأرمن في القدس صغيرة بالمقارنة إلى الطوائف المسيحية الأخرى، إلا أنها تمتلك حيا خاصا بها، ولهم حصتهم في الأماكن المسيحية المشتركة وهي أكبر ولا تنسجم مع تعدادهم. فعلى سبيل المثال أن الجزء العلوي من مدخل كنيسة القيامة هو لهم. ولا يمكن فهم هذا الامتياز الممنوح للأرمن من قبل من يجهل أن الأرمن كانوا قوما مخلصين على مدى التاريخ العثماني. ومن جهة أخرى نجد أن الأرمن يتفاخرون بأنهم لم يقطعوا وجودهم في القدس على مر "التاريخ" ويدعون أنهم أقدم طائفة مسيحية في الأراضي المقدسة. والأطفال المحتشدون أمام مدخل الحي هم ربما من كانوا يتلقون تحصيلهم الدراسي في إحدى المدارس الأرمنية أو في مدرسة الرهبان بالذات.

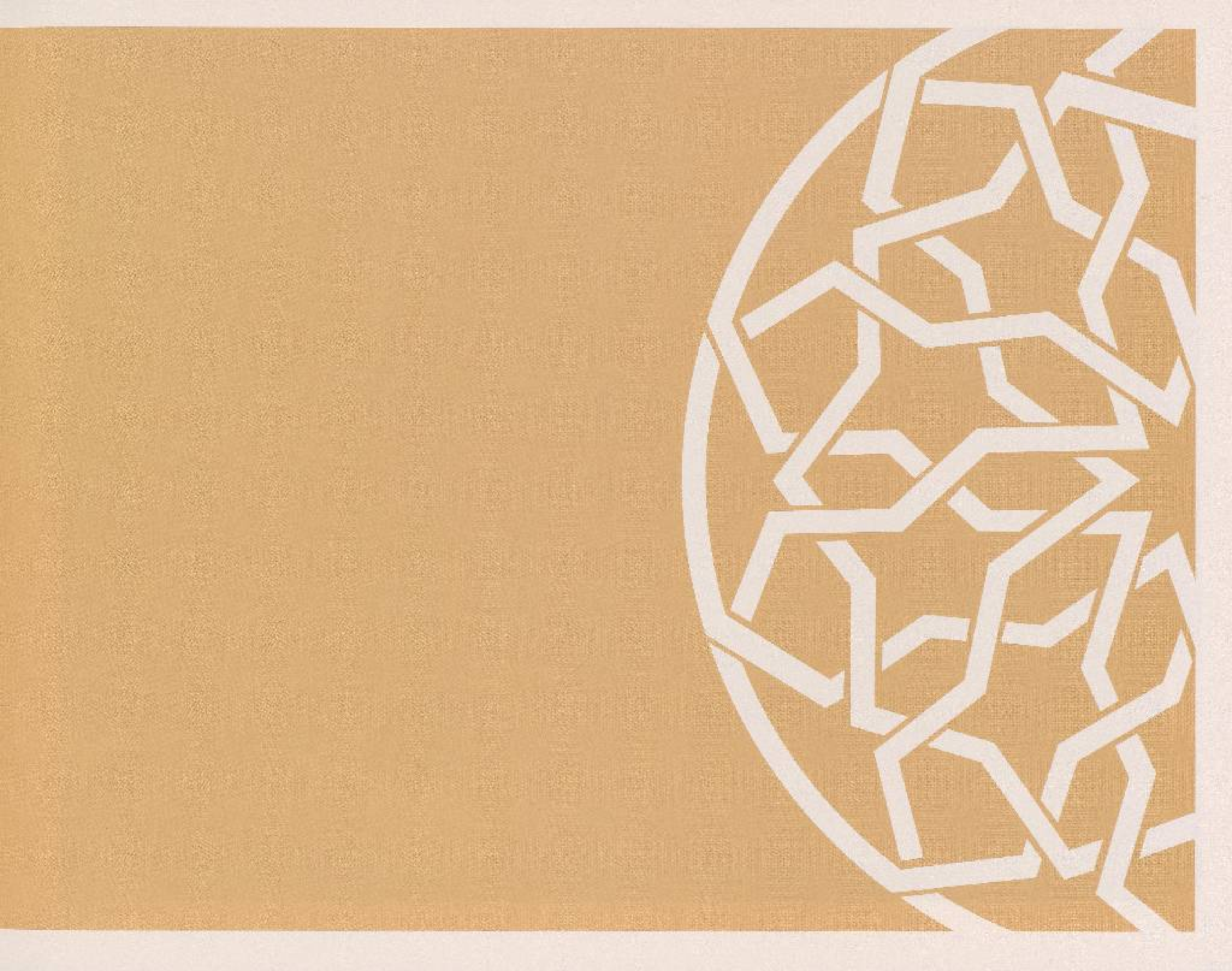
« 231 | سوق الحطب

ضم حي الأرمن في القدس المساكن إلى جانب الكنائس، ولتغطية احتياجات هذه المساكن كان مدخل الحي يتحول بين حين وآخر إلى مكان للسوق. ويظهر في هذه الصورة التي التقطت بين سنتي 1898 - ١٩١٤م قرويون جلبوا جذور الأشجار إلى مدخل الحي لبيعها.





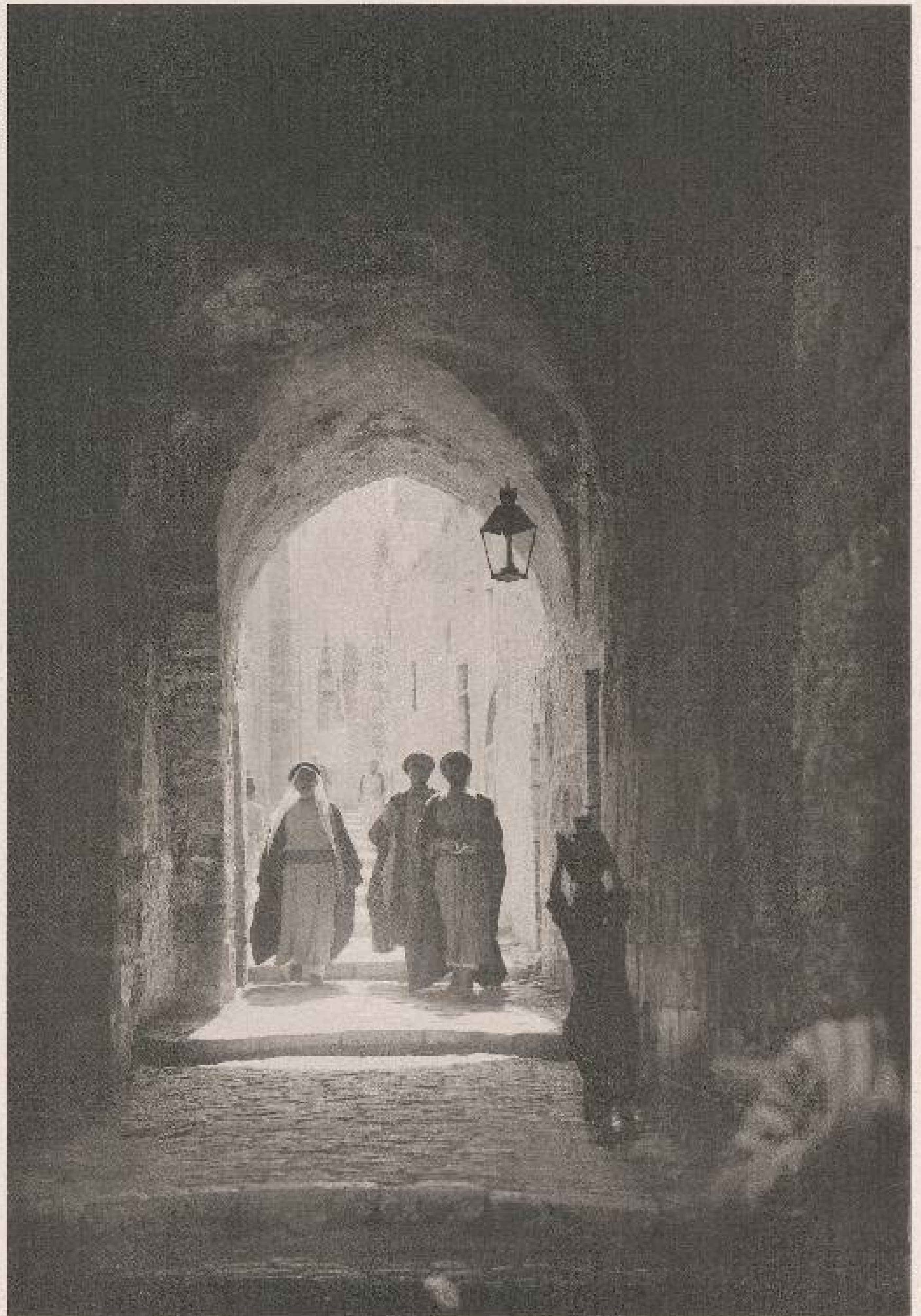
327 Entrance to the Arménian Convent. Armenisches Kloster. Le Couvent Arménien.





القسم السادس

أزقة القدس



232 « | أزقة القدس

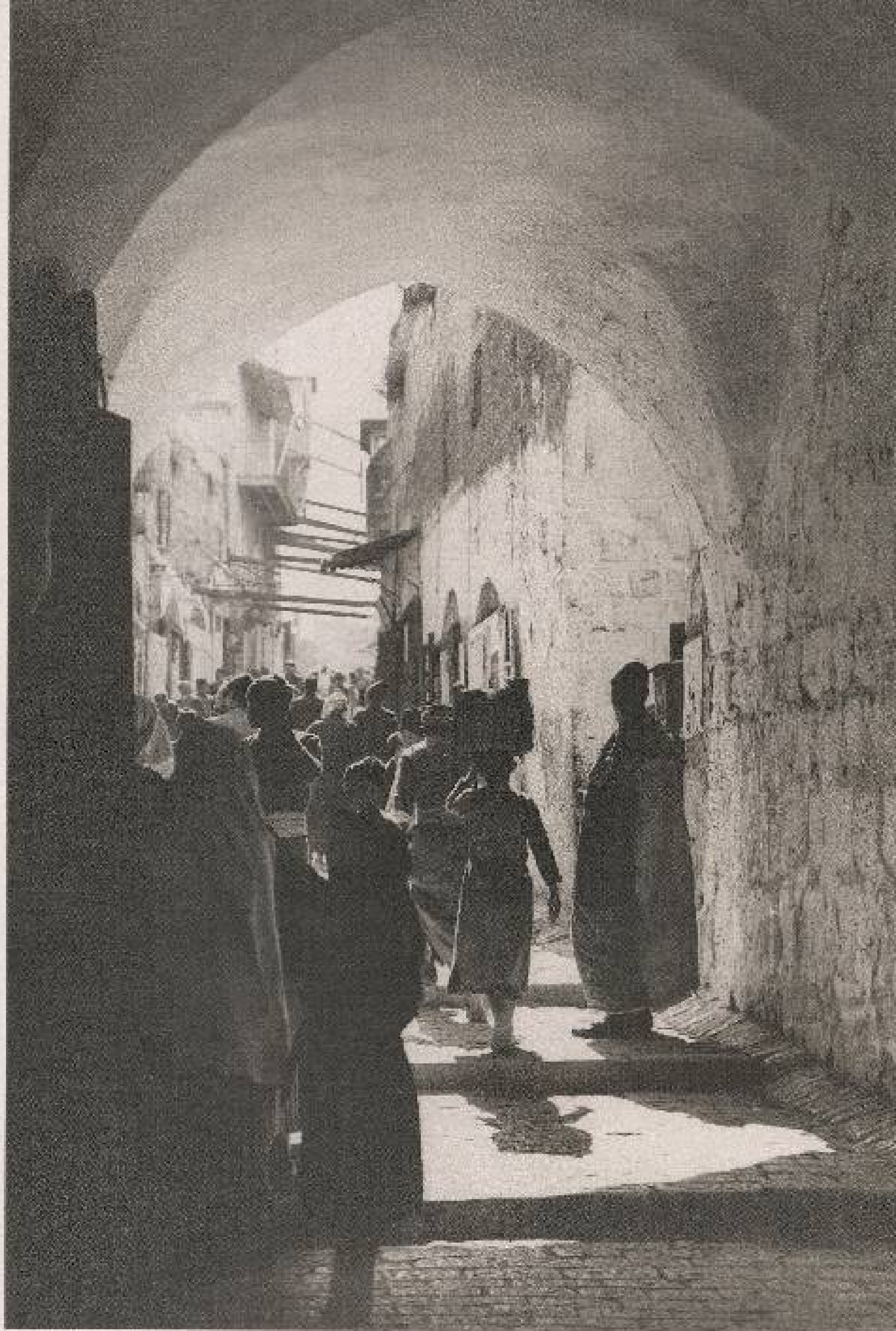
إن هذا الطريق المدرّج يقطع المدينة من الشمال الى الجنوب في ثلاثة اجزاء ويربط طريقين مركزيين بعضهما ببعض، ويوجد في أحد طرفي الطريق شارع الواد وفي طرفه الآخر شارع خان الزيت، ويظهر في الصورة الى اليسار مدخل سرايا طنشق خاتون الذي يعد جزءا من وقف خاصكي سلطان.



« 233 | شارع النبي داود

كان شارع النبي داود الذي يمتد من باب الخليل حتى المسجد الأقصى شارعاً مركزياً في الاتجاه الغربي - الشرقي، وكان بمثابة مركز للتجارة، وكانت الشوارع الأخرى في المدينة تمر من داخل حي واحد، ولهذا فإنه كان يشعر بثقل إحدى الطوائف: الإسلامية، اليهودية والمسيحية وعلى الرغم من هذا فإن شارع النبي داود كان يعكس شكلاً لجميع الأمم والطوائف.

89. STREET IN JERUSALEM.



ح 234 | في طريق الأقصى

إن جميع أزقة القدس القديمة تكاد تعتبر مجالاً للحياة من جهة ومن جهة أخرى مكاناً للتنزه يطل على المسجد الأقصى الذي تتركز المدينة حوله. ويمر وادي الجبانة بين التل الذي يقع عليه باب الخليل والقلعة وبين التل الذي يقع عليه المسجد الأقصى ولهذا فإن الطرق الواقعة في الجهتين اليمنى واليسرى تنحدر نحو هذا الوادي ثم تصعد نحو الأقصى. وهذا الأمر خلق بحرص مشاهد للمشاة عند النزول مثلما سجله المصور.

ط 235 | أزقة تتجمل بالإنسان

تعرضت القدس في السنوات الأولى من القرن العشرين إلى إقبال سياحي كبير، واستقر قسم من الوافدين الجدد بشكل دائم في المدينة. [وفي هذه الصورة] نشاهد أحد الأزقة التي تربط حي اليهود بشارع النبي داود وهي تعود إلى تلك السنوات.

ي 236 | شارع النبي داود من الثغر الشرقي

التقطت هذه الصورة قبل سنة ١٩١٠م، ويظهر فيها الجزء الأخير من شارع النبي داود من جهة الشرق. ثم ينحرف الشارع لينقسم فيتوجه نحو حائط البراق من جهة وباب المحكمة للمسجد الأقصى من جهة أخرى.



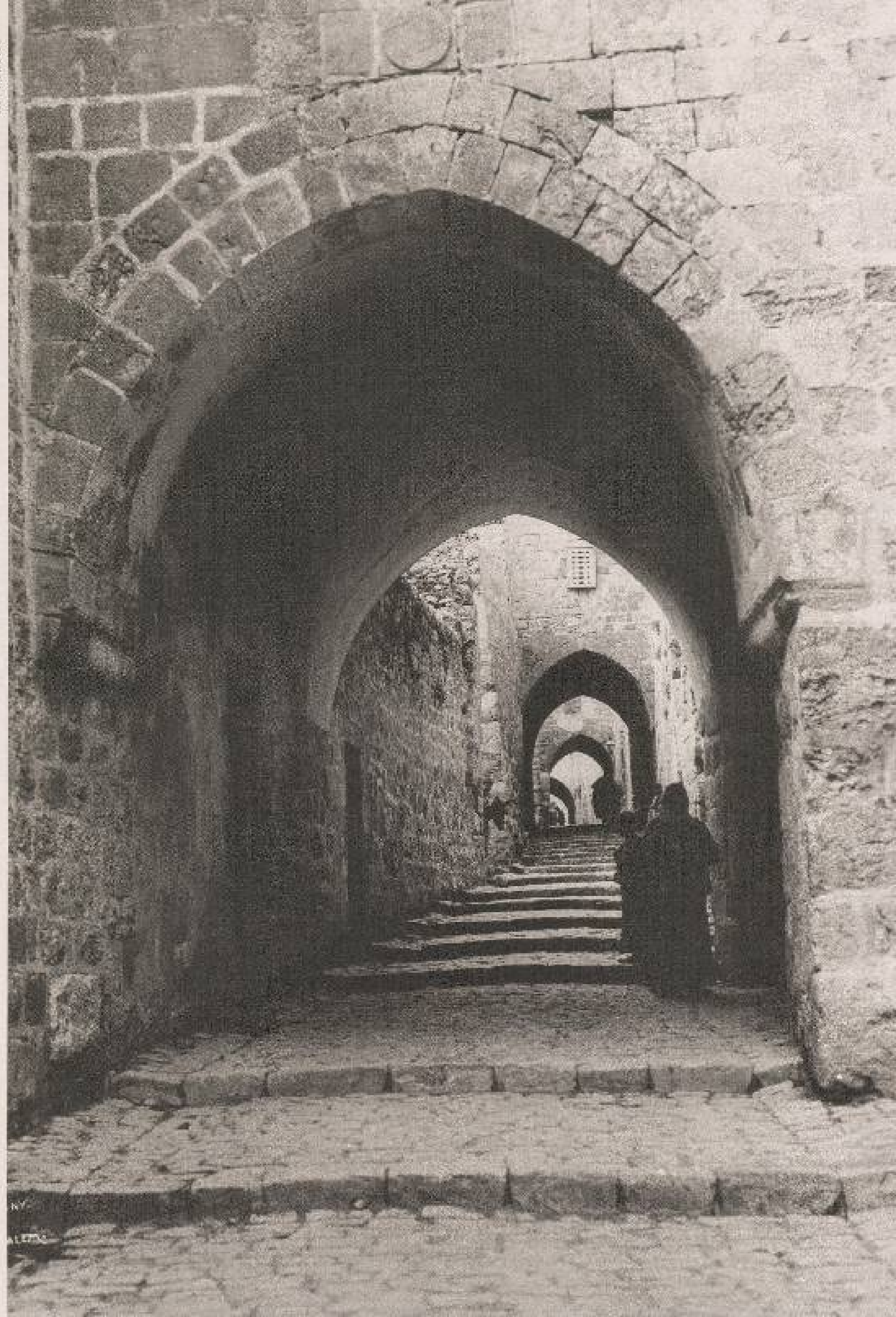
» 237 | داخل باب العامود

يمتد هذا الشارع من باب العامود في الشمال عابراً المدينة من أمام حائط المبكى ويصل حتى باب القمامة وهو شارع الواد. وكان يضم أفرانا ومطاعم وبسطات تقام لعرض منتجات القرى. وكان من الممكن مشاهدة المسيحيين في هذا الشارع وذلك لتقاطعه مع طريق الآلام الذي هو مسار الحج عند المسيحيين. وكذلك مشاهدة اليهود عند الوصول إلى حائط المبكى. والتقطت هذه الصورة في إحدى السنوات الخمسة عشر الأخيرة من الوجود العثماني في المدينة.

» 238 | دكاكين في باب العامود

إن هذا المنحدر النازل من باب العامود إلى شارع الواد هو اليوم، مثلما كان في السابق، مركز مزدحم للتسوق. ويباع فيه بشكل خاص المواد الغذائية. وكما يظهر في الصورة فإن معظم الأبنية الكائنة اليوم على جانبي الطريق لم تتم إقامتها بعد، ولهذا لا نخالف الصواب إذا قلنا إن الصورة تعود إلى مطلع القرن العشرين.





239 | طريق ذو أقواس في القدس العثمانية

لم تعرف الهندسة المعمارية للأزقة في القدس العثمانية، كما هو الحال في الكثير من مدن الشرق، صفة مميزة؛ غير ما نجده في البيوت؛ إذ أن البيت يبدأ من الباب المطل على الزقاق، وترتبط البيوت بعضها ببعض على الأغلب بالأقواس المبنية فوق الأزقة. ويظهر في هذه الصورة زقاق مقدسي يلتوي بين البيوت المشيدة على الأقواس، والتقطت هذه الصورة قبل سنة ١٩١٤م.



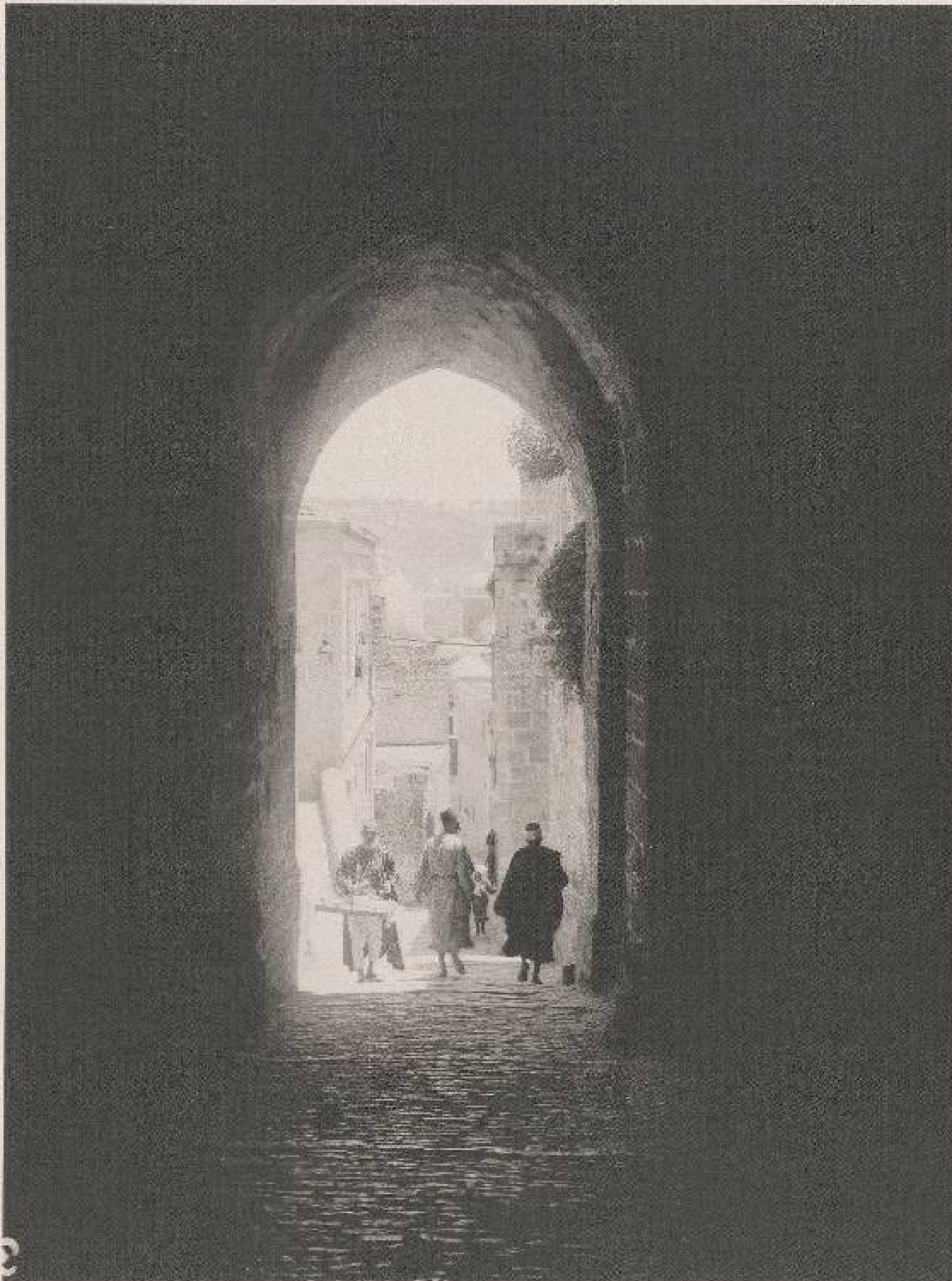
» 240 | نفس الطريق: وجود مختلفة

التقطت هذه الصورة من نفس الطريق، ولكن تاريخ التقاطها معروف: ٢ كانون الثاني ١٩٠٦م.

« 241 | تقاطع طريق ذي أقواس في القدس

تعد مدينة القدس من المدن النادرة التي تتحكم فيها عمارة المدينة على حياة وطبيعة الإنسان، وكانت المدينة الصغيرة التي انحصرت داخل الأسوار تفرض على الناس أن يعرفوا كيفية استغلال المكان بشكل فعال، وتعلمهم التسامح لضمان يووي العتبات المقدسة للديانات المختلفة، وكان التسامح ضرورة تفرضها نقاط تقاطع الطرق التي يواجهها هذا التنوع بشكل خاص، ويظهر في الصورة تقاطع طريق ذي أقواس يشهد هذا التنوع.





» 242 | منظر لزقاق في القدس

يشاهد من هذا الطريق المُعبّد بالحجر والواقع في الاتجاه الشرقي- الغربي، الطرق الملتوية لجبل الزيتون. وينبغي ان نقرّ على ان هذه الصورة التقطت ضمن الإمكانات والمفاهيم الفنية للقرن العشرين ، قد عفا عليها الزمن.





» 243 | **منظر الزقاق أمام باب الخليل**

تعود هذه الصورة إلى ما قبل سنة ١٩٠٨م حيث لم يُشيَّد بعدُ برج الساعة لباب الخليل، ولكن يظهر فيها أن الزقاق كان يشهد في حينه حركة، وقد بدئ باستخدام عربات الخيول بشكل مكثف.

» 244 | **دكاكين في أزقة المدينة القديمة**

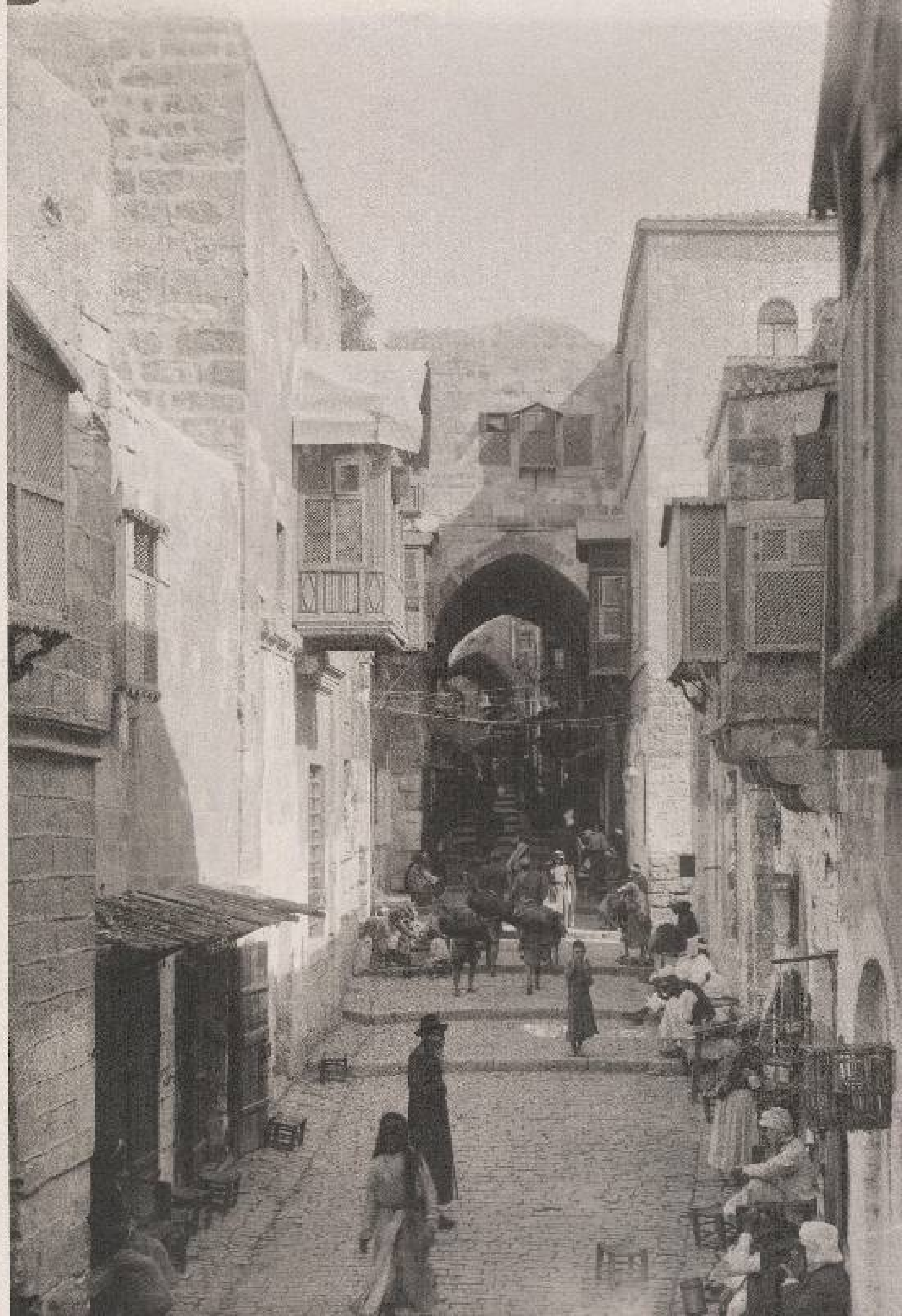
انتعشت التجارة في القدس في أواخر العهد العثماني إلى حد كبير، وتجلّى هذا الانتعاش بشكل طبيعي في شوارع النصارى واليهود الذين ازداد عددهم، وتظهر في الصورة دكاكين في شارع النصارى وحركة الناس الكثيفة.

» 245 | شارع باب السلسلة

يمتد هذا الشارع من باب المحكمة للمسجد الأقصى حتى باب يافا ويتفرع منه الزقاق الصغير الظاهر في جهة اليسار ويؤدي إلى حائط المبكى. وسبب الاختلاف في الوجوه الواردة في الصورة يعود على الأكثر إلى هذا الأمر. والتقطت الصورة بين سنتي 1920 - 1930م.

» 246 | على مقربة من الجامع العمري

يقع هذا الزقاق بجوار الجامع العمري ويمر منه القادمون من باب الخليل أو الباب الجديد إلى المدينة وذلك عند توجههم إلى كنيسة القيامة. والتقطت هذه الصورة بين سنتي 1898 - 1914م ويظهر فيها مشهد معبّر عن تعايش الناس المنتمين إلى أمم مختلفة مع بعضهم البعض. ويستدل من ازدحام الناس في الزقاق بهذا الشكل على وجود حفل ديني في كنيسة القيامة في ذلك اليوم.





336 Steps leading to the Holy Sepulchre. Les marches qui conduisent au St. Sépulcre





247 | مقهى في القدس

التقطت هذه الصورة بين سنتي ١٩٠٠ - ١٩١٥م والعنصر المثير فيها وجود فونوغراف (حاكي) في المقهى.

248 | مقهى أمام باب العامود

كان هذا المقهى الكائن خارج باب العامود يعد نقطة التقاء مهم لزوار المدينة وعمال المياومة يبحثون عن عمل في المدينة. ويبدو أن النارجيلة (الأرجيلة) كان يتم استخدامها في تلك المرحلة أكثر مما يستخدم اليوم وأنها كانت مادة استهلاكية لا تعترف بالتقسيم الطبقي. والبناء الكبير الذي يظهر جزء منه في الصورة هو خان القديس باول للحجاج.





» 249 | في باب الجامع العمري

التقطت هذه الصورة من باب المسجد العمري. و تعود الى وقت لم يستخدم فيه جهاز الاغلاق في الات التصوير، وكان يخشى من تحرك الأشخاص في الصورة واهتزازهم لذا، و لهذا استعيض عنهم بعارضين مدربين.

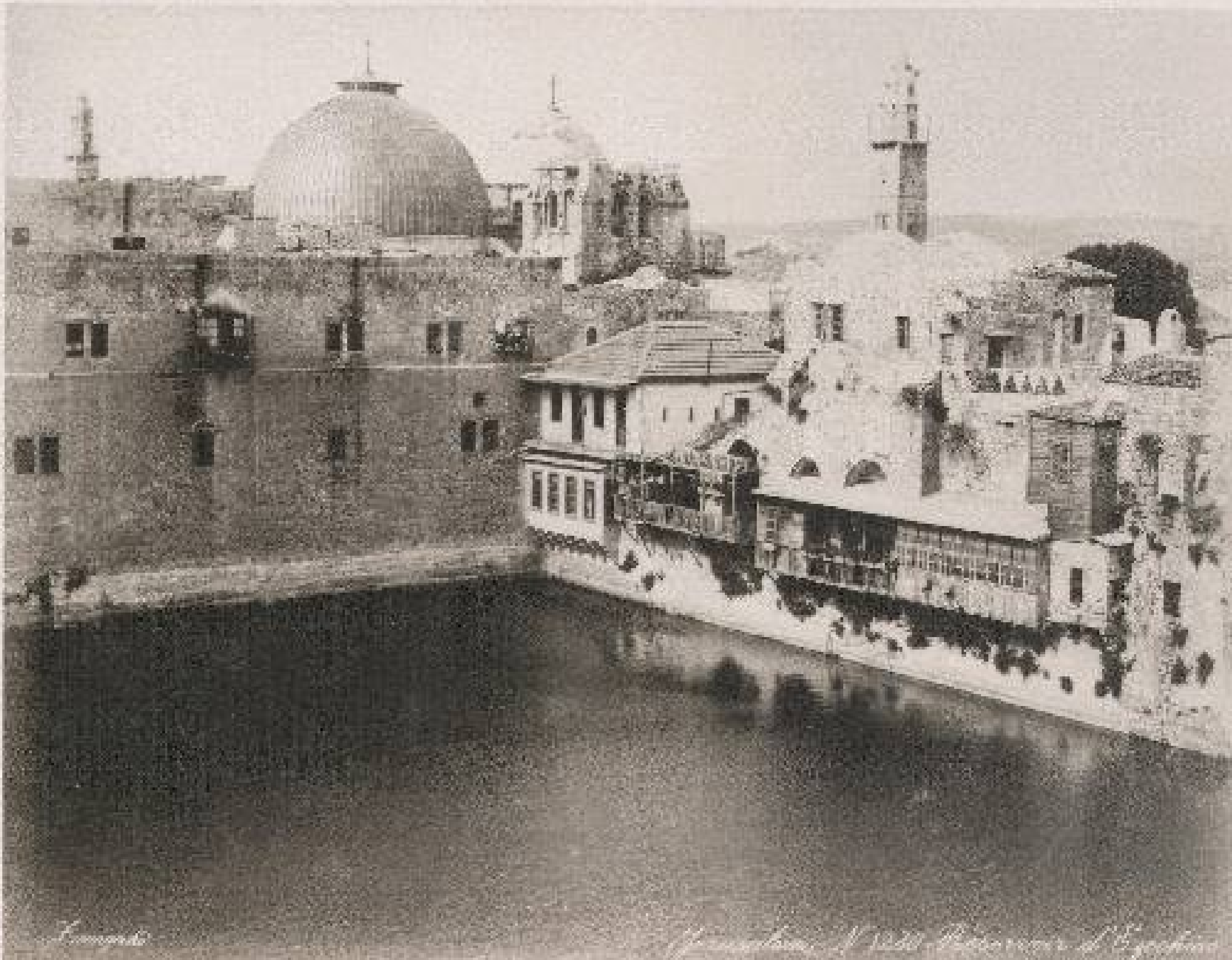
» 250 | منظر من شارع الواد

هذا المنظر من شارع الواد يعكس الجمال الذي تكسبه الأبنية المشيدة على الأقواس للمدينة. وكان المسلمون واليهود يتعايشون في هذه المرحلة الآمنة من العهد العثماني، وبعد هذه المرحلة لم تشهد القدس مرة اخرى الهدوء الذي نراه في الصورة. والبيت الذي يمر من أسفله الطريق والظاهر في الصورة أغتصب من قبل المستوطنين الإسرائيليين ويرفرف عليه اليوم العلم الإسرائيلي.

232 | [illegible]

233 | [illegible]





مناظر الأزقة في القدس | 251 أ

إن وجود أحد المسؤولين العثمانيين في الصورة يحدد الفترة التي تعود إليها الصورة، والشخصان اللذان نشاهدهما في الصورة ليسا الأهميين الوحيدين في الصورة، بل هناك عثمان آخرون، وانطلاقاً من هذا يمكن القول إن الباب الواقع خلف المسؤول العثماني والذي يتجمع الناس فيه هو إما مدخل دار طعام أو مستشفى.

زقاق ذو أنصاف الأقواس | 252 ب

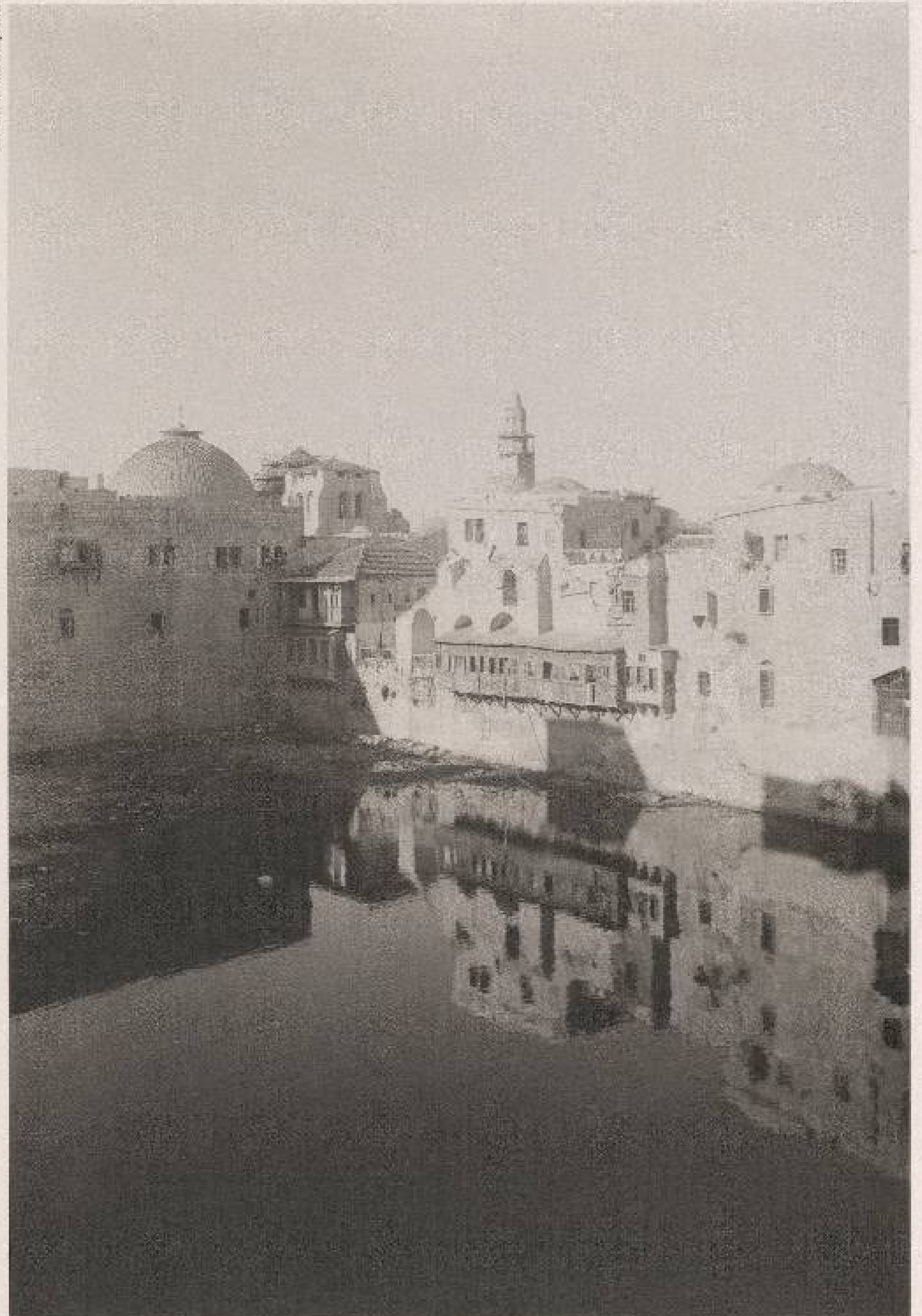
تغلب على عمارة هذا الزقاق أنصاف الأقواس التي أصبحت طابعاً مميزاً للعمارة في مدينة القدس. وفي هذه الفترة بوشر ببناء أبنية ذات ثلاثة وأربعة طوابق.

بركة حزقيال | 253 ج

تقع هذه البركة في حي النصارى بالمدينة واستخدمت ولسنوات طويلة كمخزن للمياه لكنيسة القيامة وأرجائها. وكانت مياه البركة الراكدة وانعكاساتها تشكل بيئة ساحرة للمصورين ولهذا أصبحت هذه البركة أكثر أماكن القدس تصويراً. ويبدو في هذه الصورة أن قبة كنيسة القيامة لم يتم ترميمها في هذا الوقت، ولهذا يمكن القول إنها التقطت قبل سنة ١٨٦٩م.

قبة كنيسة القبر المقدس | 254 د

التقطت هذه الصورة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وهي تحمل توقيع زنكاكي. ويستدل على أنها التقطت بعد إكمال تعديلات القبة الكبيرة لكنيسة القبر المقدس وقبل المباشرة بترميم القبة الصغيرة. والمئذنتان الظاهرتان في طرفي القبة هما مئذنة الجامع العمري وهي إلى اليمين ومئذنة جامع الخانقاه إلى اليسار.



» 255 | إعمار حول البركة

سجلت هذه الصورة في الكاتولوج بين سنتي ١٩٠٤-١٩١٣ أيضاً، ويظهر فيها أن البيوت الكائنة بجوار البركة قد شهدت تطوراً عمرانياً سريعاً، وانعكس المستوى المعيشي المتطور على البيوت والعمارة.



» 256 | **جفاف بركة حزقيال**

سجلت هذه الصورة في كاتالوجات الكولونية الأمريكية بين سنتي 1900 - 1920م ويستدل منها على أن بركة حزقيال قد جفت.





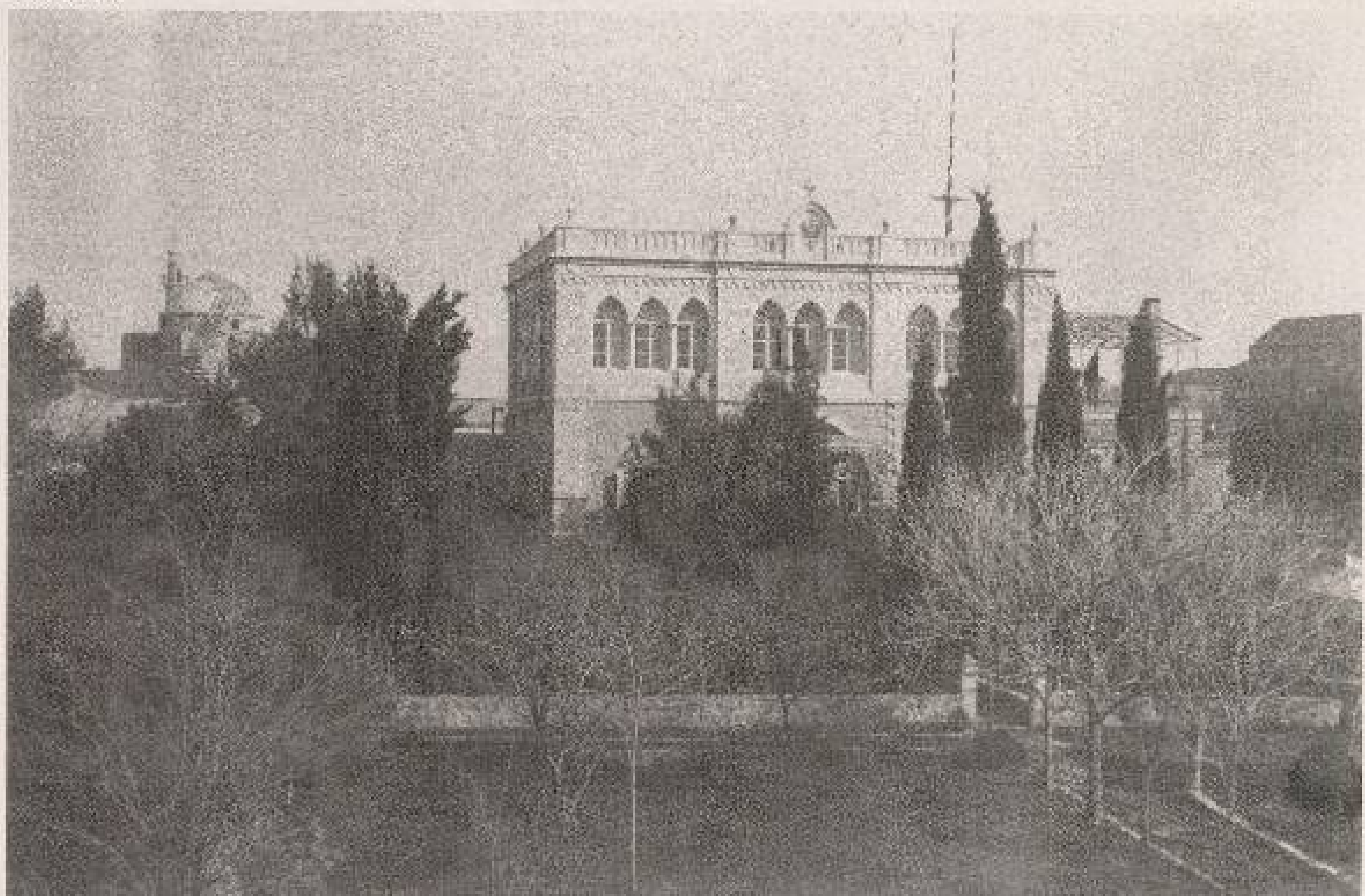
257 ج | دار الطعام في القدس الغربية

بيت الشورية في شارع ماميلا بالقدس الغربية....
(قبل سنة ١٩١٠م)

258 ج | خان نوتردام للحجاج

خان الحجاج خارج الأسوار الشمالية لمدينة القدس
القديمة (قبل سنة ١٩٢٥م)





259 | منزل البطريرك الألماني

منزل البطريرك الألماني في شارع الأنبياء، ويستخدم المبنى اليوم مدرسة.

260 | الأبنية الكبيرة خارج المدينة

شهد شارع الأنبياء في سنوات ١٩١٠م أعمالاً عمرانية كثيفة قام بها البروتستانت الألمان والفرنسيون والأمريكان. وتقع اليوم على هذا الشارع أبنية معظمها مدارس أجنبية وكنائس ومستشفيات.



261 | [illegible]

262 | [illegible]



261 | أماكن خارج أسوار المدينة

ميتم اقامه الألمان ... (قبل سنة ١٩١٥م)

262 | مدرسة في بناء مسيحي

مبنى مدرسه اقيم فى القدس الغربية.

263 | باب العامود وخان الحجاج

بناء خارج باب العامود وخان للحجاج (قبل سنة ١٩١٥م).







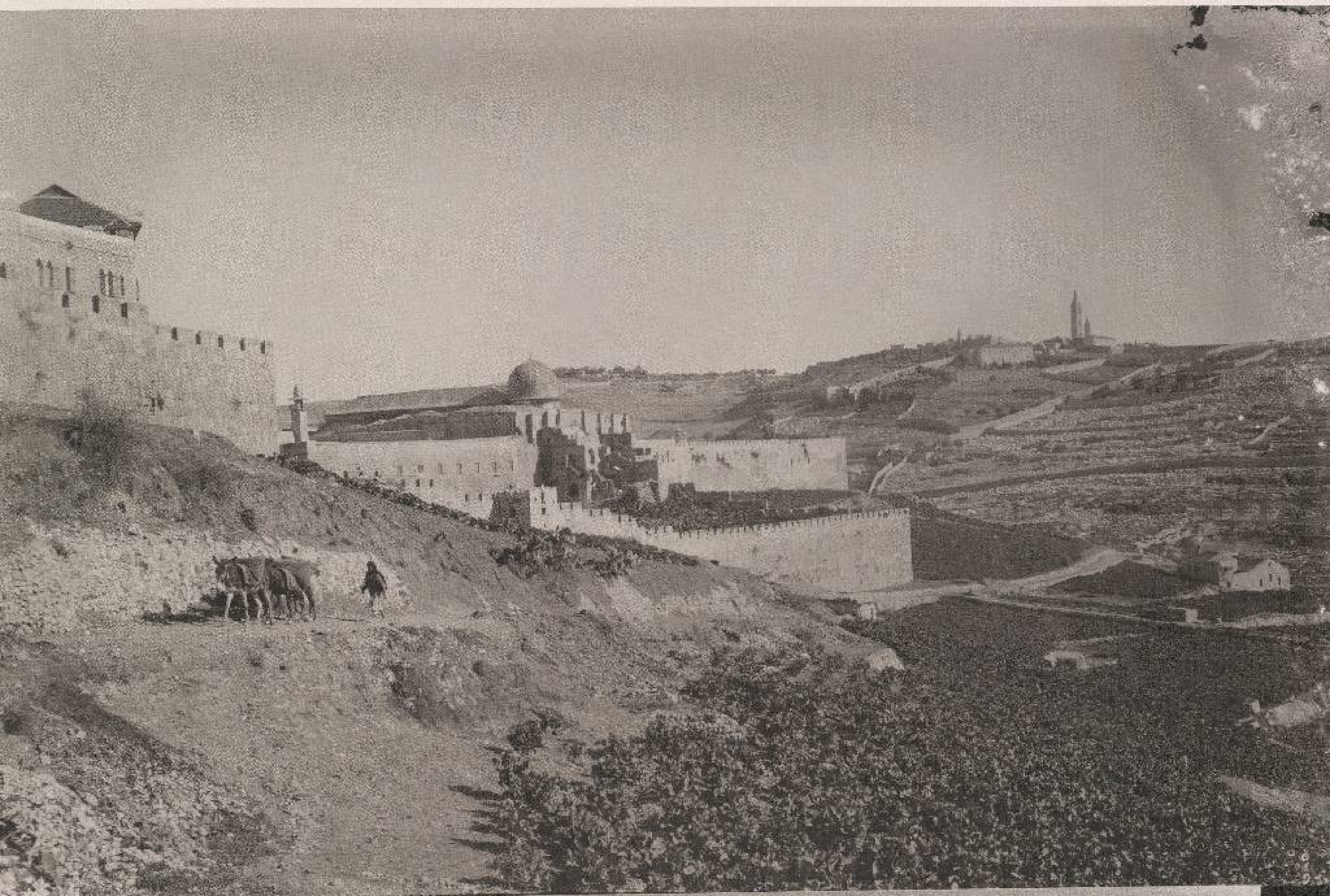
264 » | جبل الطور (الزيتون)

يقع جبل الزيتون شرقي القدس، وهو المكان الذي شهد أحداثاً تاريخية مهمة للأديان الابراهيمية. ولم تتسع المدينة داخل الأسوار في العصر العثماني ولهذا توسعت نحو الشمال والغرب. واستخدم جبل الزيتون على الأكثر لإقامة أماكن العبادة والمستشفيات. إلتقط هذه الصورة بيتر بركهيم الذي عمل مصوراً لدى صندوق استكشاف فلسطين في القدس بين سنتي ١٨٥٠ - ١٨٨٢م، ويمكننا منها على انه لم يشيد في جبل الزيتون أي بناء لغاية هذا الوقت باستثناء مئذنة جامع العروج، أما الساحة الواقعة في الوسط والمحاطة بسياج فهي حديقة Gethsemane التي شيدت عليها كنيسة الأمم. وإلى الخلف منها اقيمت في سنة ١٨٨٦م كنيسة مريم المجدلية.

265 v | مقر للجيش العثماني تحت الثلوج

تظهر هذه الصورة التي التقطت على الاغلب في سنة ١٩١٠ يوماً شتائياً ثلجياً في جبل الزيتون. والبناء الظاهر في القمة الى جهة اليسار هو مستشفى أغوستا فيكتوريا الذي استخدم مقراً للجيش العثماني الرابع خلال الحرب العالمية الأولى.

ويبدو أن بناء برج الجرس لم يكتمل بعد، وعلى الرغم من هذا نجد في الركن الأيمن ابنية حي الطور المقام على جبل الزيتون ومن ضمنها برج الروس المشهور. والتقطت هذه الصورة من قبل ستوديوهات الكولونية الأمريكية.



Mosque El-Aksa and Mount of Olives. 49

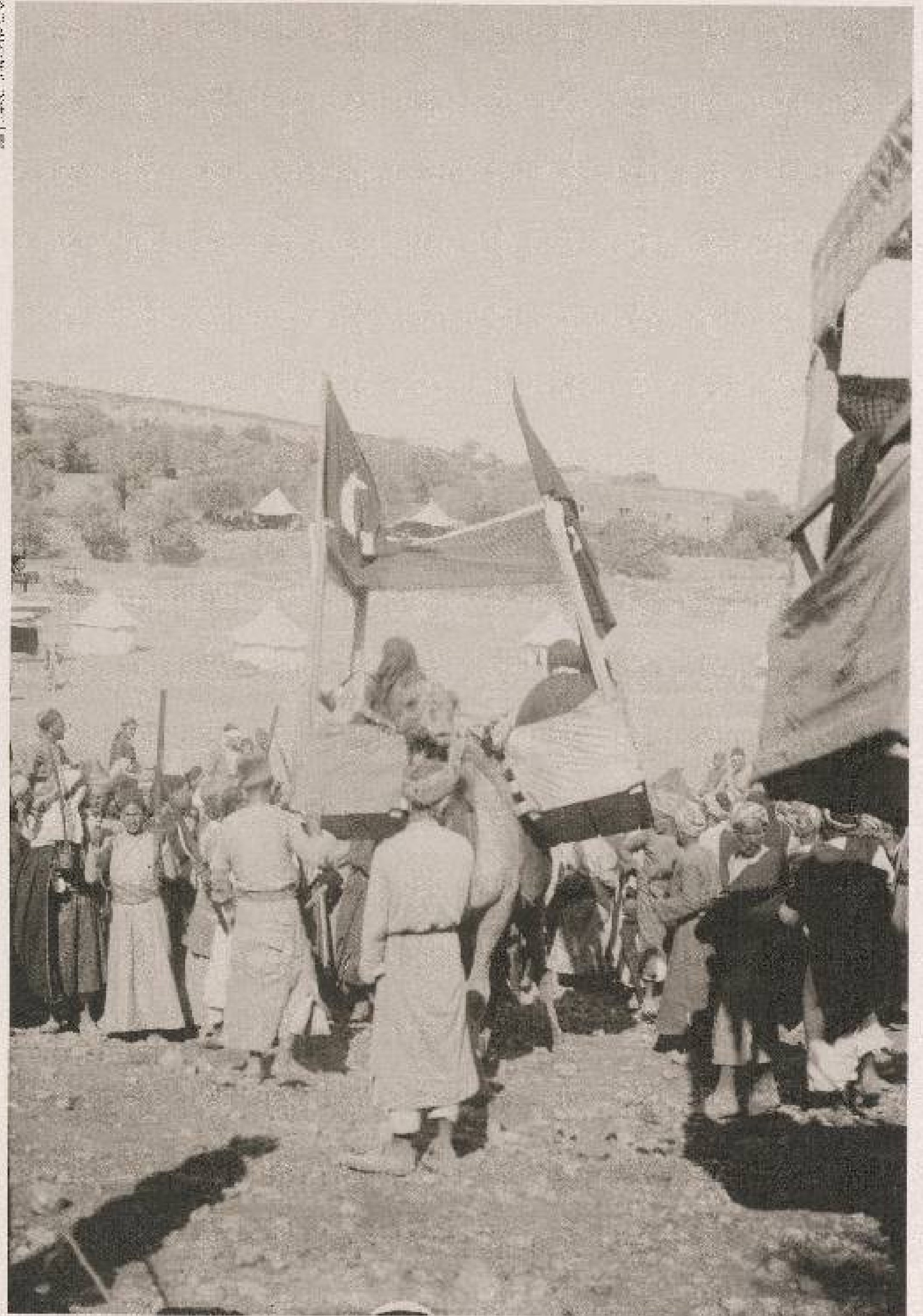


« 266 | الركن الجنوبي الشرقي للمسجد الأقصى

التقطت هذه الصورة بين سنتي ١٨٩٨-١٩١٠م ويظهر فيها جبل الزيتون والركن الجنوبي لمسجد الأقصى. ومما يلفت النظر في هذه الصورة أن برج أغوستا فيكتوريا لم يبن بعد رغم ظهور برج الروس على قمة جبل الزيتون. والتقطت هذه الصورة من جوار مجمع النبي داود من قبل استوديوهات الكولونية الأمريكية.

« 267 | جبل الطور من قبة الصخرة

هذه الصورة التقطت من قبة الصخرة، ويظهر فيها باب الرحمة والتوبة وفي الجزء الخلفي الأبنية التي بناها العثمانيون في أواخر عهدهم، وإذا أخذنا بعين الاعتبار اكتمال بناء الأبنية فيمكننا القول إن هذه الصورة التقطت قبيل انسحاب العثمانيين من المدينة.



» 268 | مشاهد من الأعراس الإسلامية

كانت حفلات الزفاف في القدس العثمانية تعد من الأحداث الاجتماعية المهمة التي تجمع طبقات المجتمع المختلفة، وتتخللها مسابقات الرماية والفروسية والمصارعة؛ ولهذا السبب كانت تقام في أماكن مفتوحة خارج المدينة، ثم تتم مراسيم الزواج.



» 269 | مسيرة عرس

زفة العرس التي نشاهدها لا تعود الى عائلة عادية؛ وإذا أخذ بنظر الاعتبار حمل سنجق متصرف القدس أمام الجمل الذي يحمل العروس فإنه يمكن القول إن العرس يعود لأحد منتسبي الدولة المهمين أو لأحد الضباط. والمرأة التي نشاهدها على الجمل في الصورة تقوم بالغناء والعزف على العود الذي تحمله، وهذا الأمر لم يكن غريبا في فلسطين في العهد العثماني، فالشروط في الأطراف كانت أكثر مرونة مما كانت عليه في المركز: ففي الوقت الذي لم يكن بوسع امرأة ركوب الحصان في استانبول كانت زوجة المتصرف توفيق بيرن تقوم بالتجوال على ظهر الحصان في فلسطين.



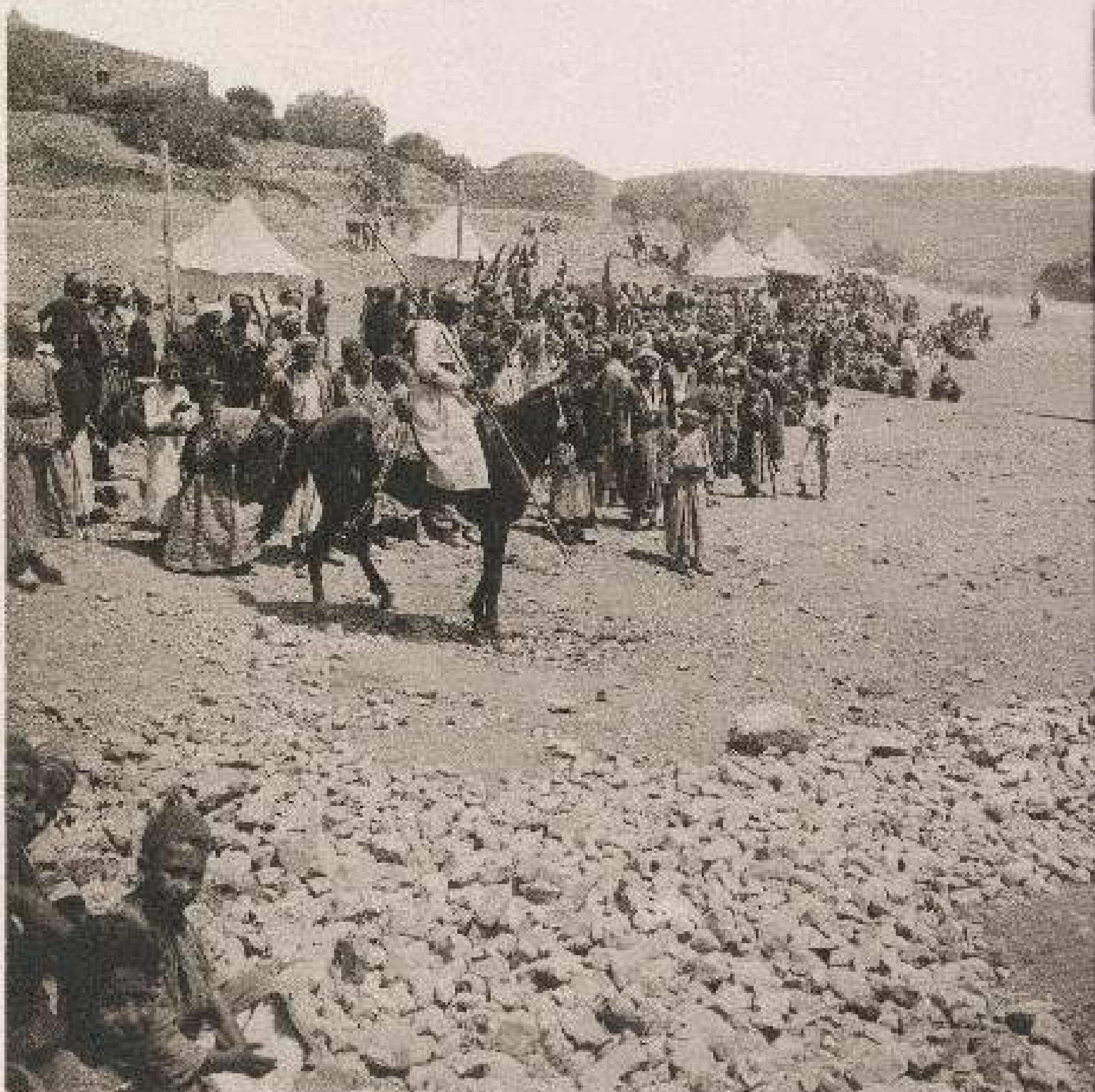


» 270 | حفل جلب العروس

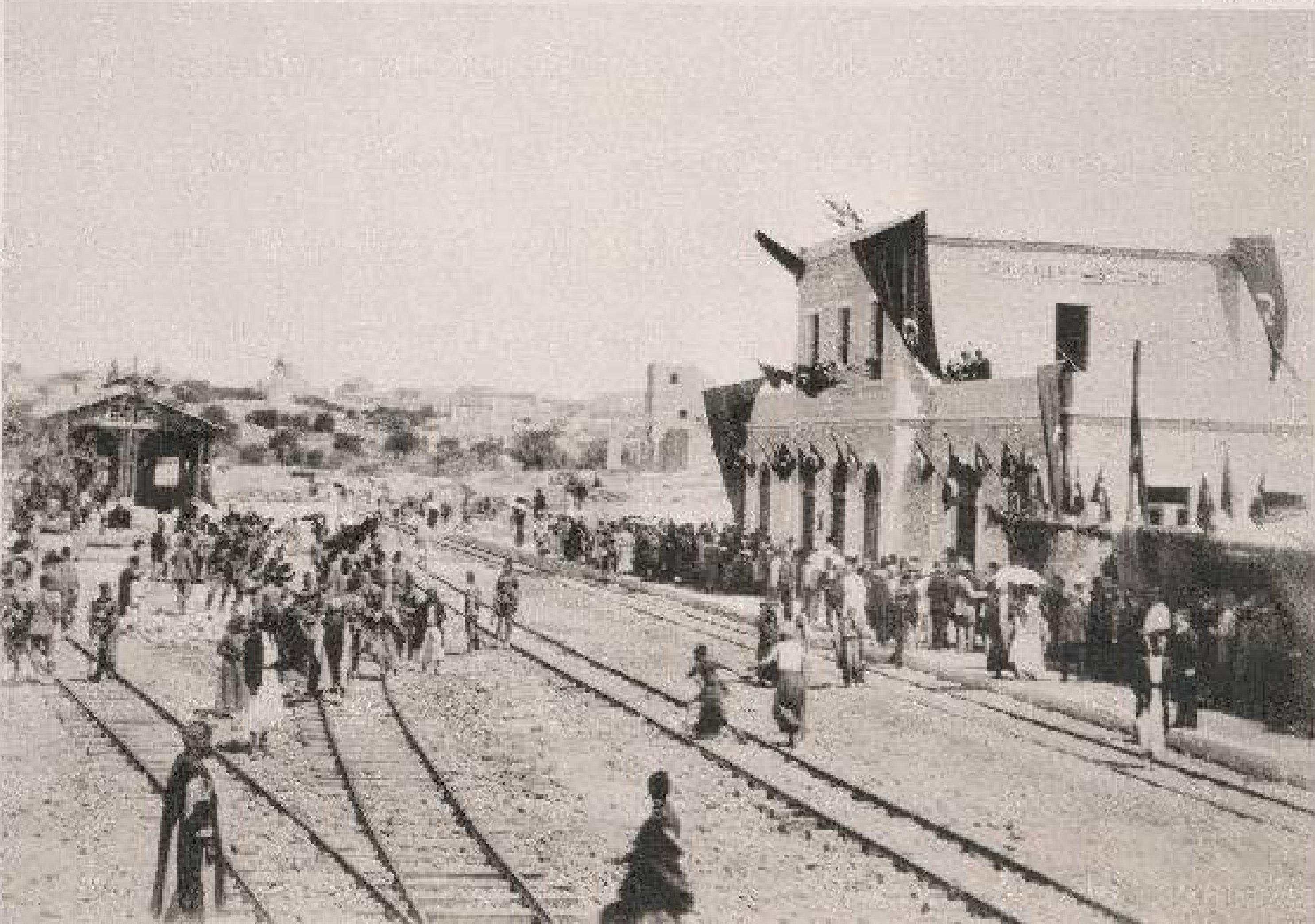
حلّ الحصان بمرور الزمن محل الجمل في حفلات العرس، إلا أن السيف الذي كان لا يستغنى عنه في الحفلات قد حافظ على وجوده، وعلى الرغم من التقاط الصورة بالقرب من القدس إلا أنه لا يمكن تحديد مكان الالتقاط.

» 271 | رقصة السيوف في العرس

ألقت رقصة السيوف بظلالها على هذا العرس، وقد اكتسب الشبان العرب مهارة كبيرة من الجنود العثمانيين عند تعلمهم هذه الرقصة، والتقطت هذه الصورة في القدس الشرقية وبالتحديد في القسم الجنوبي من الوادي الواقع بين أسوار المدينة القديمة وجبل الزيتون.







ج 272 | سباق إطلاق النار في العرس

من العادات التي لم يكن يستغنى عنها في الأعراس الفلسطينية في العهد العثماني إطلاق النار، وما نشاهده في هذه الصورة التي التقطت في وادي كدرون لا يمثل سباقاً، بل أعد للتصوير بشكل مقصود.

د 273 | حشد من الناس يشاهد السباقات التي لا يستغنى في الأعراس

من الألعاب التي كانت تصاحب حفلات العرس في القدس العثمانية سباق الخيول، حيث كان البدو على الأكثر يقومون بعرض مهاراتهم. وكما يظهر في الصورة فإن العلم العثماني كان يعد من الأشياء التي لا يستغنى عنها في مثل هذه الحفلات.

هـ 274 | افتتاح محطة قطار القدس

هذه الصورة المؤرخة في 26 أيلول 1892م تعد رمزاً للسنوات التي بدأت القدس باكتساب مفهوم جديد للدولة العثمانية. وكان إنشاء الخطوط الحديدية يأتي على رأس المساعي التي سعى بها السلطان عبد الحميد الثاني لمد عمر الدولة العثمانية، وكانت الدولة حتى ذلك الوقت تتبنى أسلوب اللامركزية في الإدارة، وبهذا العمل ستقرب أبعد نقطة للدولة بالباب العالي؛ إذ أن إنشاء خط حديدي يصل إلى القدس إلى جانب الخط الحديدي الحجازي سيكون مؤشراً على أهمية المدينة في نظر الإدارة المركزية العثمانية.

و 275 | تراث ماثل للعيان

تعد محطة قطار القدس آخر ما تركه العثمانيون من تراث في القدس. فالقطارات التي تسير اليوم من يافا إلى القدس تستخدم هذه المحطة، وقد حظيت بأهمية حيوية في الحرب العالمية الأولى؛ فعن طريق هذه المحطة كان يتم إيصال الجزء الأكبر من الأرزاق وسوق المعدات العسكرية والجنود إلى جبهة غزة. وبين سنتي 1902 - 1914م كان لهذه المحطة ضيوف مهمون جداً، ويعد كل من مصطفى كمال أتاتورك وأنور باشا وجمال باشا وعصمت باشا والقيصر الألماني ويلهلم الثاني بعضاً منهم....

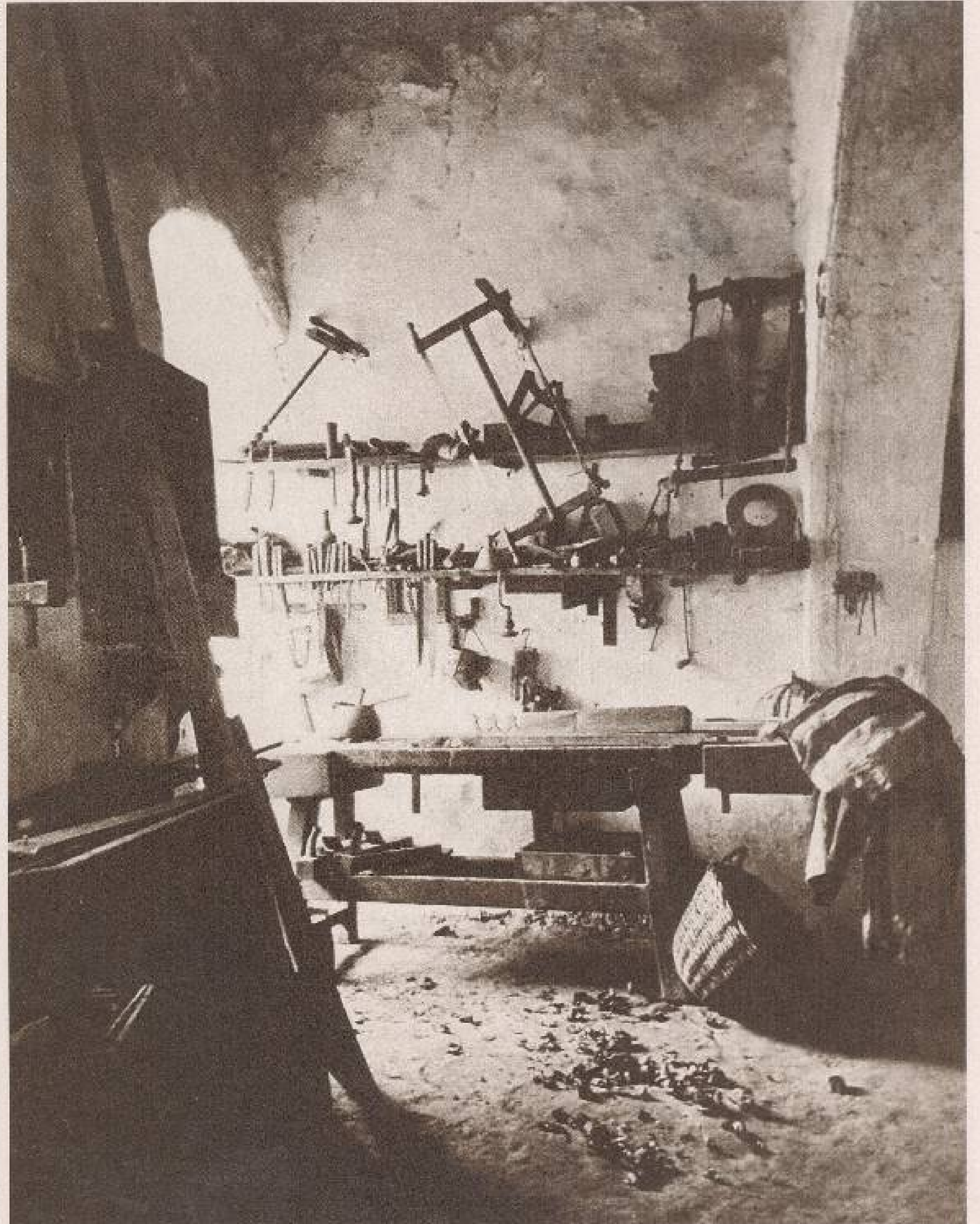




القسم السابع

أرباب حرف ووجوه بشرية في القدس العثمانية

شكل هندسي في باب الخليل



« 276 | **محل نجارة في القدس العثمانية**

شهدت القدس في مطلع العهد العثماني وأواخره حياة تجارية نشطة، ولم تخل المدينة من الزوار من الدولة العثمانية أو خارجها، وكان الحرفيون يمارسون مختلف أنواع الحرف اليدوية، ونشاهد في هذه الصورة الآلات اليدوية التي كانت تستخدم في محلات النجارة في ذلك الوقت



» 277 | **أحد الحمالين في العصر العثماني**

التقطت هذه الصورة قبل سنة ١٩١٥م، ويظهر فيها حمال يحمل على ظهره صندوقين في آن واحد. ويرى البعض ان ما يحمله هذا الحمال على ظهره عبارة عن «جهاز عروس"، وإذا صح هذا الزعم فإنه يعني أن أعراس القدس هي الأخرى كانت جديرة بالمشاهدة.





» 278 | حمّال يحمل صفائح نفط

أما هذا الحمال الذي التقطت صورته أمام باب الخليل مباشرة فإنه يحمل على ظهره خمسين صفيحة نفط فارغة. وعلى الرغم من كون الصورة مشهداً مثيراً بحد ذاتها، فإنها تعد في نفس الوقت مؤشراً على الحياة الاقتصادية النشطة للقدس العثمانية.

» 279 | نساء يحملن جرّات الماء قرب القدس

التقطت هذه الصورة في الربع الأول من القرن العشرين وهي تطرح حقيقتين مهمتين عن القدس وجوارها: إن النساء كن يعملن في الأراضي الزراعية وإن الماء لا يزال بمثابة قوة محرك للحياة. ومما يلفت النظر هنا أن النساء القرويات الظاهرات في الصورة أخذن راحتهن أمام مصور أجنبي. والمعروف أن النساء البدويات كن يأخذن راحتهن دائماً عندما يتحدثن مع الأجانب أكثر من نساء المدن وكذلك في مسألة الزي.

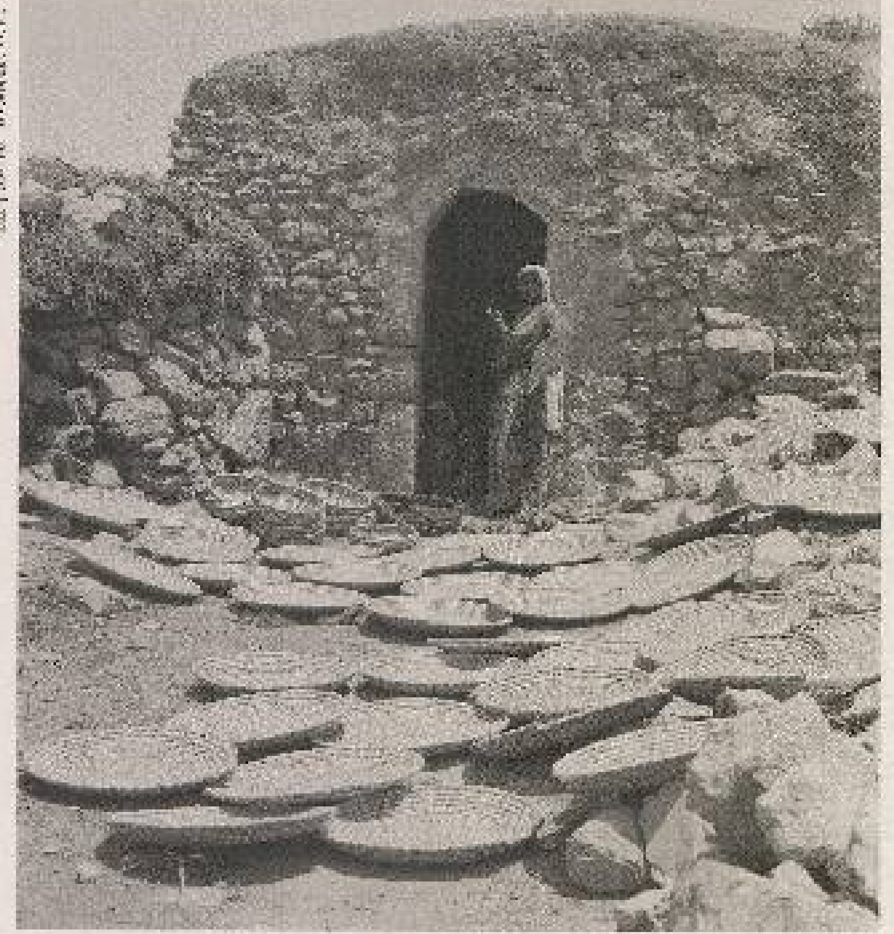


280 ˄ | سقاة في القدس

كانت صهاريج المياه الموجودة في ساحات المسجد الاقصى هي التي تغذي المدينة في العصر العثماني وكان السقاة يقومون ببيع المياه التي يستخرجونها من هنا في الأزقة.

281 ˅ | أحد السقاة وهو يحمل قربين للمياه في أزقة المدينة

مثلما تعد الماء العنصر الأساسي للحياة فان استخراج المياه وبيعها كان يشكل مصدر رزق مهما في القدس، وعندما كان الماء ينفد من صهاريج المياه او عندما تكون المياه موبوءة فإن باعة المياه يكونون المصدر الوحيد لتزويد الاهالي والسياح بالماء. ويستدل من وضع الساقي الظاهر في الصورة وهو يحمل قربين في آن واحد ان هذه الصورة التقطت في وقت كان الناس يعانون من شحة المياه، أو خلال احد الأعياد الدينية وتهافت السياح إلى المدينة.



» 282 | صناع الحُصر والسلال في القدس العثمانية

السلال التي نشاهدها في الصورة معروضة من قبل صناع الحصر على القمح لتجفيفها كانت تشكل كالصفائح المعدنية والحقائب دليلاً على نشاط الحياة الاقتصادية للمدينة، وكانت تستخدم بالدرجة الأولى لنقل الخضر والفواكه من قبل الأهالي.

» 283 | راعي الغنم والماعز

كانت تربية الحيوانات مصدر رزق مهماً للقرى الواقعة في ارجاء القدس وعلى وجه الخصوص للبدويين. ولتشكل إلى جانب قيمتها الاقتصادية رابطة من الروابط الاجتماعية للمجتمع. وعلى الرغم من ان البدو في الأماكن الاخرى كانوا يكنون العداء لأهل الحضر إلا انهم كانوا يحتاجون إلى الأراضي المعشبة في أطراف المدن لتربية حيواناتهم كما كانوا يحتاجون إلى اسواق مفتوحة داخل المدن لبيع منتوجاتهم، وقد ادت هذه الحاجة في تاريخ القدس العثمانية إلى قيام البدو بإقامة علاقة ودية مع أهل الحضر والحكومة. إذ نجد أن البدو بدأوا في القرن السابع عشر بالاضطلاع ببعض المهام في الجيش بشكل منتظم، حتى إن زعماء بعض العوائل البدوية كثيراً ما اضطلعوا بمهام المتصرفية في القدس وجوارها من الالوية.

» 284 | أطفال من القدس باعة متجولون

أطفال يضعون لفات الخبز على البسطات في شارع النصارى لبيعها، وهذه الصورة مهمة من حيث إبرازها أحد مداخل كنيسة القيامة الأصلية في وضع الإغلاق.

» 285 | لحافون من القدس

تقع القدس في منطقة لا ينتج فيها القطن، ولهذا فإن المنتوجات النسيجية أو الأغراض البيتية كالفراش واللحفان كانت تتم صناعتها عبر العصور من شعر الماعز أو صوف الغنم. ولكن بدأت حرفة ندافة القطن في المدينة بالانتشار والتطور وذلك لتغطية حاجات السياح والاستفادة من المجالات الجديدة لاستخدام القطن، حتى سمي أحد أبواب مدينة القدس بباب القطانين وأحد أسواقها بسوق القطانين، الأمر الذي يبين الأهمية التي حظي بها القطن في المدينة.

» 286 | فنان مقدسي

يقوم هذا الفنان المقدسي الذي تراه في الصورة بالعزف على الآلة الموسيقية المحلية: الربابة. وإلى جانب الآلات الموسيقية المستخدمة عند البدو، فإن الثقافة العثمانية جلبت إلى المنطقة العود والناي، وكان الأهالي يقيمون احتفالاتهم بمرافقة هذه الآلات الموسيقية.







287 | علماء مسلمون في المكتبة الخالدية ١٩٠٠م

التقطت هذه الصورة والصورة الواردة مقابلها بين سنتي ١٨٩٨ - ١٩١٤م، وعلى الأغلب إنهما التقطتا في نفس اليوم. وتقع المكتبة الخالدية في الأجزاء السفلى من شارع النبي داود، وهي تعود لعائلة الخالدي. وهذه العائلة هي من العوائل المقدسية التي انجبت علماء ومفتين. وعند التقاط هذه الصورة كتب احد العلماء عليها باللغة العربية عبارة «مكتبة في القدس» وعلقها على خزانة الكتب.

288 | زيارة المكتبة

من الواضح أن العلماء الذين التقطت لهم هذه الصورة امام المكتبة الخالدية لم يكونوا من اهالي القدس، ووضعت على باب المكتبة لوحة تحمل اسمها: «المكتبة الخالدية"، ولوحة اخرى تحمل عبارة: «فيها كتب قيمة» وهذه العبارة شاع استخدامها على أبواب المكتبات في العهد العثماني. ويظهر في نفس المشهد وبشكل عفوي احد اسكافيي الشارع وزبائنه.



578 Moslem Sheiks and Effendis. Mohammedanische Effendis Bibliothéque Khaldieh



289 | شحاذون

ازداد عدد الشحاذين في القدس وعلى وجه الخصوص في اوائل القرن العشرين. والمعروف أن الشحاذين يعكسون كثرة الزوار الأغنياء الى المدينة وليس فقراؤها.

290 | مصابون بداء الجذام

سجل عن هذه الصورة بأنها التقطت سنة ١٩٠٩ ويظهر فيها مجموعة من المصابين بداء الجذام في الزقاق القائم امام قبر السيدة مريم.





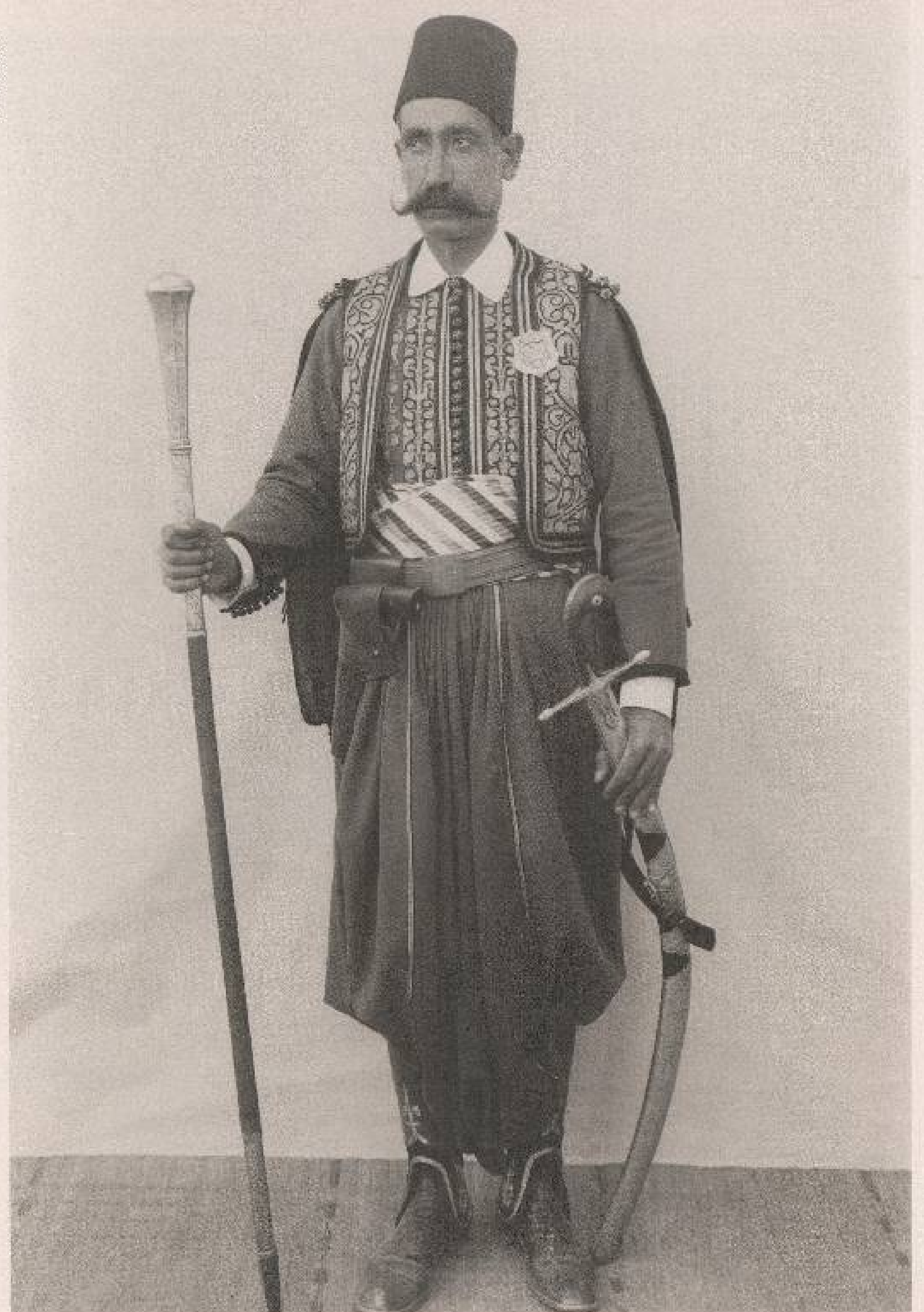


292 | الفقراء

شحاذون وفقراء بجوار القدس، وهذه الصورة تم تحويلها من حيث اللون بحيث تعطي انطباع التلوين وذلك بطريقة الاصفرار التي تمت تجربتها في القدس لأول مرة.

291 | سيرك الشوارع في القدس

التقطت هذه الصورة في سنة ١٩٠٥م ويحتمل ان المكان يقع قرب محطة قطار القدس.



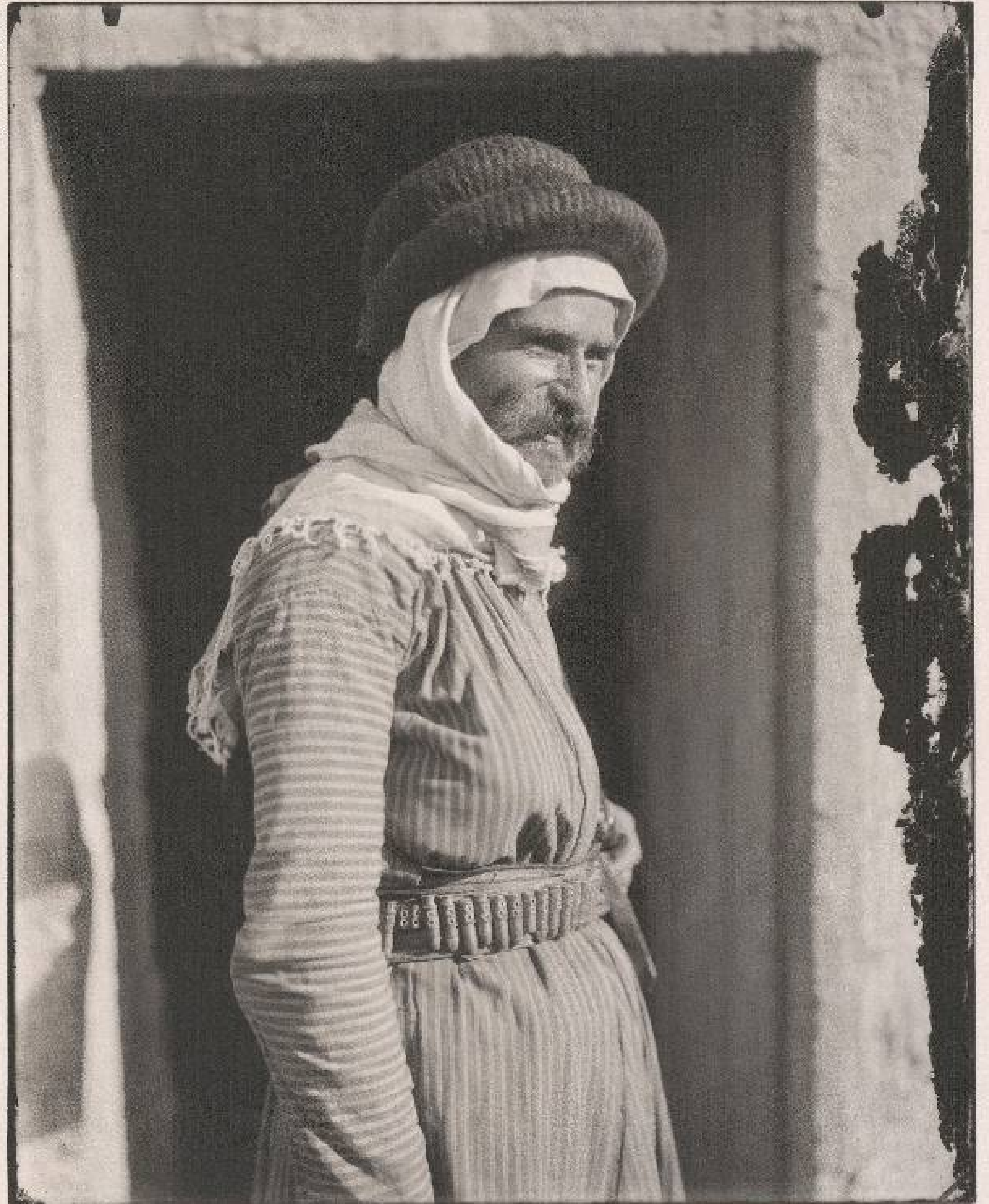
293 | من رجال أمن القنصلية

التقطت هذه الصورة في ٤ تشرين الأول ([illegible]م)،
وسجل عنها أن رجل الأمن الظاهر في الصورة يعمل
في القنصلية الأمريكية.



٢٩٩ | موظف أمن

يظهر في الصورة احد رجال الأمن العاملين في إحدى القنصليات بالقدس. وكان يتم اختيار رجال الأمن ممن يتقنون اللغتين العربية والتركية، لأن هؤلاء كانوا مضطرين بالاحتكاك بين حين وآخر بالجنود والموظفين العثمانيين مثلما كانوا يحتكون بالأهالي.



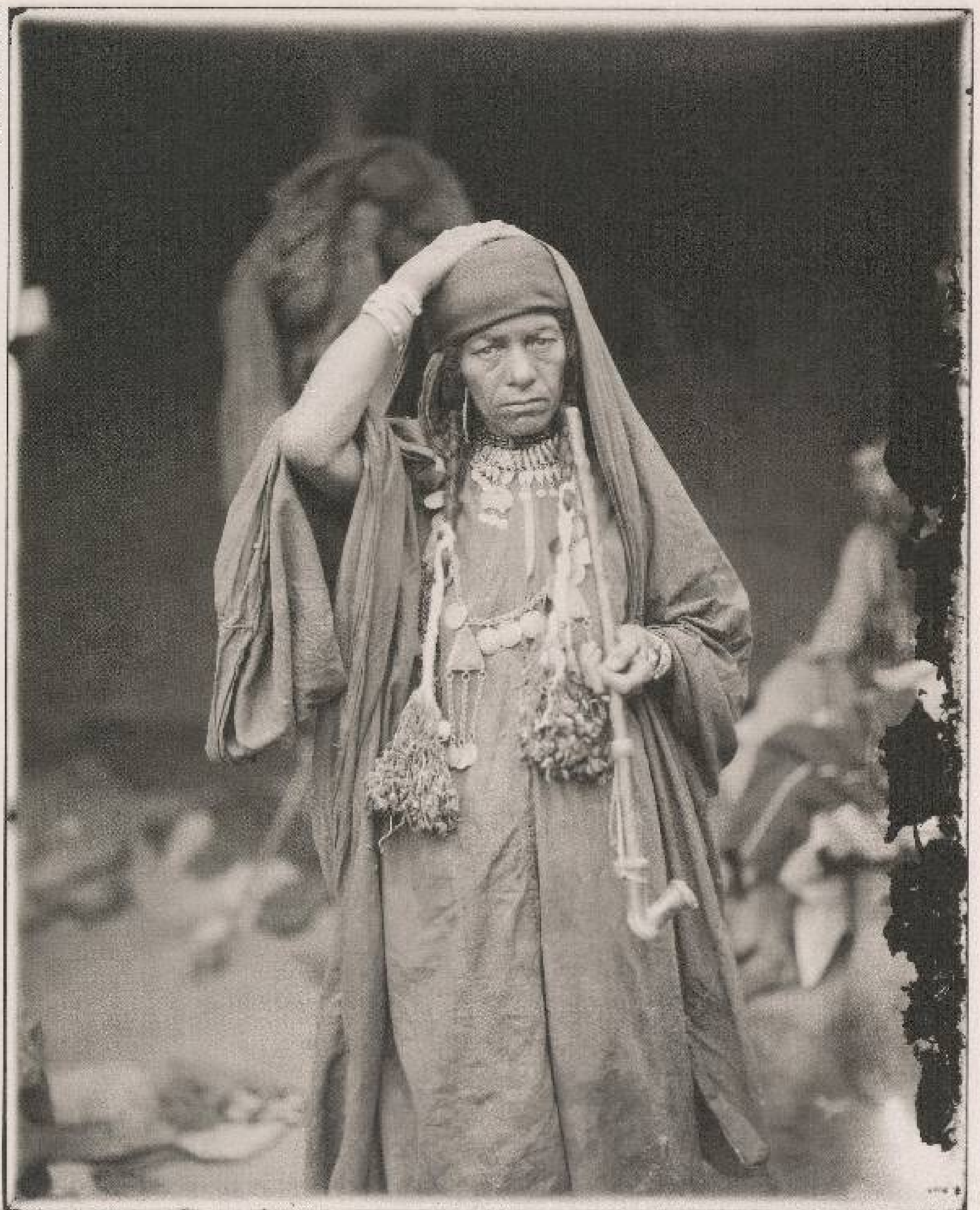
295 | **مقاتلون بدو**

يمثل البدوي الظاهر في الصورة أحد رموز التحول إلى حياة الاستقرار. ومما يلفت النظر هنا ارتداؤه حزام خرطوش.



296 » | **شاب بدوي**

شاب بدوي يرتدي حزام خرطوش؛ ولعله ارتدى هذا الزي للمشاركة في إحدى المناسبات أو لأجل التصوير.



» 297 | امرأة بدوية

إن الأوربيين الذين التقطوا الصور في القدس وجوارها كانوا يفضلون التقاط صور تخرج النساء من بيئتها الحياتية الحقيقة وتركز على أنوثتهن. ولهذا فان نساء القدس الظاهرات في الصورة كن يعكسن مشاهد اصطناعية على الأغلب. أما هذه الصورة التي التقطت بين سنتي ١٨٩٨ - ١٩١٤م فقد صوّر فيها شكل امرأة بدوية حقيقية من الممكن مشاهدتها اليوم بين البدو في فلسطين. والأنبوب الموجود بيد المرأة هو أنبوب السيجارة في ذلك الوقت.



298 | امرأة بدوية أخرى

امرأة بدوية أخرى في القدس (1898-1914م).



 | **عروس بدوية**

عروس بدوية في القدس... (١٩٠٠ - ١٩١٢م).

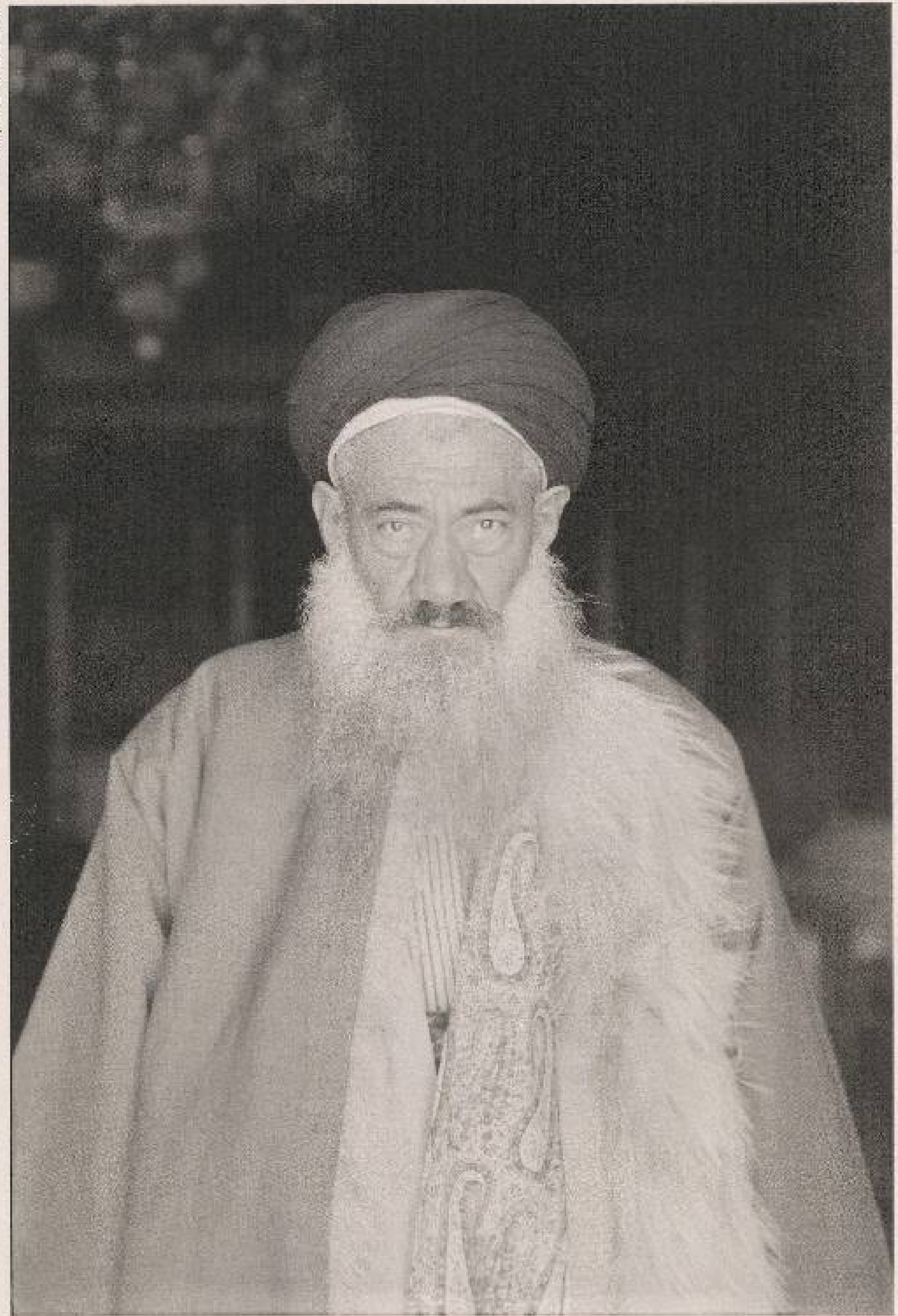


» 300 | امرأة بدوية

امرأة بدوية تتوجه إلى السوق... (١٨٩٨ - ١٩١٤م).

« 301 | أحد العلماء المسلمين في القدس

شيخ قبة الصخرة...





» 302 | **درويش**

أحد دراويش القرية... (1898-1914م).



« 303 | دكان الحي

كان دكان الحي هذا والواقع في أحد أزقة القدس يعمل كالسوبرماركت في العصر الحديث، وكان يضم إلى جانب المواد الاستهلاكية الأساسية كالجبن والزيتون أيضا منتجات أخرى كالصابون والأعشاب الطبية والنفط الأبيض (الكيروسين)، وهذه الصورة التقطت بين سنتي ١٨٩٨ - ١٩٤٦م.



« 304 | **فتيات مقدسيات**

التقطت هذه الصورة من على سفوح جبل الزيتون المطلة نحو قرية بيت حاتي في الشرق، وتعود إلى السنوات الخمسة عشر الأولى من القرن العشرين، وتظهر في الصورة الصحراء الرملية والحجرية الشاسعة الممتدة حتى البحر الميت.



« 305 | دخان الأركيلة

كانت الأركيلة وسيلة ممتعة لا تقرّ بالفوارق الطبقية في القدس العثمانية. فقد كانت الطبقات الغنية في المجتمع والرعاة الفقراء في الصحراء يستخدمون الأركيلة. وكان لاستخدام الأركيلة في القدس العثمانية عادات خاصة به.



306 | **طرب في البادية**

بدوي يعزف على الربابة وأصدقاؤه يشربون الغليون
ويتكيفون مع جو البادية.





» 307 | الرعاة وقطيع الغنم

سوق الغنم أمام باب الزهرة... كانت أسواق الغنم تشكل بيئة تجمع بين القرويين (الفلاحين) وأهل المدن وتكوّن روابط اجتماعية بين البدويين والتجار. ولهذا فإن أسواق القدس كانت بمثابة مراكز للحياة الاجتماعية. وكان العنصر الأهم للإدارة العثمانية السلمية في القدس والتي استمرت أربعمائة سنة هو بيئة الحوار التي كانت تؤمّن في أماكن السوق هذه.

» 308 | أعمال زجاجية من الخليل

محل هدايا لبيع منتجات الأعمال الزجاجية للخليل في القدس. يعد تراب مدينة الخليل مادة خام ذات جودة عالية إلى حد ما لإنتاج الزجاج. فمن السهولة تطويع زجاج الخليل وتلوينه؛ وفضلاً عن هذا من الممكن إنتاج مواد من الزجاج أخف من البلاستيك. وهذه الصورة التي التقطت بين سنتي 1920 - 1930م تصور محلاً لبيع المنتجات الزجاجية التي تعد اليوم مورداً مهماً لمدينتي القدس والخليل.



309 | النجار صانع السبح...

التقطت هذه الصورة بين سنتي 1900 - 1920م، ويلاحظ فيها استخدام النجار نموذجا ملفتا للنظر من المثقاب المستخدم اليوم وهو يُستخدم باليد.

310 | نجار الحي

نجار يستخدم آلة شبيهة بالمثقاب، وهو يقوم بتصليح بعض المستلزمات الخشبية البيتية. التقطت هذه الصورة بين سنتي 1900 - 1920م.

311 | محل لبيع الهدايا

محل بجوار كنيسة القيامة يحظى باهتمام الزوار المسلمين والمسيحيين على حد سواء.



312 | صانع الحدوات

التقطت هذه الصورة بين سنتي ١٩٠٠ - ١٩٢٠م ويظهر فيها محل لصنع الحدوات، وتحولت هذه المهنة إلى مهنة استراتيجية وذلك عندما كانت الدولة العثمانية تتهيأ للحرب في جبهة غزة ضد القوات الإنجليزية.

313 | مجلي النحاس

التقطت هذه الصورة بين سنتي ١٩٠٠ - ١٩٢٠، وفيها يظهر مجلي النحاس، وجلي النحاس أصبح حرفة حافظت على مستلزماتها الأساسية لعصور طويلة ولم يتغير أسلوبها بطبيعة الحال.

314 | قطع الشجيرات

قرويون يجمعون الشجيرات للفرن الحجري قرب القدس.



٣١٥ | من الزيتون إلى جبل الزيتون

يظهر في هذه الصورة التي التقطت بين سنتي ١٩٠٠ - ١٩٢٠ مقدسيون يقومون بجني الزيتون.

٣١٦ | نساء يستخرجن زيت الزيتون

نساء مقدسيات يعصرن الزيتون في المعصرة بغية استخراج زيت الزيتون... (١٩٠٠ - ١٩٢٠م).

٣١٧ | قرويون في حصاد الشوفان قرب القدس

يظهر في الجزء الخلفي من وسط الصورة برج مستشفى أغوستا فيكتوريا، ويستدل منه أن هذه الصورة التقطت بين سنتي ١٩١٠ - ١٩١٤م. وهذا المكان استخدم مقراً للجيش الرابع العثماني المتمركز في القدس بين سنتي ١٩١٤ - ١٩١٧م.



ص 318 | سياح خارج أسوار مدينة القدس

التقطت هذه الصورة بين سنتي ١٨٦٥-١٨٧٠م في المقابر الواقعة خارج أسوار المدينة مباشرة وتظهر فيها وجود محلية وأجنبية جنبا الى جنب. وهناك احتمال أن هؤلاء السياح يشكلون فريقا يقوم بإجراء دراسة أثرية في القدس.



319 | زيارة إلى المقبرة

الباقون - السياح الذين ظهروا في الصفحة المقابلة في مقبرة المسلمين بالجهة الشرقية من مسجد الأقصى؛ نشاهدهم في هذه الصورة في موقع آخر، ومن المحتمل ان هذا المكان هو المقبرة الثالثة على تل النبي داود.





» 320 | منظر عام للقدس من طريق نابلس

يُعد هذا المشهد نادراً من حيث الزاوية التي التقطت منها الصورة وتظهر فيه القدس داخل الأسوار القديمة، إلى جانب المدينة الجديدة التي تتوسع نحو الغرب.

» 321 | سوق الماشية في بركة سليمان

استخدمت بركة سليمان عبر العصور كمخزن للمياه للقدس، إلا أنها فقدت وظيفتها بعد مد قناة وأنبوب لنقل المياه من بيت لحم إلى القدس في سنة ١٩١٨م. ثم جففت البركة واستخدم مكانها سوقاً لبيع الماشية في أيام محددة من الأسبوع.



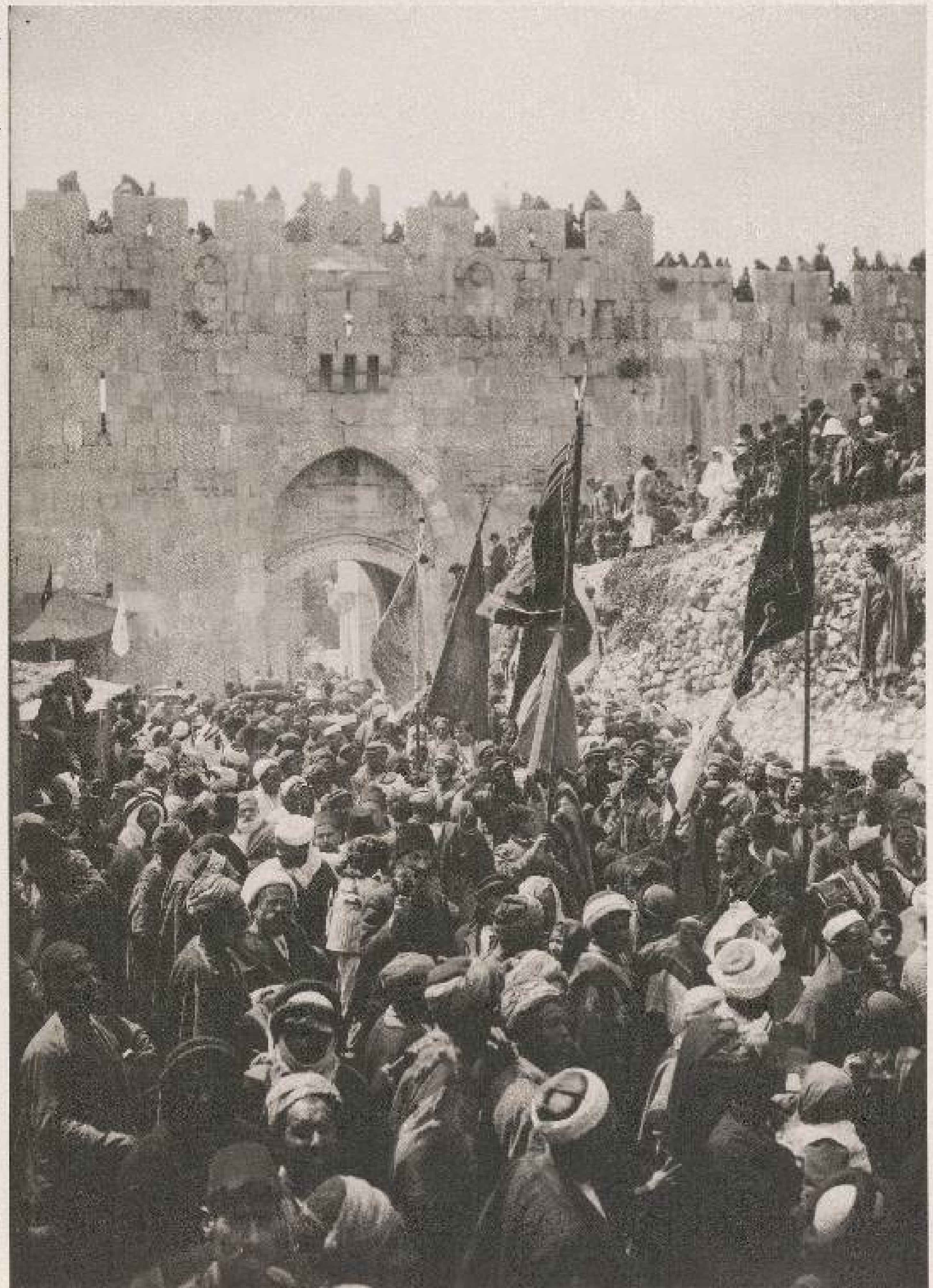


322 | احتفالات النبي موسى

كانت احتفالات النبي موسى المقامة في القدس على مدى التاريخ المملوكي والعثماني جديرة بمشاهدتها. وبدأت هذه الاحتفالات في عهد صلاح الدين الأيوبي مزامنة مع موسم حج المسيحيين في القدس، وبهذا فقد كان يتجمع في هذا الموسم حشد كبير من المسلمين في القدس إلى جانب الحجاج المسيحيين الذين يدخلون إلى المدينة، وتتم المحافظة على البيئة الثقافية العامة للمدينة الإسلامية. وفي عهد الانتداب الإنجليزي مُنعت إقامة احتفالات النبي موسى بحجة أن مثل هذه الاحتفالات يؤدي إلى التصادم بين العرب واليهود.

323 | سوق على حافة القلعة

تمّ تجفيف خندق القلعة بعد سنة ١٨٩٨م وبدئ باستخدامه كمكان لإقامة السوق شأنه شأن بركة سليمان. ويظهر في الصورة باعة الخضر والحطب من القرويين، ويبدو أن معظم الباعة كانوا من النساء وهذا ذو مغزى من حيث إظهاره النساء في الأراضي العثمانية جزءاً فعالاً من الحياة الاجتماعية والتجارية.



ص 324 | تظاهرة النبي موسى في باب الأسود

كان المسلمون يتجمعون في فناء قبة الصخرة حيث يقومون بالدعاء ويتلقون الدعم المعنوي من الخطباء بمواعظهم، ثم يتركون المدينة بالخروج من باب الأسود ويسيرون نحو وادي الجوز ثم يصلون الى قبر النبي موسى على طريق اريحا. وكان يتم حمل السنجق الشريف متقدما على المسيرة، وكان الاحتفال يستمر أسبوعا حيث تقام سباقات رياضية تتخللها فعاليات علمية وثقافية.



جنود عثمانيون في احتفالات النبي موسى | 325 »

كان هذا الاحتفال خاصاً بلواء القدس، إلا أن الإدارة العثمانية تبنته فأضافت إليه مسيرات وتظاهرات عسكرية، ويظهر في الصورة جنود عثمانيون يقومون بتأمين الأمن والنظام بين الأهالي الذين يتركون المدينة من باب الأسود، كما يظهر سياح غربيون يقومون بمشاهدة هذا الجمع الغفير من الناس.





327

326 » تظاهرات النبي موسى في وادي الجوز

كان المتصرف العثماني في القدس وقادة الأركان العسكريون من المستوى الرفيع يشتركون في احتفالات النبي موسى فينظمون مسيرة عسكرية في وادي الجوز. ويظهر في الصورة الأهالي الذين يشاهدون الجنود العثمانيين، وكذلك الأجانب الذين تفرقوا بين الأهالي. كما يظهر في الصورة صحفيون وعلماء دين كبار من فلسطين.

327 » حشود النبي موسى في وادي الجوز

التقطت هذه الصورة في وادي الجوز، وهي تظهر مدى الاهتمام الذي تحظى به احتفالات النبي موسى. وكان الناس يفدون من جميع أرجاء فلسطين ويقيمون الخيام قرب القدس. وفي النهاية يقوم الجميع في يوم الاحتفال بالتوجه إلى قبر النبي موسى الواقع على طريق أريحا.



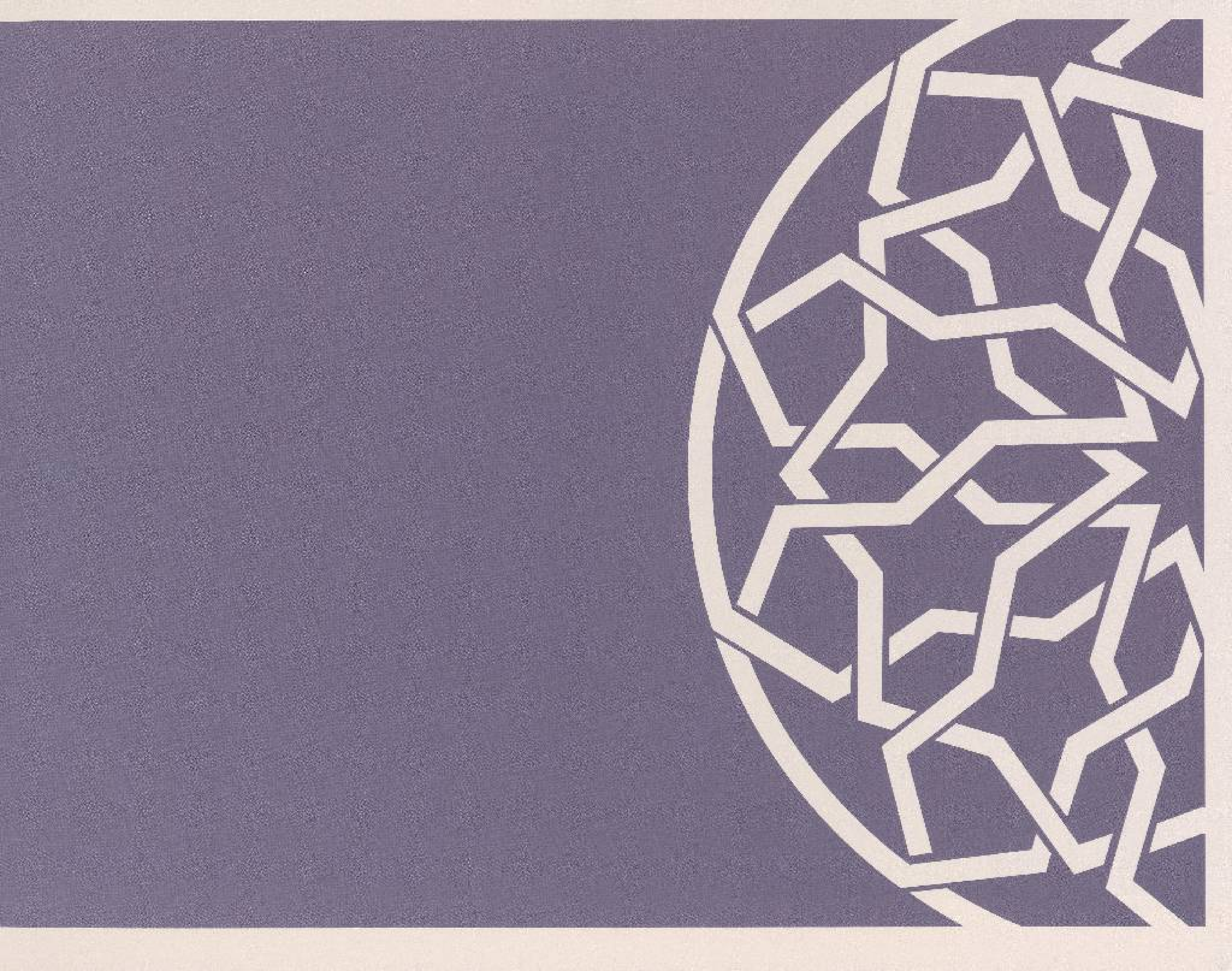


٣٢٨ | جنود عثمانيون في وادي الجوز

يظهر في هذه الصورة جنود عثمانيون يقومون بمسيرة في الوادي الكائن في غرب المدينة القديمة. ويظهر في الجزء الخلفي من الصورة الباب الذهبي للمسجد الأقصى. ويستدل من وجود الباعة المتجولين في الوادي بأن هذه المسيرة لم تكن مسيرة حربية، بل هي استعراض خطط له مسبقا، وكان ينال استحسان الأهالي. ويحتمل أن هذا الحدث الذي سجله المصور يمثل أحد الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة إعلان الحرية في كافة أراضي الدولة العثمانية إثر تولي فرقة الأحرار (جمعية الاتحاد والترقي) الحكم في سنة ١٩٠٨م.

٣٢٩ | جنازة إسلامية في باب العامود

يظهر في هذه الصورة تشييع جنازة إسلامية وهي تدخل باب العامود متقدما نحو الجامع الأقصى. ويستدل من رفع العلم أمام الجنازة ووضع العمامة على تابوت الميت ومشاركة جمع كبير من الإداريين العثمانيين في التشييع، أن الجنازة تعود لشخصية مهمة. ويعتبر حمل سعف النخيل خلف الراية عادة خاصة عند المسلمين الفلسطينيين وهي ما زالت متبعة حتى اليوم، وبموجبها يتم غرس السعف على القبر بعد دفن الميت فيه، ويرجى من هذا أن يكون وسيلة لانزال الرحمة على الميت، وهناك روايات تذكر بأن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قد قام بمثل هذا العمل.





القسم الثامن

زيارة القيصر ويلهلم الثاني إلى القدس

شكل هندسي على القلعة

« 330 | كنيسة المخلص الألمانية والمورستان

تضم الساحة الواقعة إلى الجنوب من كنيسة القيامة والمسماة المورستان أقدم كنائس القدس، والكنائس الكائنة في هذا المكان خربت بمرور الزمن غير أن القائمين بالحروب الصليبية استغلوا هذا الأمر فرفعوا شعار «كنائسنا تتهدم»[1]. وفي فترة الاحتلال الصليبي للقدس، منحت هذه المنطقة إلى الطريقة الدينية المسماة «فرسان النبي يحيى»، الذين شيدوا مستشفى فيها. وأقام هؤلاء علاقة ودية مع المسلمين وبشكل ملفت للنظر، حتى أنهم كانوا يقومون بمعالجة المصابين من المسلمين في المعارك. كما احتكوا بالإسماعيليين وسعوا إلى معرفة العلوم السرية منهم. ولعل تسميتهم المستشفى الذي أقاموه بالمورستان وهو اسم فارسي بمعنى مستشفى تعود إلى تأثرهم بحسن الصباح. وفي سنة 1869 منح العثمانيون قسماً من المحلة إلى كنيسة الروم الأرثوذكس وقسماً آخر إلى امبراطور بروسيا، وبعد بضعة سنوات تحولت امبراطورية بروسيا إلى ألمانيا. فأقام اللوثريون الألمان كنيسة المخلص في المنطقة. وكغيرهم من البروتستانت كافة فإن اللوثريين لا يعطون اعتباراً كبيراً لكنيسة القيامة، ولهذا فإن الكنيسة التي بنوها في الجهة الجنوبية من كنيسة القيامة هي بمثابة نوع من التحدي، وقد تجلى هذا التحدي أكثر في زيارة القيصر الألماني ويلهلم الثاني إلى القدس في سنة 1898م وافتتاحه شخصياً هذه الكنيسة.





« 331 | من الموِرستان إلى جبل الزيتون

لم تبق مساعي القيصر الألماني ويلهلم الثاني في إيجاد وجود اقتحامي في القدس محصورة بكنيسة المخلص، بل تجاوز ذلك إلى بناء برج رابع للكنيسة يشرف على المدينة من التل، وخطط له أن يكون عنصرا متوازنا مع برج الروس. ولم يكتف القيصر بهذا بل أمر بإنشاء مجمع أوغستا فيكتوريا وبناء برج له أعلى من برج الروس في جبل الزيتون. والمنطقة الظاهرة في الصورة والتي ظلت خربة هي القسم المحول من الموِرستان للروم الأرثوذكس، وبمرور الزمن سيظهر في هذا المكان أحد الأسواق الأصلية في القدس. والقبة الظاهرة في الصورة هي قبة الصخرة المغطاة في تلك الأثناء بغطاء من الرصاص.

HUGO STANGEN
ZELTLAGER





332 | زيارة القيصر ويلهلم الثاني إلى القدس

قام القيصر الألماني ويلهلم الثاني بزيارة إلى القدس بين يومي 26 تشرين الأول و4 تشرين الثاني 1898م، وهذه الزيارة التي دار الحديث حولها كثيرا أصبح لها فيما بعد أثر عميق في تاريخ الدولة العثمانية، وهي في الحقيقة حدث تاريخي أدى إلى زيادة اعتبار الدولة العثمانية في المحافل الدولية، وإيقاع الخوف في الدول الأوروبية التي كانت تبحث عن تحالفات. كما أدت الزيارة إلى زيادة النشاط الألماني في الأراضي المقدسة. ومن الطبيعي أن تكون هذه الزيارة مبعث اهتمام المصورين. وفي هذا الوقت كان توفيق باشا (بيرون) هو الذي يتولى متصرفية القدس، وقامت زوجته الرسامة السيدة ناجية نبال بضيافة زوجة القيصر. وذكريات كلا الاسمين تقدم معلومات تاريخية عن زيارة القيصر. وفي مشاهد الصور اللاحقة ستقوم بجولة قصيرة مع القيصر ويلهلم الثاني في القدس.

333 | القدس الغربية من قوس النصر

هذه الصورة التقطت من الجهة الشرقية من قوس النصر المقام على شارع يافا، وتظهر فيها مقبرة ماميلا في الوادي، وفي الخلف يطل الوادي الذي يصبح فيما بعد مركز القدس الغربية والتي بدا به الاعمار.

334 | قوس النصر لويلهلم

القيصر ويلهلم الثاني يمر من تحت قوس النصر الذي أقيم على شرفه على شارع يافا الذي كان يتبلور شيئا فشيئا في القدس. ويظهر في أسفل القوس إلى حد ما اسم مصور وفندق.

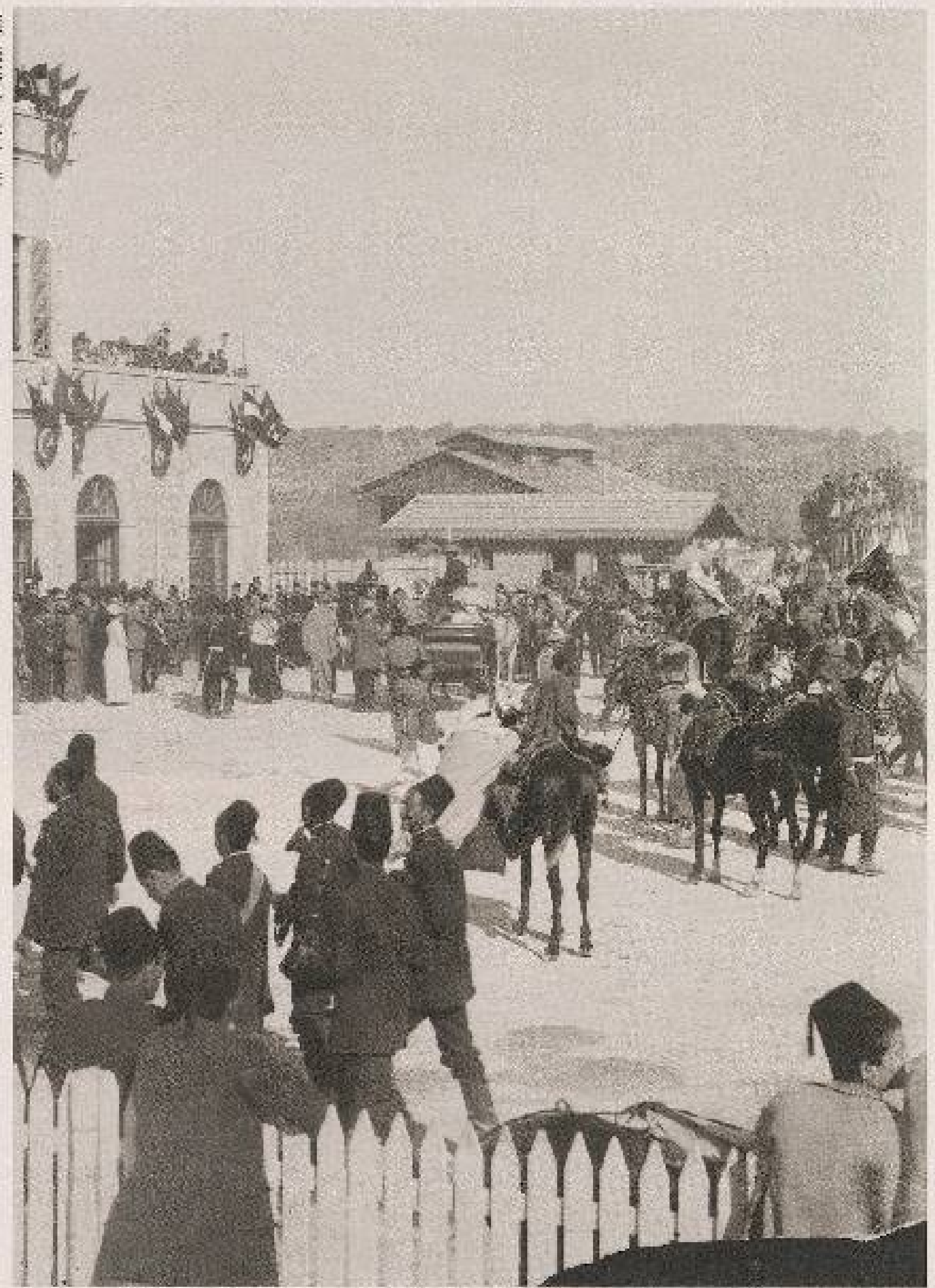


335 | الألمان الذين استقبلوا القيصر

هؤلاء النسوة اللواتي يظهرن ضمن الجموع التي استقبلت القيصر هن من الجالية الألمانية وينتسبن الى احدى الطرق البروتستانتية. وقامت الجالية فيما بعد بتكريم القيصر واقامة حفل استقبال على شرفه.

336 | استقبال القيصر ويلهلم الثاني

كان القيصر ويلهلم الثاني قد وصل من استانبول إلى حيفا، ومنها إلى يافا بسفينته، ومن يافا إلى القدس بالقطار. وكان بين من استقبل القيصر في القدس جميع قادة العسكر والاداريين العثمانيين وزعماء الطوائف الدينية في القدس.





٣٣٧ | الفرقة الموسيقية العثمانية في استقبال القيصر

كان يتم استقبال رجالات الدول الأجنبية الذين يزورون الأراضي العثمانية بالفرقة الموسيقية العسكرية، والفرقة الموسيقية التي استقبلت القيصر رافقت الامبراطور الألماني في كل خطواته: في مداخل المدينة ومخارجها وذلك بالمعزوفات التي كانت تعزفها.

٣٣٨ | الاستقبال في محطة القطار بالإعلام العثمانية

من العناصر التي لم يستغن عنها عند استقبال وتكريم رجالات الدول الأجنبية من قبل العثمانيين: الإعلام العثمانية. وفي اليوم الذي زار فيه القيصر القدس كانت محطة قطار المدينة قد زينت بأعلام عثمانية وألمانية. وأخوة الاعلام هذه كانت بمثابة مؤشر لدخول الدولة العثمانية فيما بعد في الحرب العالمية الأولى متحالفة مع ألمانية.





ر 339 | سرادق القيصر

السرادق الذي أقيم للقيصر ومرافقيه في القدس، ويظهر في هذه الصورة القيصر عند وصوله إلى السرادق. وقام بتغطية زيارة القيصر الى القدس كل من أحمد راسم من صحيفة «تصوير أفكار» وزهدي بك من جريدة «إقدام». وفي الوقت الذي كان القيصر يقيم في السرادق الذي أقيم خصيصا له خارج المدينة، فإن هذين المراسلين العثمانيين استأجرا غرفة على مقربة من باب الخليل.

ر 340 | حرس القيصر من الألمان

إن الزيارة التي قام بها القيصر إلى الأراضي العثمانية أغضبت بعض الفاشستيين الإيطاليين، حتى وصل الأمر بهم أن هددوا بقتل القيصر عند وجوده في الأراضي العثمانية، ولهذا السبب كان القيصر يتجول في ظل حراسة مشددة، واستقدم معه حرسه الخاص من ألمانيا. وكانت خطته تتضمن زيارة مصر أيضا، إلا أنه لم يحصل على ضمان من السلطات المصرية لتأمين حياته وذلك بتوفير الحماية له، ولهذا اضطر إلى إلغاء هذا الجزء من زيارته.



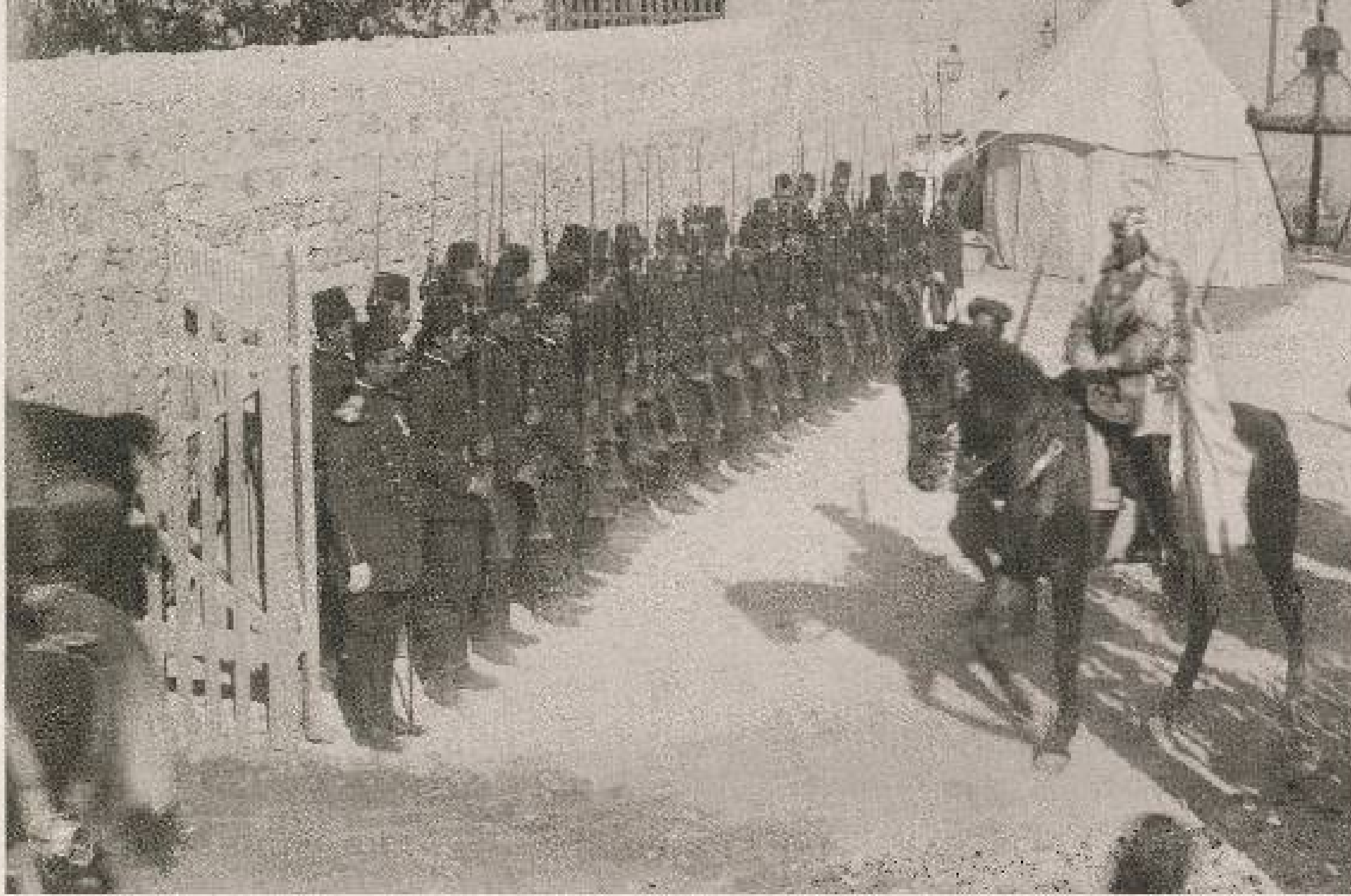


341 | الفرقة الموسيقية العسكرية العثمانية

تظهر في هذه الصورة الفرقة الموسيقية العسكرية العثمانية خارج السرادق الذي اقام فيه القيصر، والمعروف انه لم تكن توجد فرقة موسيقية عثمانية دائمية في القدس، وهذه الفرقة تمّ ارسالها من استانبول بشكل خاص لمرافقة القيصر.

342 | القيصر وزوجته في شوارع القدس

يظهر في هذه الصورة القيصر ويلهلم الثاني وزوجته فكتوريا وهما يتجولان في شوارع القدس. والشخص الواقف أمام القيصر هو عثمان باشا قائد الفيلق العثماني الثامن في القدس.





343 | وحدة عسكرية عثمانية تحرس القيصر

تظهر في الصورة وحدة عسكرية عثمانية تحيي القيصر ويلهلم الثاني عند خروجه من السرادق الذي أستضيف فيه، وطبقاً لما ورد في مذكرات المتصرف توفيق بك فان الإرهابيين الأوروبيين الذين كانوا يسعون الى اغتيال القيصر قاموا بالتجوال في القدس في تلك الأيام. فقد أعلن بعض الإرهابيين من الجنسية الإيطالية على وجه الخصوص بأنهم سيغتالون القيصر في القدس او القاهرة. واتخذ توفيق بك تدابير مشددة لحماية القيصر. وعندما علم القيصر بعدم إمكانية توفير نفس الحماية له في مصر، اضطر إلى الغاء زيارته إليها.

344 | عملية تناوب الحرس

يظهر في هذه الصورة جنود عثمانيون كُلفوا بحماية سرادق القيصر خلال عملية التناوب.





345 | القيصر أمام مبنى البلدية

انتقلت بلدية القدس في أواخر القرن التاسع عشر إلى خارج أسوار المدينة القديمة وبالتحديد إلى شارع يافا الذي افتتح حديثاً في هذا الوقت. ويشاهد في الصورة مبنى بلدية القدس الذي يمر من أمامه القيصر، وهو ثاني مبنى بلدية يفتتحه العثمانيون بعد مبنى بلدية استانبول.

346 | القيصر ومرافقوه في شارع يافا

القيصر ويلهلم الثاني ومرافقوه في استعراض رسمي في شارع يافا. والمبنى الذي يتم الاستعراض أمامه هو مبنى بلدية القدس في ذلك الوقت. ومما يثير الانتباه هنا صعود مجموعة من الأشخاص على سطح مدخل المبنى لتحية القيصر، وقد أثار هذا الأمر انتباه القيصر أيضاً ولهذا نراه في الصورة وهو يلتفت إلى هؤلاء الأشخاص.







347 | استعراض على طريق بيت لحم

التقطت هذه الصورة خارج المدينة وتظهر فيها قافلة القيصر إلى جانب حرسه الذين ارتدوا ملابس مدنية. ويستدل من المباني الظاهرة في الصورة أنها التقطت في مكان قريب قبر راحيل زوجة النبي يعقوب والواقع على مقربة من بيت لحم.

348 | في طريق بيت لحم

هذه الصورة التقطت مع الصورة التي إلى جانبها الواحدة بعد الأخرى مباشرة وهما تظهران مدى السرعة التي بلغتها مكائن التصوير في ذلك الوقت. ويمثل الفارق الزمني بين هاتين الصورتين اللتين تصوران القافلة وهي في حالة تحرك، لا يتجاوز عن بضعة ثوانٍ. وقد نجح المصور في توثيق هذين المشهدين للتاريخ.

349 | في الطريق إلى باب الخليل

يظهر في الصورة القيصر ويلهلم الثاني ومرافقوه وهم على وشك الوصول إلى باب الخليل الواقع في نهاية شارع يافا، والمبنى المرتفع الظاهر في الخلف هو من ضمن مباني الجزء الجنوبي من حي الروس الذي كان يعرف بمسكوبية في ذلك الوقت. ونشاهد خلفه جزءاً من قوس النصر المقام على شارع يافا.





350 | القيصر وحاشيته في طريقهم إلى المستعمرة الألمانية

يظهر في الصورة قوس النصر الذي أقيم للترحيب بالقيصر ويلهلم الثاني، والحشود التي تنتظر وصول القيصر. ويستدل مما كتب بالألمانية على القوس والمباني التي تظهر في الجزء الخلفي من الصورة أن هذا الطريق هو الطريق المؤدي إلى المستعمرة الألمانية، والمعروف أن الطائفة اليهودية أقامت هي الأخرى قوس نصر للقيصر.

351 | عند المرور من حي الشيخ جراح

توثق هذه الصور مرور القيصر وحاشيته من أمام جامع الشيخ جراح الواقع على طريق نابلس. وتدل القيصر قصد هذه المنطقة الشمالية من المدينة من أجل زيارة المقابر الملكية.

352 | نحو بيت لحم والخليل

يظهر في هذه الصورة توجه القيصر نحو الجنوب عبر طريق بيت لحم والخليل، ونشاهد فيها وبشكل واضح الإعمار الذي كان يجري أمام باب الخليل، والسبيل الظاهر في الوادي إلى اليمين هو أحد السبل التي تم بناؤها في المدينة في عهد السلطان سليمان القانوني.





353 ^ | **جنود عثمانيون في شارع النبي داود خلال زيارة القيصر**

تعود هذه الصورة إلى سنة 1898م ومحفوظة ضمن مجموعة ماتسون ويظهر فيها جنود عثمانيون وهم يزمعون عبور شارع النبي داود الذي يربط ميدان عمر بن الخطاب الواقع في منطقة باب الخليل بالشارع الرئيسي للمدينة. وفي هذه الفترة كان يوجد في هذا المكان مكتب تابع لقسم التصوير للكولونيه الأمريكية وهو تبيع الصور، ولعل هذا هو السبب الذي حدا بالإخوة ماتسون بإيلاء اهتمام خاص بهذه الصورة.



× 354 | **أمام فندق جراند الجديد**

التقطت هذه الصورة على الأغلب خلال توجه القيصر نحو باب الخليل بعد الجولة التي قام بها في المدينة. وفندق جراند الجديد الذي نشاهده إلى اليسار استخدم مركزاً لمعسكر الجيش العثماني الرابع الذي تمركز في المنطقة سنة ١٩١٤، ثم انتقل مقر المعسكر إلى خان أغوستا فيكتوريا في جبل الزيتون.



355 ← **القيصر ويلهلم الثاني وزوجته فيكتوريا في زيارة القدس**

لعل الزيارة التي قامت بها زوجة القيصر فيكتوريا الى القدس لم تمر بسهولة، الا انها عوّضت التجشم بعناء السفر بإطلاق اسمها على المجمع الكبير الذي اقامه زوجها في جبل الزيتون.

356 ↑ **جولة القيصر في الأسوار**

أعد منهاج شامل للقيصر في زيارته، وقد توقف متصرف القدس توفيق بيرل كثيراً عند المعاناة التي عاشها في تلك الأيام وعبر عنها في مذكراته. ومن هذه المعاناة ما طلبه القيصر من السلطان العثماني وتسجيل بعض الأماكن التي زعم انه وعد بها من قبل السلطان العثماني باسمه. وكان القيصر يزمع إقامة كنيسة Dormition Abbey على جبل النبي داود وذلك في الأراضي التي حصل عليها في هذه الأثناء.

357 » **القيصر ويلهلم الثاني ومرافقوه في فناء قبة الصخرة**

رافق القيصر في زيارته إلى المسجد الاقصى متصرف القدس توفيق بك (بيرون) وشيخ الأقصى وكبار موظفي الدولة العثمانية الذين انضموا في استانبول إليه لمرافقته. ويظهر في الصورة المحراب العرضي الكائن أمام الباب الموجود في جهة القبلة لقبة الصخرة. وهذا المحراب أزيل إلى جانب انصاف المسقفات خارج الباب وذلك في سنوات ١٩٦٠م.





↑ 358 | القيصر ويلهلم الثاني ومرافقوه في مقابر الملوك

تعود هذه المقبرة الى الملكة هيلانة التي عاشت في القرن الأول الميلادي. وكان الباحثون الذين أجروا الحفريات الأثرية الأولى في المنطقة يعتقدون انها تعود لبعض الملوك المنحدرين من صلب النبي داود، والملكة هيلانة ملكة محلية حكمت في الجزء الشمالي من الأراضي العراقية الحالية، ودفنت في معبد بالقدس للاهتمام الذي أبدته هي به. ويُعرف هذا المكان باسم «مقابر الملوك» نتيجة لأخطاء الأثريين، ويعد بمثابة أكبر مقبرة تاريخية في القدس.

↓ 359 | القيصر وحاشيته يتلقون معلومات من المسؤولين العثمانيين

القيصر وهو يتلقى معلومات من المسؤولين العثمانيين. والغرف الصغيرة التي تظهر خلفه كانت تستخدم مدافن في العهود القديمة وهي منقورة في الصخر.

» 360 | القيصر عند تركه المقابر الملكية

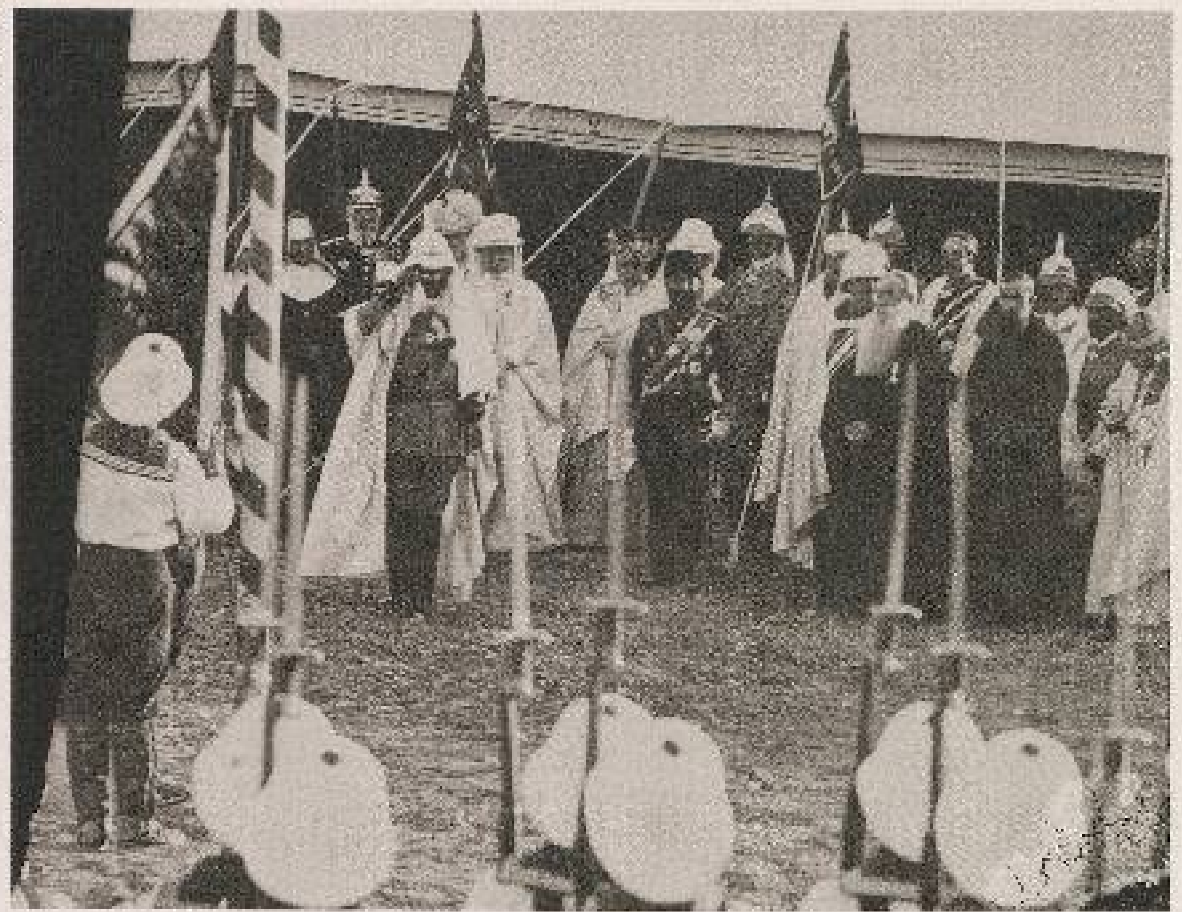
لا يمكن أن يقال إن القيصر لم يتأثر بما شاهده في المقابر الملكية من أعمال الحفر الرائعة وإطارات المداخل.





« 361 | القيصر في افتتاح كنيسة المخلص

يقوم القيصر ويلهلم الثاني بزيارة كنيسة المخلص التي امر ببنائها لأجل افتتاحها. والقبة الصغيرة الظاهرة في اليسار هي القبة الأصغر من قبتي كنيسة القيامة.





362 | القيصر مع بعض الوجوه من العثمانيين والعرب

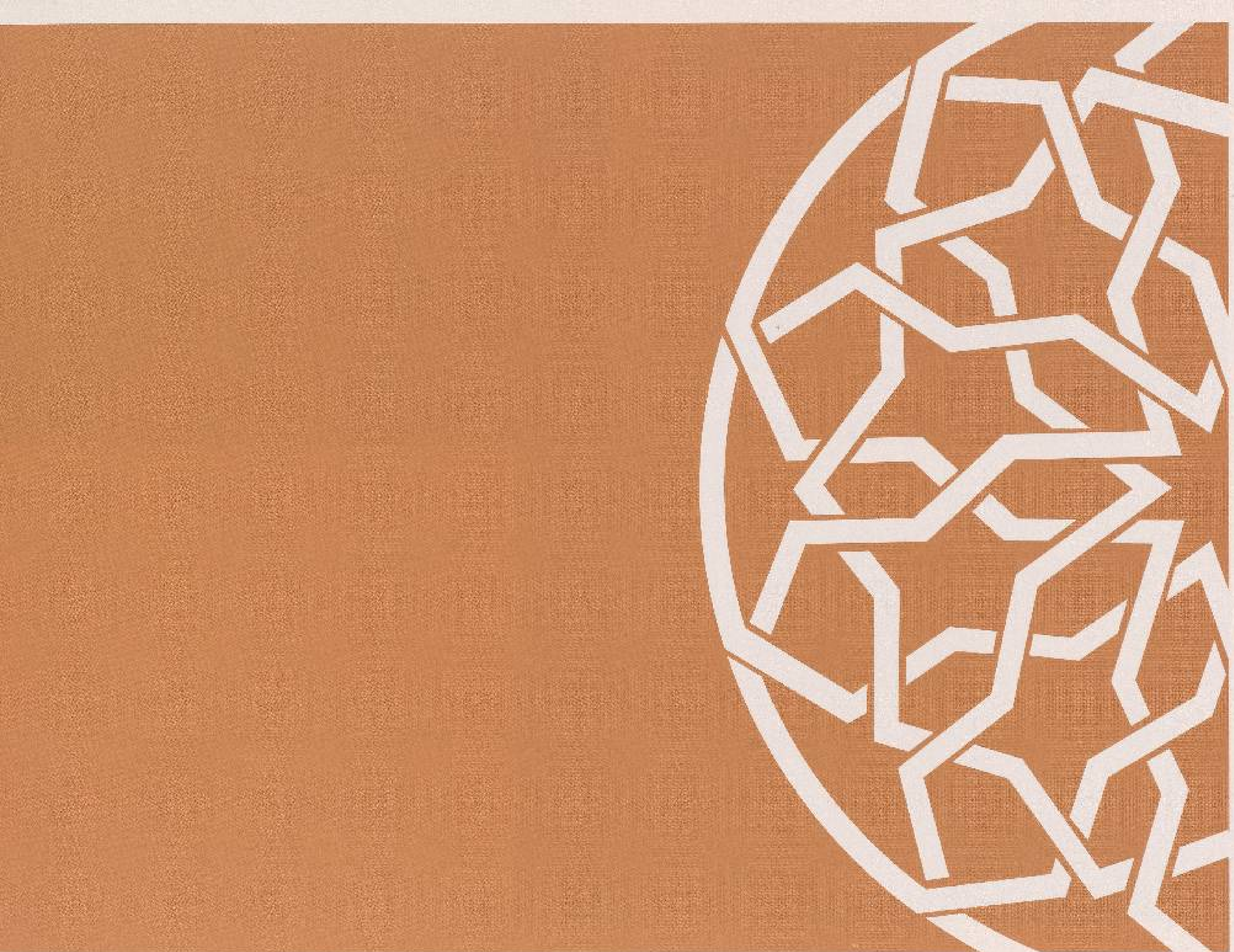
كان المأمول من زيارة ويلهلم الثاني إلى استانبول ودمشق والقدس هو إيجاد حليف لألمانيا في العالم الإسلامي. واتصل القيصر في هذه الزيارة بالسكان المحليين وتلقى معلومات عن الدين الإسلامي، وتحدث وبشكل مكثف عن علاقة الخالق بالدين الإسلامي والمجتمعات الإسلامية.

363 | القيصر وزوجته يستعرضان إلى جانب القادة العثمانيين وحدة الاستعراض العسكري

إن الفائدة المرتقبة من قبل العثمانيين من زيارة القيصر هي إمحاء صورة «الرجل المريض» التي سادت في أوربا، ولأجل هذا كان ينبغي إظهار مستوى التدريب عند الجنود العثمانيين وتحديث أسلحتهم وتحكم الدولة بإدارة المناطق البعيدة عن المركز، ولكننا لا نعرف مدى تأثر القيصر من هذه الزيارة.

364 | حفل استقبال في الحديقة أقيم على شرف القيصر وزوجته

يستدل من كشف النسوة والبنات لرؤوسهن في هذه الصورة أنهن لسن مسلمات أو يهوديات، ولهذا يمكننا القول إن حفل الاستقبال جرى في حديقة المستعمرة الألمانية التي تحولت في هذه الفترة إلى إحدى الأماكن الرائعة في القدس.

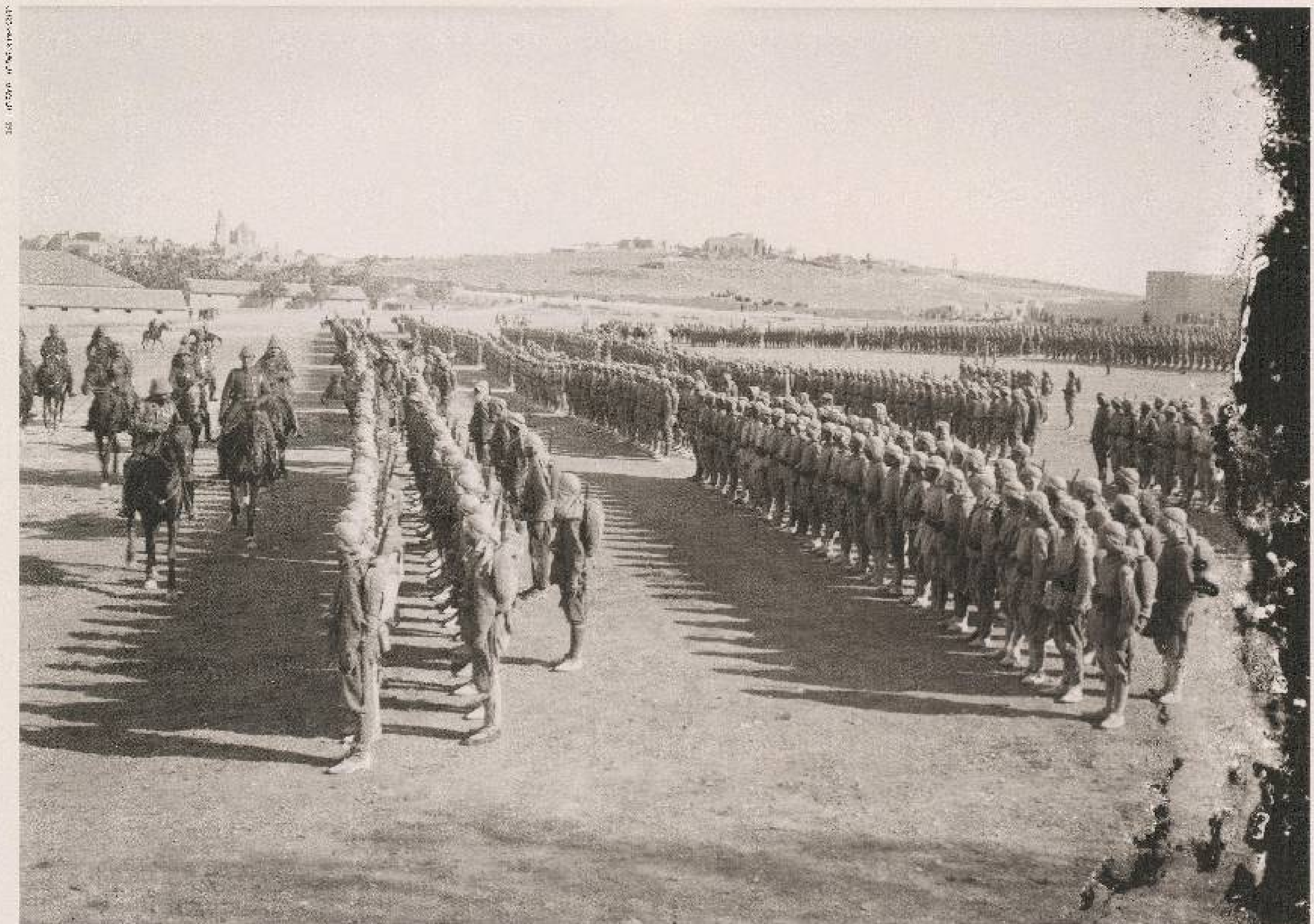




القسم التاسع

الجنود العثمانيون في القدس والدفاع عن المدينة

نجمة منحوتة في الجهة الداخلية من باب الزهرة



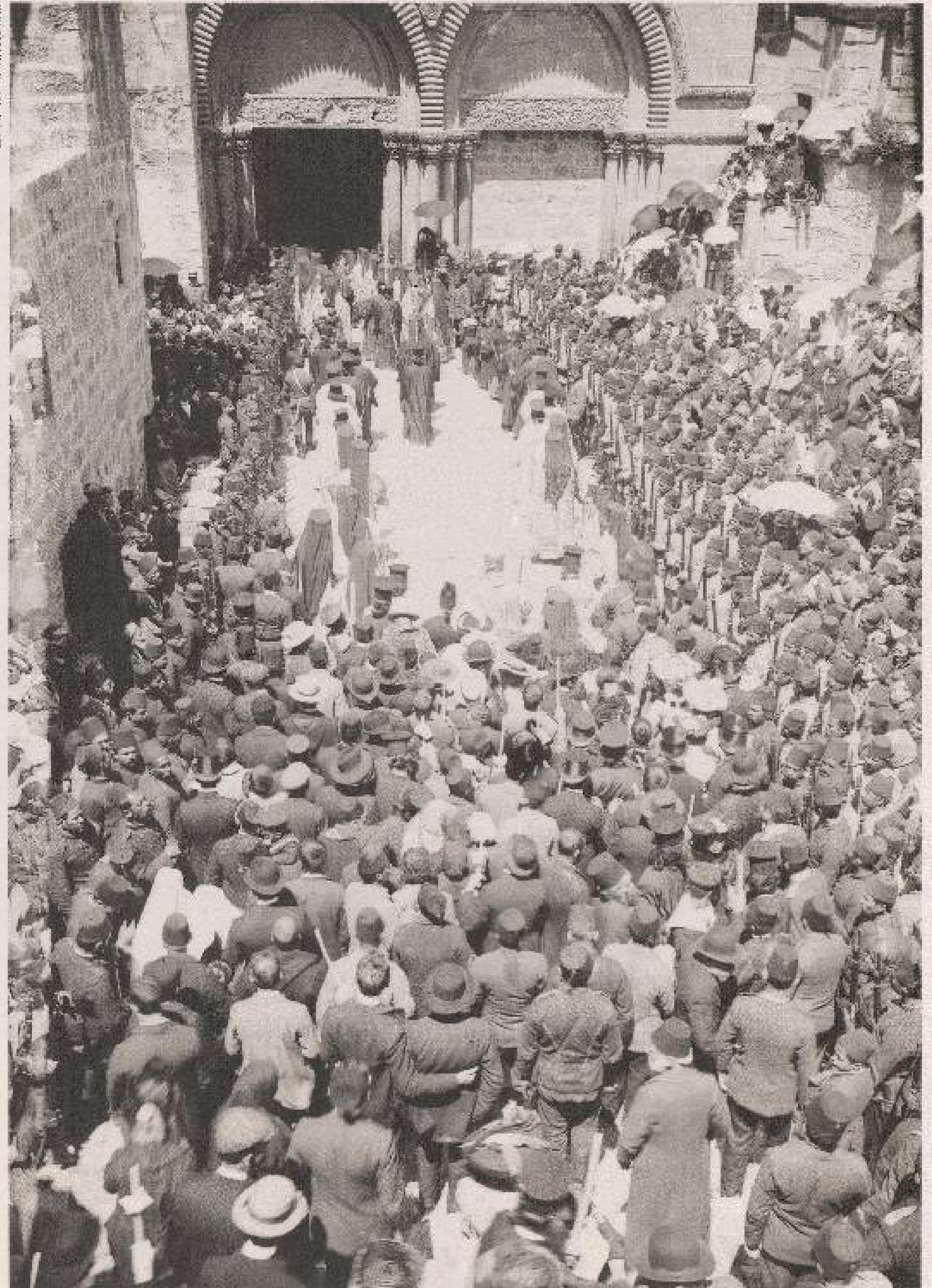
جنود عثمانيون في القدس والدفاع عن القدس

بقيت هذه الصورة من الفترة ١٩١٤ - ١٩١٧م، والتقطت أمام باب الزهرة ويظهر في الجزء الخلفي إلى جهة اليسار مستشفى أغوستا فيكتوريا الذي استخدمه جمال باشا مقرا له في ذلك الوقت.



366 | الجنود العثمانيون في الأحداث الاجتماعية

لم تكن المهمة الأساسية للجنود العثمانيين في القدس حماية أمن المدينة تجاه العدو الخارجي فقط، بل كان يقع على عاتق الجنود مراقبة الأحداث الاجتماعية الأساسية وتهدئة النزاع الذي قد يحدث بين المذاهب المسيحية. ويظهر في الصورة حشد من الناس احتشدوا في فناء كنيسة القيامة خلال إجراء طقوس النار المقدسة. وكانت هذه الطقوس تؤدي إلى زحام كبير بسبب اندفاع المسيحيين لأجل الوصول إلى النار قبل حين. وكان على الجنود العثمانيين العمل على تفادي الزحام. والتقطت هذه الصورة في السنوات الخمسة عشر الأولى من القرن العشرين وهي تعكس دور الجنود العثمانيين في أحد الازدحامات.



» 367 | جنود عثمانيون خلال طقوس الأستر

يعد حج الأستر احد الأحداث الكبيرة التي كانت تعيشها كنيسة القيامة خلال السنة. وحج الأستر او الحج الكبير هو الاسم الذي يطلق على يوم الجمعة المقدس الذي يعتقد المسيحيون بأن عيسى صلب فيه. وينطلق هذا الحج من فناء جامع العروج الواقع في جبل الزيتون وهو موقف يضاف إلى المواقف المستخدمة في الحج الصغير والذي يجرى في طريق الآلام؛ ثم يمر من قبر السيدة مريم العذراء بوادي الجوز ويستمر على طريق الآلام. والجزء المهم في حج الأستر هو الطقوس التي تقام برعاية رجال الدين. ويظهر في هذه الصورة التي التقطت في اوائل القرن العشرين طقوس الأستر التي اقيمت في جو قام الجنود العثمانيون بتامين النظام فيه.



الجنود العثمانيون والأمان | 368 «

كانت مدينة القدس تشهد زحاماً شديداً عند إجراء طقوس الأستر، وهذا الزحام كان ينشط وبلا شك الحياة التجارية. وكان المسيحيون الذين يؤدون حج الأستر في يوم الجمعة يمضون هذا اليوم في القدس، ويعتقدون بأن هذا اليوم يصادف قيام السيد المسيح من قبره. ويظهر في الصورة جنود عثمانيون وهم يقومون بتأمين الأمان والهدوء في فناء كنيسة القيامة بعد انحسار زحامات يوم الحج.



« 369 | طقوس غسل الأرجل والجنود العثمانيون

من الأحداث المهمة التي كان يشهدها فناء كنيسة القيامة: طقوس غسل الأرجل، وعلى الرغم من كونها عادة متبعة لدى جميع المذاهب المسيحية، إلا أن الروم الأرثوذكس كانوا يقيمون طقوسهم في فناء كنيسة القيامة، وطبقاً لما ورد في الإنجيل فإن طقوس غسل الأرجل ترتبط بحادثة قيام السيد المسيح بغسل أرجل حوارييه وتجفيفها وذلك في يوم الخميس حيث تناول معهم طعام العشاء الأخير، ويرى المسيحيون أنه يتمّ لرمز نقطة القمة للتواضع في هذا المكان.





370 | التواضع المسيحي وأمن المسلمين

تجري طقوس غسل الأرجل عند الروم الأرثوذكس بقيام رئيس الأساقفة في يوم الخميس المقدس بغسل أرجل الأساقفة التابعين له. واكتسبت طقوس غسل الأرجل ومنذ المراحل الأولى نوعاً من المدلول الديبلوماسي، ولهذا السبب يتمّ في الوقت الراهن دعوة جميع الديبلوماسيين لهذه الطقوس أي مثلما كان يتمّ في العهد العثماني. وتُظهر هذه الصورة التي التقطت قبل سنة 1914 كثرة عدد المشاركين من الضباط العثمانيين ذوي الرتب العالية، وهي تعكس خاصية هذه الطقوس.

371 | جنود عثمانيون يحمون المسيحيين من بعضهم البعض

كان اسبوع الأستر الذي يتضمن طقوس غسل الأرجل أسبوعاً يعمل فيه المصورون بشكل مكثف إلى حد كبير. وإلى جانب المصورين الذين يقيمون في الأراضي المقدسة بشكل مستمر كان يفد إلى القدس عدد كبير من المصورين الأوربيين أيضاً. وتعكس هاتان الصورتان مدى المتاعب التي يتحملها المصورون لالتقاط مشاهد مثالية. وكانت الصناديق المعلقة على جدران الجامع العمري الكائن مقابل كنيسة القيامة مخصصة للمصورين. ولكن الجانب المستغرب في الصورة هو إحاطة الجنود العثمانيين بالمنصة التي أقيمت في الفناء للقساوسة. وكان المسيحيون يتنازعون فيما بينهم خلال الطقوس المقامة بكنيسة القيامة، الأمر الذي تستغله الدول الأجنبية للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية. ولهذا فإن الدول العثمانية كانت تولي اهتماما بإجراء الطقوس في الكنائس دون وقوع مشاكل. ولهذا لن نخطئ إذا قلنا أن الجنود العثمانيين المكلفين بواجباتهم خلال طقوس غسل الأرجل كانوا يحمون المسيحيين من المسيحيين.

» 372 | تدخل عسكري في فناء كنيسة القيامة

كانت تداعيات الأحداث التي تقع في الأراضي المقدسة تجد صداها في كافة أرجاء العالم، وتعقد الأمور على الدولة العثمانية بسبب الامتيازات الممنوحة للدول الأجنبية للتدخل بشؤونها. وهنا نتساءل ألم يشكل فقدان نجمة ذهبية من كنيسة الولادة ببيت لحم سببا لحرب القرم؟، وفي الفترة التي كانت الحرب العالمية الأولى تتسارع للخطى للانفجار كانت الدولة العثمانية تعي جيداً أن أي نزاع قد يحدث في القدس يؤدي إلى نشوب الحرب، ولهذا السبب فإن المناسبات الاجتماعية والدينية كانت تجري تحت مراقبة مكثفة، وكان الجنود يتدخلون عند حدوث الزحام. وهذه الصورة التي يعتقد بالتقاطها قبيل الحرب، تعكس مدى توتر أعصاب الجنود العثمانيين في القدس.

» 373 | أنور باشا وجمال باشا في زيارة الأقصى

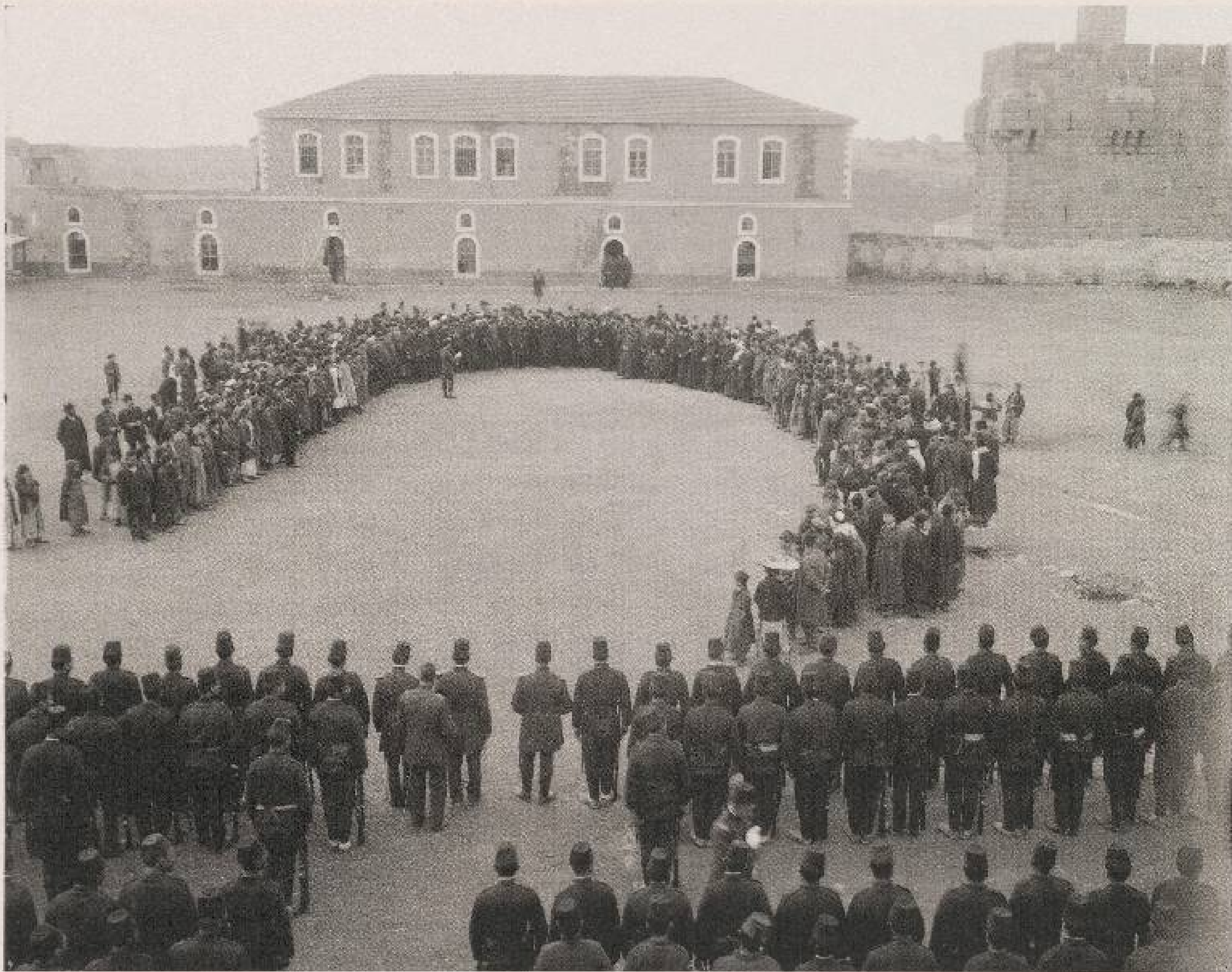
في سنة ١٩١٤م عُين ناظر البحرية العثمانية جمال باشا قائدا للجيش الرابع في الشام. وكانت القوات الإنجليزية تتمركز في مصر، وكان لا مفر من وقوع الحرب بين هذه القوات والجيش العثماني وذلك في جبهة القناة، ولهذا نقل جمال باشا مقر قيادته إلى القدس ودعا ناظر الحربية أنور باشا إلى المنطقة وذلك بغية التهيؤ لتحضيرات الحرب في صحراء سيناء. وبالفعل قدم طلعت باشا إلى المنطقة في شباط سنة ١٩١٦م، وقام إلى جانب جمال باشا بجولة استطلاعية طويلة في كل من سورية وفلسطين وصحراء سيناء، كما زارا معا المدينة المنورة. وقام أنور باشا بزيارة المنطقة مرة أخرى في سنة ١٩١٧م، ولتفقد خطوط الدفاع الأخيرة. ويظهر في الصورة الباشوان والوفد المرافق لهما وهم يتوجهون من البائكة الشمالية الشرقية لقبة الصخرة نحو باب الأسود.





374 | جنود عثمانيون وفرقة موسيقية في ساحة التدريب

كان مقر الجيش الرابع العثماني مستشفى أغوستا فيكتوريا الواقع على قمة جبل الزيتون، كما أن القشلة (الثكنة العسكرية) المستخدمة كمقر للقوات العثمانية في القدس وعلى مدى سنوات طويلة، أصبحت تستخدم ساحة للتدريب. وكانت القشلة تتكون من الحامية العسكرية القديمة الواقعة بجوار القلعة والأراضي المكشوفة الكائنة أمامها. ويظهر في الصورة الزعيم الركن جمال باشا المرسيني (جمال الصغير) والذي عينه القائد جمال باشا قائداً على الفيلق الثامن، وهو يقوم بتفقد الجنود العثمانيين.

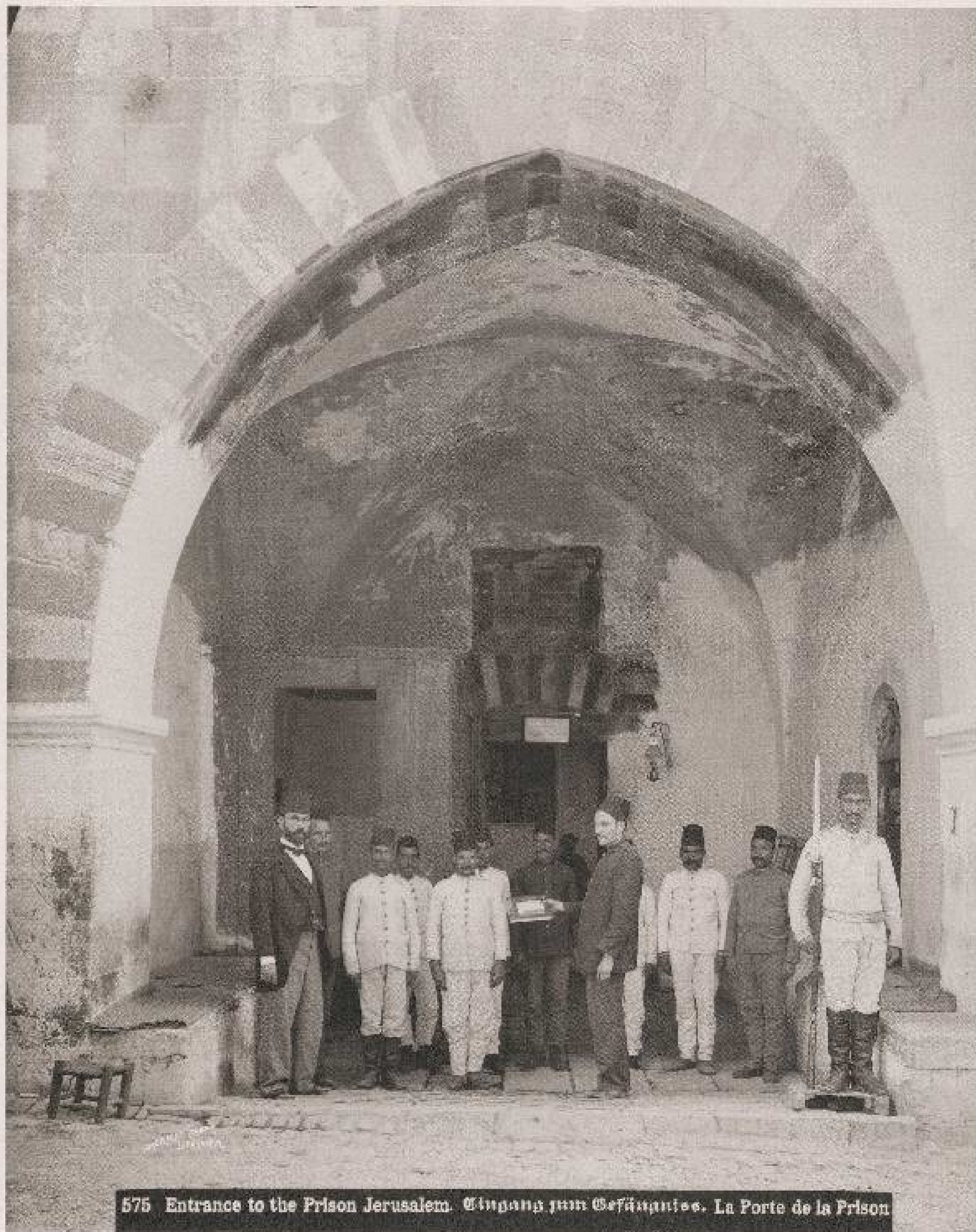


375 | **جنود عثمانيون في القشلة**

يظهر في الصورة أركان الدولة وهم يتفقدون الجنود العثمانيين في القشلة الواقعة بجوار قلعة المدينة، وفي الجزء الخلفي من الصورة تظهر بناية القشلة والجزء الأسفل من المئذنة التي بناها العثمانيون في القلعة.



576 In the Prison Courtyard. Gruppe von Gefangenen. Prisonniers de Jérusalem



376 | سجناء في فناء السجن

فناء السجن الذي نراه في الصورة كان في وقت ما فناء قصر. ومعظم الأشخاص الظاهرين في الصورة ليسوا سجناء بل هم منتسبو المحكمة الشرعية.

377 | مدخل سجن القدس والسجّانون

حافظ سجن القدس على المكان نفسه على مدى العصور، أي في الأبنية الواقعة إلى الشمال من المسجد الأقصى. وإلى جانب السجن تقع بناية المركز الإداري المسمّاة «سراي». وقد استمر هذا الأمر حتى سنة ١٨٩٤م حيث نقل متصرف القدس توفيق باشا مقر المتصرفية إلى خارج أسوار المدينة القديمة. ويظهر في هاتين الصورتين سجّانو سجن القدس إلى جانب المعتقلين خلال عملية التفتيش.



378 | جنود عثمانيون أمام القلعة

يظهر في هذه الصورة جنود عثمانيون خلال التدريب أمام مخيمات الثكنة قرب قلعة المدينة، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار القيافة العسكرية المنتظمة للجنود يمكننا القول إن هذه الصورة التقطت قبل الحرب العالمية الأولى.

379 | جنود القدس وهيئة الأركان الإدارية في الثكنة

يظهر في ساحة الثكنة الواقعة قرب قلعة المدينة مفتي القدس والمتصرف وكبار المسؤولين العسكريين، والتقط هذه الصورة مصور يدعى J. F. Darvis في 27 نيسان 1900م، والرجل ذو اللحية السوداء والواقف إلى جانب مفتي القدس ذي القفطان المطرز هو متصرف القدس الشاب محمد توفيق فهمي بك (بيره ن).





380 | وحدة الجمال العثمانية في القدس

التقطت هذه الصورة بين سنتي ١٩٠٨-١٩١٤م، وتعكس نموذجاً صغيراً من وحدات الجمال التي حظيت بأهمية استراتيجية خلال الحرب العالمية الأولى. وكانت الجمال أكثر براعة من الحصان والجاموس لعبور صحراء سيناء، وخلال حرب القناة كانت الجمال تشكل القوة الأساسية الفعالة للجيش العثماني. وأبلغ الجيش العثماني الرابع بقيادة جمال باشا عدد الجمال المستخدمة عنده إلى سبعة آلاف جمل.

381 | أنور باشا وجمال باشا في فناء قبة الصخرة

التقطت هذه الصورة في شباط 1916 ويظهر فيها أنور باشا وجمال باشا في فناء قبة الصخرة. وكان أنور باشا أكثر تديناً بين الباشوات الثلاثة الذين كانوا يديرون دفة الدولة العثمانية وهم: أنور - جمال - طلعت. وذكر [الكاتب التركي] فالح رفقي أتاي في مذكراته أن عيون أنور باشا إغرورقت بالدموع عند زيارته المدينة المنورة، والقبة الصغيرة الكائنة بجوار قبة الصخرة هي قبة السلسلة.





» 382 | أنور باشا وجمال باشا
في زيارة مشتركة لقبة الصخرة

يظهر في هذه الصورة أنور باشا وجمال باشا والوفد المرافق لهما بعد زيارتهما قبة الصخرة وتوجههما نحو باب الأسود. ويظهر إلى يمين أنور باشا جمال باشا المرسيني. والشخص الذي يسير أمام الوفد بعصاه وجبته هو الشيخ الشقيري الذي كان موجوداً في المنطقة بصفة مفتي الجيش الرابع. والمعروف أن ابن الشيخ الشقيري وهو أحمد الشقيري قد برز بعد العهد العثماني كشخصية مهمة في فلسطين، وأسس منظمة التحرير الفلسطينية.

» 383 | استعراض رسمي خلال زيارة أنور باشا للقدس

التقطت هذه الصورة في شباط ١٩١٦م خارج باب العامود تقريباً. والمعروف أن أنور باشا كان وزيراً للحربية العثمانية، إلا أن الحرب العالمية الأولى حولته إلى حاكم تحكم بجميع مقدرات الدولة. والاهتمام الذي أبداه الأهالي تجاهه هو لهذا السبب إلى حد ما.



« 384 | عند توديع الجنود العثمانيين في وادي الجوز

التقطت هذه الصورة خلال الحرب العالمية الأولى، وتعكس لحظة توديع الجنود العثمانيين في وادي الجوز شرقي المدينة القديمة. ويظهر أن طلاب المدارس الذين كانوا يتلقون تحصيلهم الدراسي في المؤسسات التربوية كالمدرسة الصلاحية قد شاركوا إلى جانب الأهالي في الدعاء الذي تلاه مفتي القدس.

« 385 | جنود عثمانيون في وادي الجوز

مشهد آخر من حفل التوديع الذي أقيم في وادي الجوز. والأطفال الظاهرون في الصورة هم أطفال كبار الضباط العثمانيين في القدس ويضمنهم أطفال جمال باشا المرسيني.



بعد الدعاء والخطب التي ألقيت في وادي الجوز بدأ الجنود العثمانيون بالتوجه نحو الجنوب إلى الحدود المصرية عبر غزة وبئر السبع وذلك للقيام بعمليات عسكرية في القناة. وكانت الغاية الأساسية لهذه الحملة هي على الأغلب تأمين إبقاء الجنود الإنجليز في مصر وعدم تقدمه، الأمر الذي قد يساهم في تحقيق ألمانيا الحليف العثماني الانتصار السهل في الجبهة الأوروبية، كما كان يؤمل تحرير مصر من الإنجليز ولهذا تمَّ سوق الجنود إلى المنطقة. والقسم الأعظم من الجنود العثمانيين الذين يظهرون في الصورة لم يتمكنوا من العودة إلى وطنهم والقدس مرة أخرى، كما أن قسما منهم سيعود في سنة ١٩١٧م لأجل المساهمة في الدفاع عن القدس والاستشهاد في هذه المدينة المقدسة.



٣ 387 | طائرة عثمانية في القدس

التقطت هذه الصورة في المنطقة الريفية المسماة (بر شمن) قرب القدس بين سنتي 1914 - 1920م، وتظهر فيها طائرة عثمانية تحط في القدس لأول مرة، وهذه الصورة هي جزء من مجموعة ماتسون.



٣ 388 | تحشد الأهالي حول الطائرة العثمانية

التقطت هذه الصورة بين سنتي ١٩١٤ - ١٩١٨م وتعكس الاهتمام الذي أبداه أهالي القدس وجوارها بالطائرة العثمانية، إلا أن الطيران بين استانبول والقاهرة كلف حياة اثنين من العثمانيين استشهدا قرب بحيرة طبرية بشمال القدس.





389 | رئيس بلدية القدس حسين سليم الحسيني

سجّل المصور على هذه الصورة بأنها التقطت يوم وصول الطائرة العثمانية الى القدس، ويظهر في الصورة الى اليسار رئيس بلدية القدس حسين سليم الحسيني بالملابس المدنية؛ وقد دخل التاريخ لكونه آخر رئيس بلدية عثماني في القدس. وعائلة الحسيني هي من العوائل الأصيلة التي أنجبت اداريين وجهاء في القدس العثمانية.

390 | الفرقة الموسيقية العثمانية في القدس

الفرقة الموسيقية العثمانية خلال عزفها أمام مخيمات الجنود قرب باب الخليل تقريباً، والتقطت هذه الصورة في ١٨ تشرين الثاني ١٩٠٦ من قبل William H. Rau.

391 | جنود عثمانيون في طريق القدس

جنود عثمانيون على طريق نابلس قدموا من الشمال وهم في مسيرة حرة. ويرتدي الجنود الظاهرون في الصورة غطاء رأس تمّ تصميمه من قبل انور باشا واطلق عليه اسم «انورية» ولهذا يرجح أن الصورة التقطت بين سنتي ١٩١٤-١٩١٧م. والمسجد الظاهر في الصورة هو مسجد الشيخ جراح.

392 | جنود عثمانيون في طريق الخليل

جنود عثمانيون في طريق الخليل بالجنوب الغربي من القدس، وتظهر في هذه الصورة زمر الضباط الذين يسيرون امام الجنود الظاهرين في الصفحة المقابلة والشخص الذي يظهر مرتديا نظارة شمسية هو الزعيم الركن جمال باشا المرسيني.

393 | جنود في طريق الخليل

يمر طريق الخليل من بيت لحم ويتوجه نحو الجنوب ويصل إلى بئر السبع وغزة. ويظهر في الصورة جنود عثمانيون وهم يتوجهون نحو الجبهة عبر هذا الطريق، والبيوت التي يمر من امامها الجنود هي بيوت الحي المعروف بالحي الألماني.

394 | جنود عثمانيون في قلعة المدينة

ورد في بعض المصادر أن هذه الصورة التقطت سنة 1900م وتعود الى الفترة التي كان الوجود العثماني في القدس فيها تحت الأمان، وكانت القلعة في هذا الوقت بمثابة مركز الوجود العسكري العثماني في المدينة. وكانت وحدة عسكرية صغيرة تكفي لتأمين النظام وذلك في حالة عدم وجود تهديد خارجي.









» 395 | ضباط عثمانيون أمام المدرسة الصلاحية

يظهر في الصورة ضباط عثمانيون أمام المدرسة الصلاحية التي تمّ إحياؤها في أواخر العهد العثماني، وعلقت على مدخل المدرسة لوحة كتب عليها «فيها كتب قيّمة».





396 | ضباط عثمانيون على ظهور الجمال أمام القلعة

كانت الجمال تعد واسطة نقل حيوية للعمليات العسكرية في القناة بشكل خاص، وكان الجيش العثماني يزمع عبور الصحراء إلا أن الطرق التي تتوافر فيها المياه كانت تقع تحت مرمى نيران قذائف الانكليز الذين كانوا يهجمون على البحار أيضاً، وكانت الطرق الأكثر أماناً للعثمانيين تفرض على جيشهم تحمل قساوة الرمال والشمس الحارقة. والساحة التي يظهر فيها الضباط هي ساحة التدريب المسماة بالقشلة/ الثكنة.

397 | ضباط عثمانيون أمام القلعة

وحدة عسكرية عثمانية بالزي العربي أمام قلعة مدينة القدس، وكان الجنود العثمانيون في جبهة القناة ينجحون بهذا الشكل في تحقيق الوفاق مع الأهالي والظروف المحلية.





٣ 398 | جمال باشا المرسيني

جاء جمال باشا المرسيني الى جبهة فلسطين قبل جمال باشا المشهور وترك الجبهة بعد وصول الأخير واطلق عليه اسم جمال باشا الصغير بعد تعيين الأخير قائداً للجيش الرابع.

د 399 | جمال باشا الصغير والأطفال

يُعد جمال باشا الصغير آخر قائد كلف بالدفاع عن القدس بعد انسحاب جمال باشا الى الأناضول اثر قطع الأمل عن جبهة القدس. والتقطت هاتان الصورتان في فناء كاتدرائية القديس جورج ويظهر في الأولى مع أطفاله وفي الثانية على ظهر حصان.



۸ 400 | **جنود عثمانيون في القدس**

التقطت هذه الصورة في سنة ١٩١٧ وهي تظهر مجموعة من الجنود العثمانيين خلال عرض عسكري.



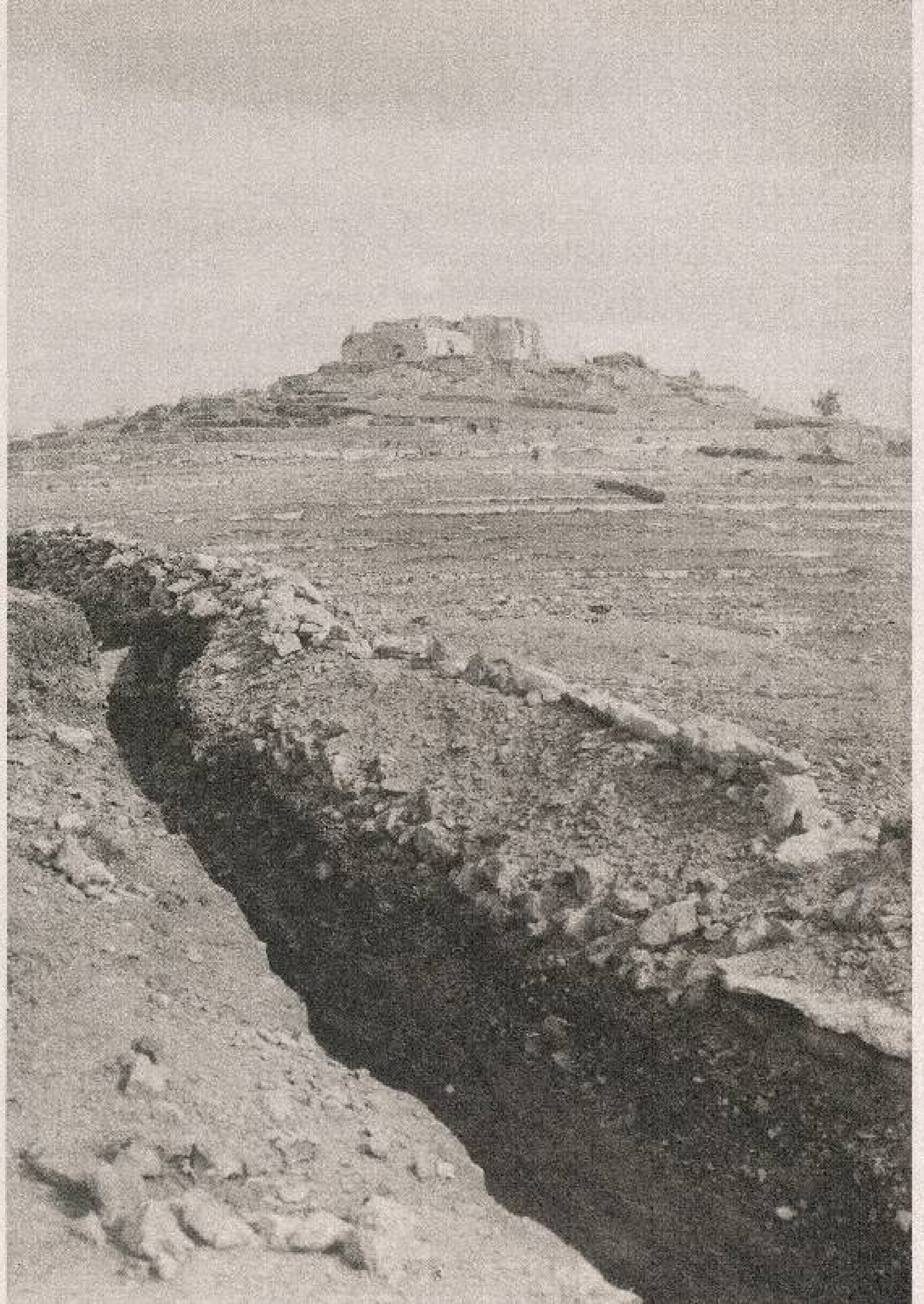
» 401 | فوج الهجين يأخذ موقعه في الدفاع عن القدس

إن المحللين الذين ذهبوا إلى البحث عن متهمين مسؤولين عن الهزيمة فيما بعد الحرب العالمية الأولى استغلوا تمرد بعض العشائر العربية وانحيازهم نحو الانجليز على جميع العرب. والحال إن الوحدات العربية ومقاتلي البدو الذين كانوا يحاربون إلى جانب الجنود العثمانيين في جبهة فلسطين ظلوا يحاربون بإخلاص حتى نهاية الحرب. ودفن شهداؤهم الذين سقطوا في المعارك إلى جانب الشهداء العثمانيين في المقابر نفسها.

» 402 | رقصة السيف في ميدان عمر بن الخطاب

رجل يؤدي رقصة السيف، وجنود أمام فندق جراند الجديد الكائن في باب الخليل تقريبا. وكان لاستوديو الكولونية الأمريكية الذي كان أكبر ستوديو في القدس، مكتب في الطابق الأسفل من فندق جراند الجديد. والمكتب الظاهر خلف الشخص الذي يؤدي رقصة السيف سيعرض بعد مدة هذه الصورة في واجهته.

GRAND
NEW HOTEL
AMERICAN COLONY STORE



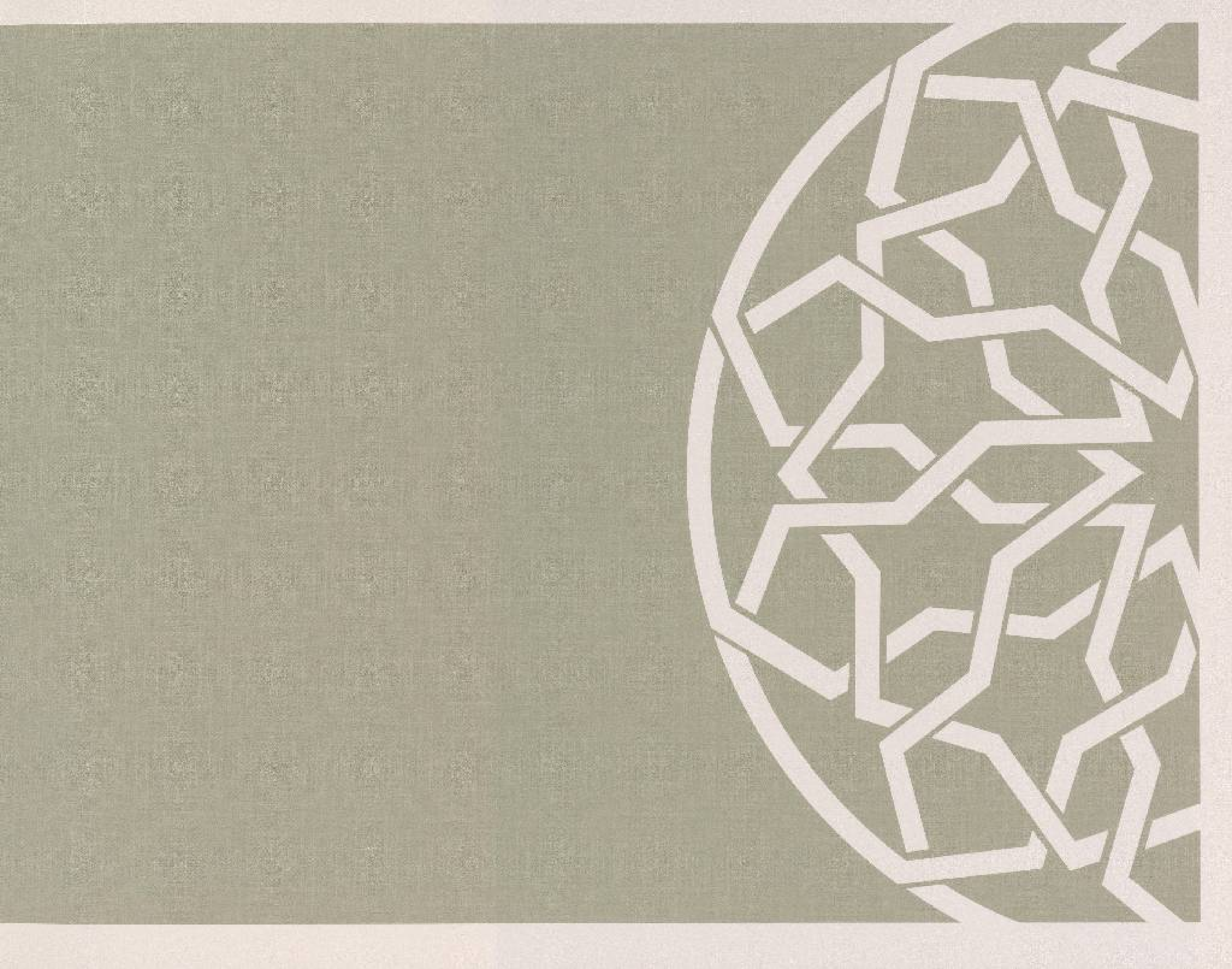
« 403 | جبهة النبي صموئيل

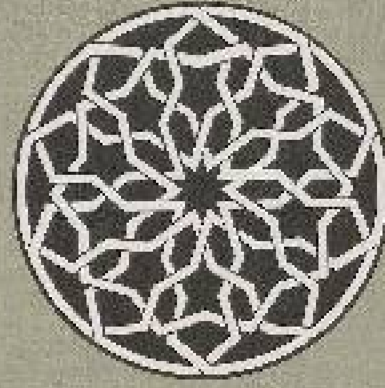
حاصرت القوات الإنجليزية بقيادة الجنرال اللنبي بعد سقوط جبهة بئر السبع مدينة القدس. وكان الجنرال اللنبي قد أعلن بأنه سيقدم القدس هدية نويل للعالم المسيحي. وكان آخر جبهة للدفاع عن القدس هي جبهة النبي صموئيل. وكان على رأس القوات العثمانية كل من: علي فؤاد باشا (جبه صوى) وفخر الدين باشا (أتجاي). وفي جبهة النبي صموئيل بني الجامع الذي بني في ذكرى النبي صموئيل بين الجيشين. والمعروف أن النبي صموئيل عاش في عهد النبي داود، ولم يرد ذكره في القرآن الكريم. واستخدم الانجليز في الجبهة مدافع ثقيلة ولهذا فقد تعرض الجامع الى خسائر فادحة. والتقطت هذه الصورة من المتاريس الانجليزية بعد انتهاء المصادمات.



404 | جامع النبي صموئيل المتهدم

بعد سقوط جبهة النبي صموئيل ولكي لا تشهد الأماكن المقدسة من القدس مصيراً مشابهاً لذلك قررت القوات العثمانية التخلي عن الدفاع عن المدينة، ويقال إن قائد الجبهة الألماني فالكنهاين الذي حل محل جمال باشا هو الذي كان وراء هذا القرار.





القسم العاشر

صور تم تلوينها

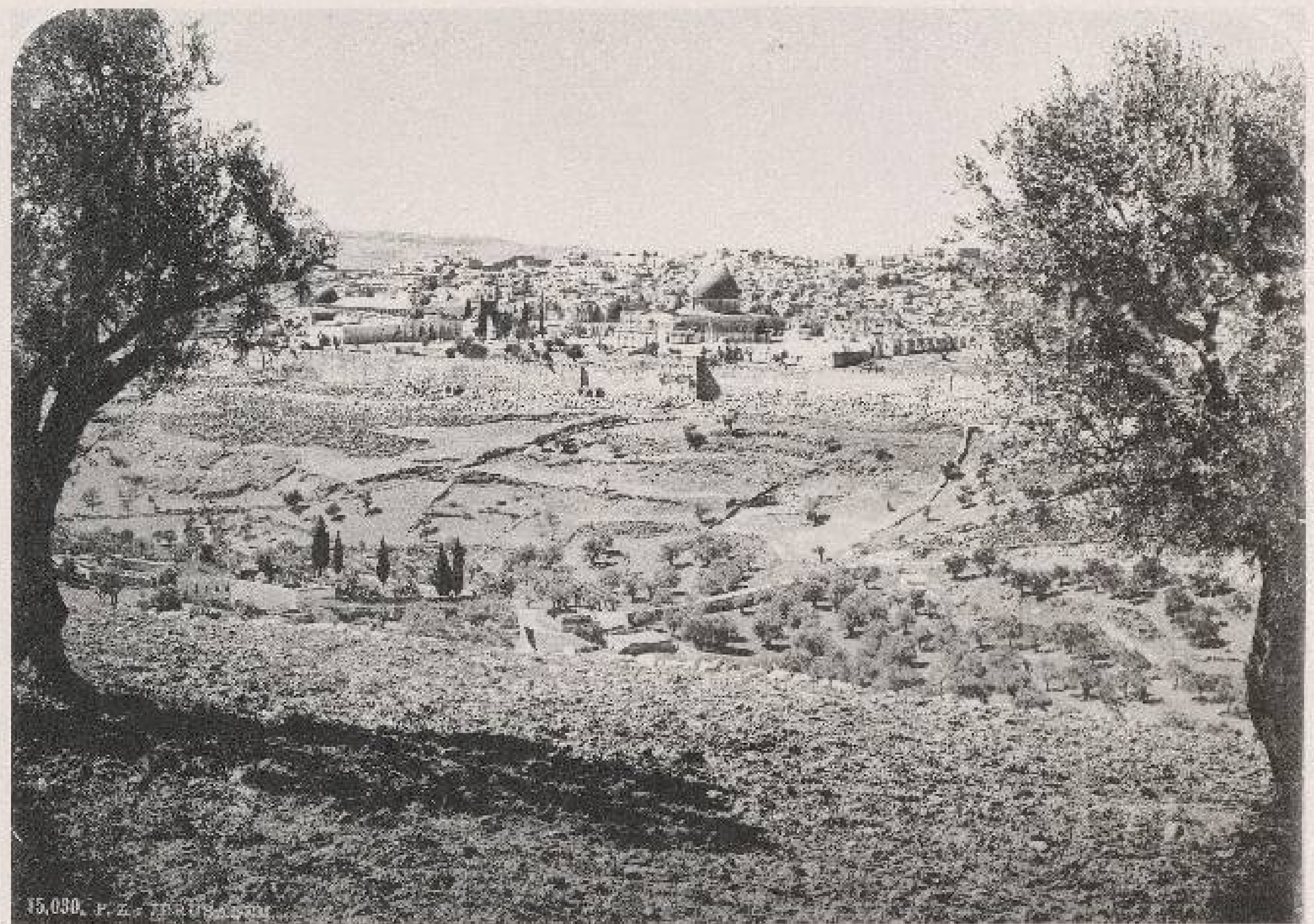
شكل هندسي في المدخل الرئيسي للقلعة القديمة

405 ^

طبعات الفوتوغرام الملونة | 406 »

إن الصور الموجودة في هذا القسم تمّ التقاطها بين سنتي 1890 - 1900م من قبل ستوديوهات الفوتوغرافية الأمريكيه وقد تمّ تلوينها ضمن مجموعة من الصور بطريقة الفوتوغرام. والفوتوغرام تقنية تمّ تطويرها في زوريخ، وكان يقوم على استخدام حجر (الليتوغراف) في تلوين صور الأبيض والأسود. وكان الفوتوغرام يولد الشعور باحتواء الصورة تفصيلات بالشكل الذي لا يمكن مشاهدته [بالأبيض والأسود] ويحقق نجاحاً في ألوان الباستيل ولهذا كان يتم تفضيله. والفوتوغرامات اللاحقة قد حطمت مشاعر كون صورة الأبيض والأسود تعود إلى عصر آخر وتقلت من يعيش فلسطين إلى عصر فلسطين. وصور الفوتوغرام الواردة في هذا الألبوم وردت في ألبومات مختلفة. ومع هذا تتم مقابلتها لأول مرة مع أصولها من صور الأبيض والأسود. وأصول صور الأبيض والأسود التي توافرت لدينا موجودة بكاملها ضمن أرشيف أرسيكا.


15,031. P. Z. - JÉRUSALEM. VUE PRISE DU MONT



407 ˄

‹‹ 408 | بانوراما (المشهد العام) القدس من جبل رأس المشارف

عن صور بانوراما القدس من جبل الزيتون و جبل رأس المشارف
انظر: ص ١٦ - ٢٦.

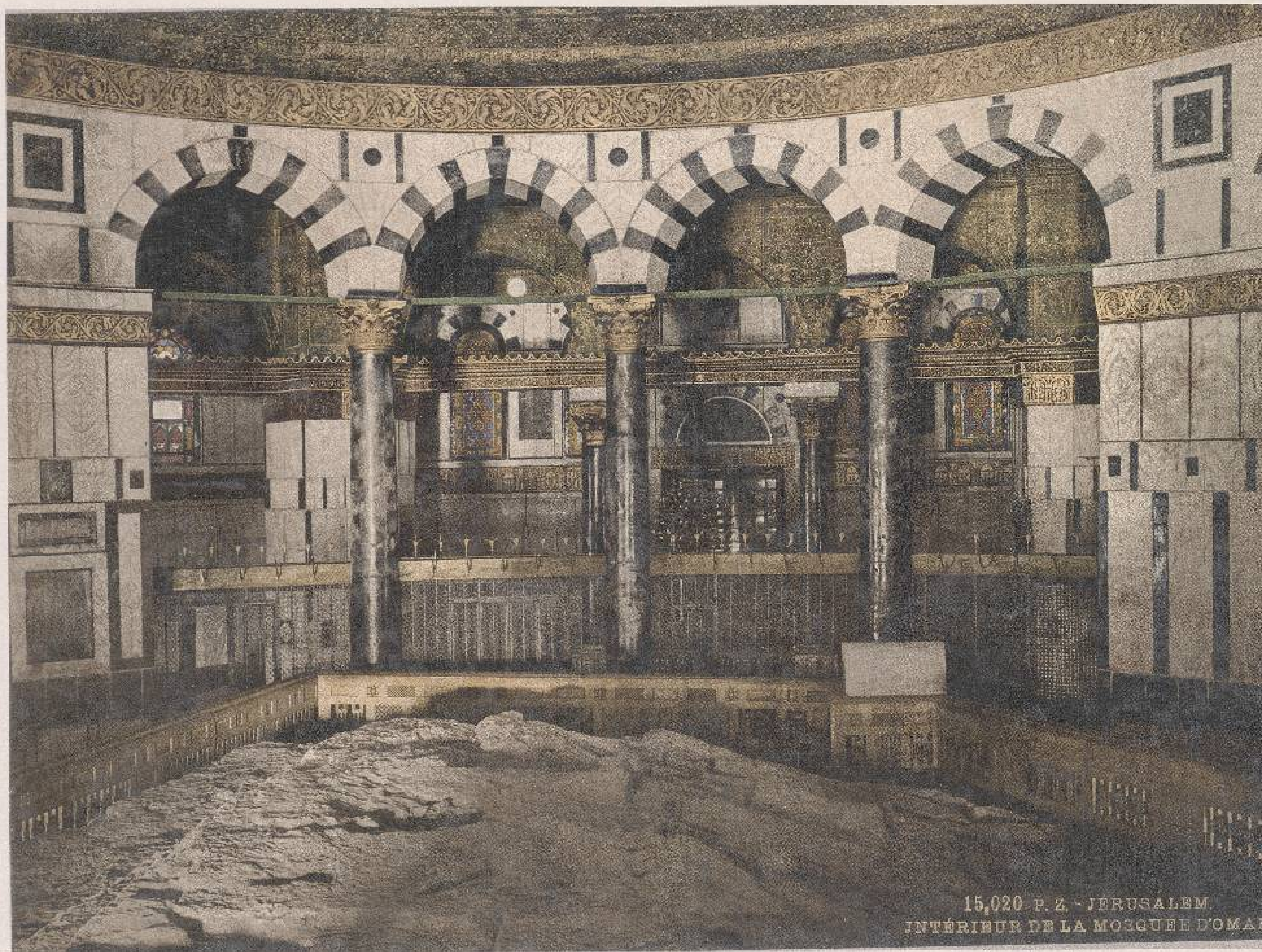

15.030. P. Z. - JERUSALEM



« 409 |

« 410 | **الصخرة المعلقة**

عن الصخرة المعلقة وصورها والمعلومات المتعلقة بها انظر:
ص 42 - 47.


15,020. P. Z. - JÉRUSALEM.
INTÉRIEUR DE LA MOSQUÉE D'OMA



411 | [illegible]

| 411 ⌃

412 | قبة الصخرة »

عن الصور والمعلومات المتعلقة بقبة الصخرة انظر: ص 34-
41، 32، 323 - 324.

412 | LC-PPMD LC-DIG-ppmsca-03032



413

413 »

414 » | الجامع الأقصى

عن الصور والمعلومات المتعلقة بالجامع الأقصى انظر: ص ٤٨ - ٥٣ و ٧٢ - ٧٣.

P. Z. - JÉRUSA
MOSQUÉE EL-A

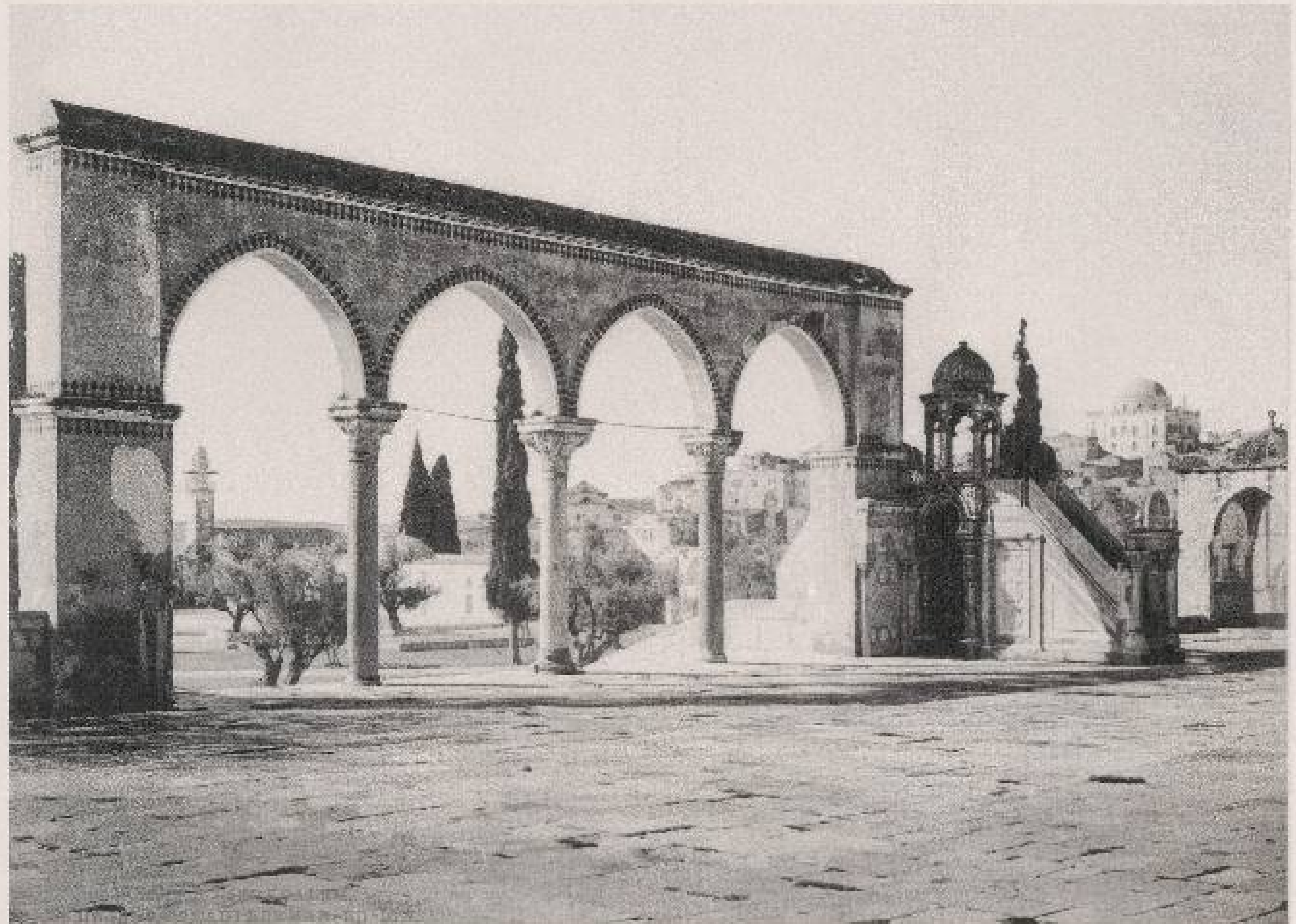


415 ◦

416 ◦ | المباني الشمالية للمسجد الأقصى ومئذنة الغوانمة

عن المباني في القسم الشمالي من المسجد الأقصى ومئذنة الغوانمة انظر: ص ٣٧ - ٤٠.

15,021 P. Z. JERUSALEM
ASSISES DE LA TOUR ANTONIA.



417 »

418 » | أعمدة البائكة الجنوبية ومنبر القاضي برهان الدين

عن الصور والمعلومات المتعلقة بأعمدة البائكة ومنبر القاضي برهان الدين انظر: ص 62 - 61.





» 419 |

» 420 | **باب التوبة والرحمة**

عن الصور والمعلومات المتعلقة بباب التوبة والرحمة (الباب الذهبي) انظر: ص ٢٩٠ - ٢٩٣.


P. Z. JERUSALEM. LA PORTE DORÉE.



421 »

422 » | العلم العثماني على قلعة المدينة

عن الصور والمعلومات المتعلقة بقلعة المدينة وجوارها انظر:
ص 155 - 171، 179 - 323، 336، 338.





« 423

« 424 | باب الخليل

عن الصور والمعلومات المتعلقة بباب الخليل وجوارها انظر: ص 134 - 138، 219.

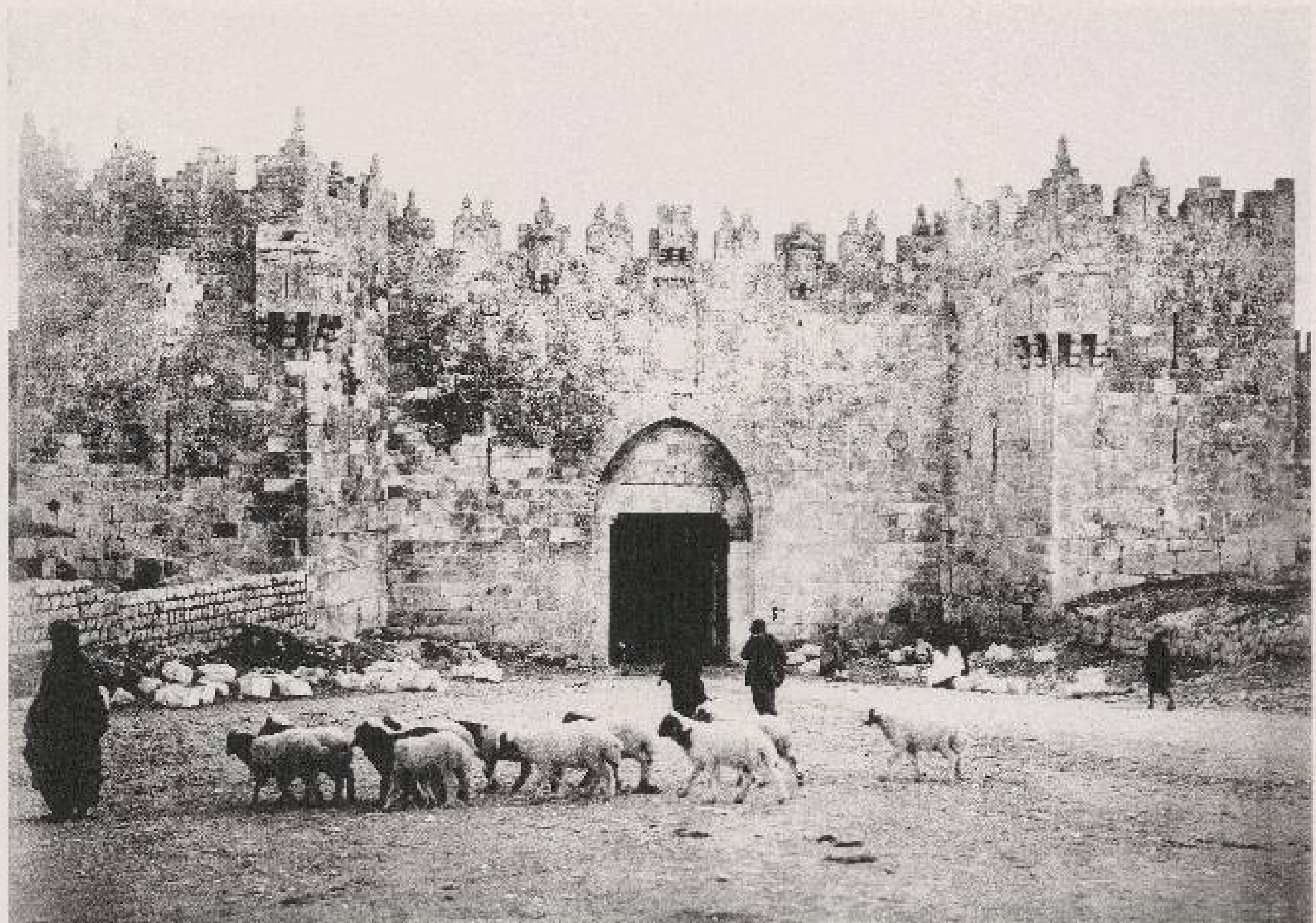

COOKS
TOURIST OFFICE
INSIDE JAFFA GATE
JERUSALEM.

» 425

» 426 | مدخل قلعة المدينة

انظر عن الصور والمعلومات المتعلقة بقلعة المدينة وجوارها
انظر: ص ١٦٩ - ١٧٢، ٣١٥ - ٣٢٢، ٣٤٥، ٣٤٨.

15,010. P. Z. - JÉRUS[illegible]EM. LE BAZAR.



427 |

427 «

428 « | باب العامود

عن الصور والمعلومات المتعلقة بباب العامود وجواره انظر:
ص 281-272، 215، 325.

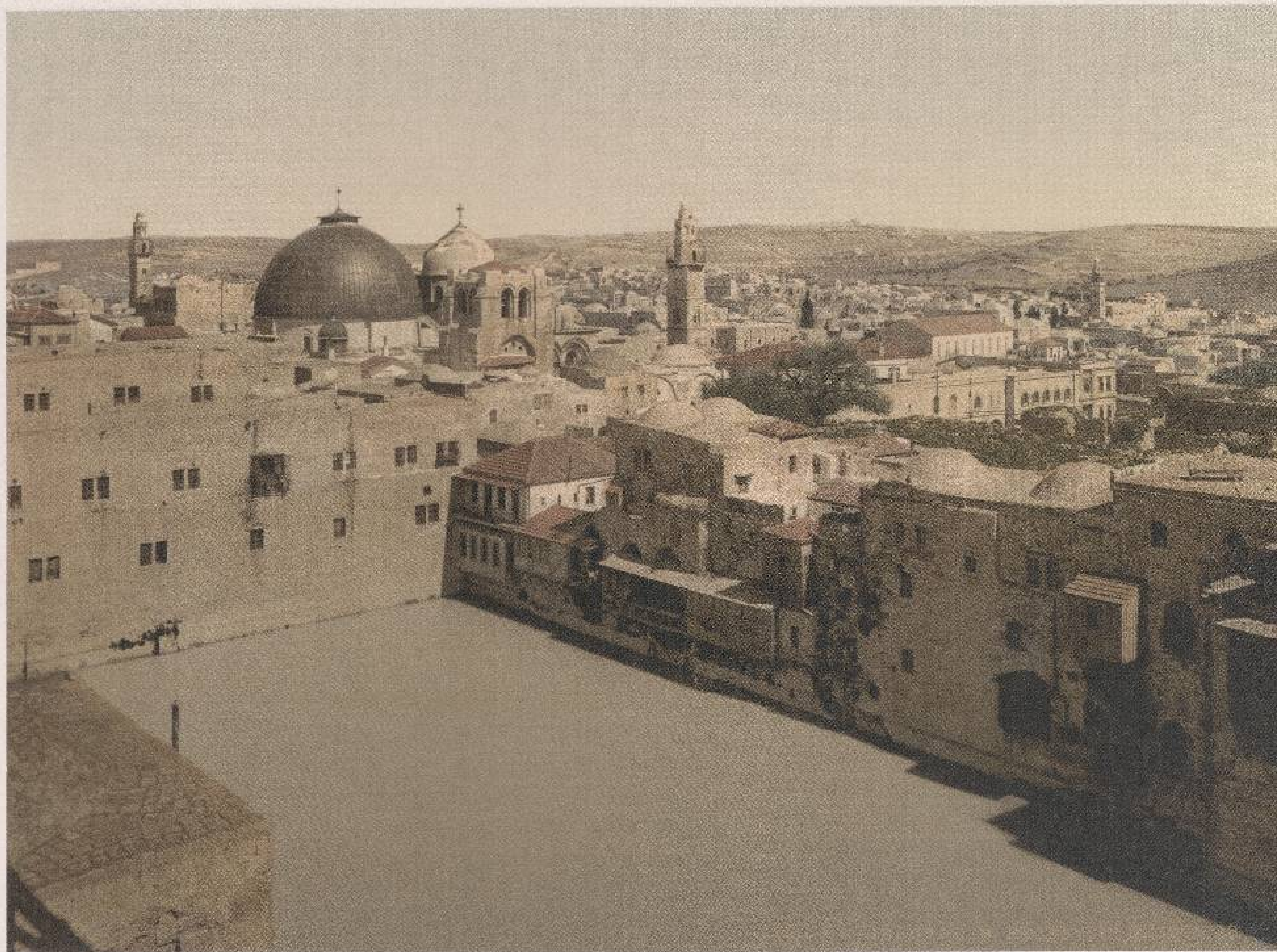


429

429 »

430 » | بركة حزقيال وأسطح المدينة

عن الصور البانوراماوية التي تظهر بركة حزقيال وأسطح المدينة والمعلومات المتعلقة بها انظر: ص ١٤-٢٤.





431 ≈

432 ≈ | جبل الزيتون ووادي الجوز

عن الصور والمعلومات المتعلقة بجبل الزيتون ووادي الجوز
انظر: ص 225 - 235، 326 - 328.





433 »

434 » | **وادي الجوز وقبر النبي زكريا**

عن القبور الموجودة في وادي الجوز انظر: ص 29.

15,835 P.Z. - JÉRUSALEM.
VALLÉE DES TOMBEAUX DE JOSAPHAT.



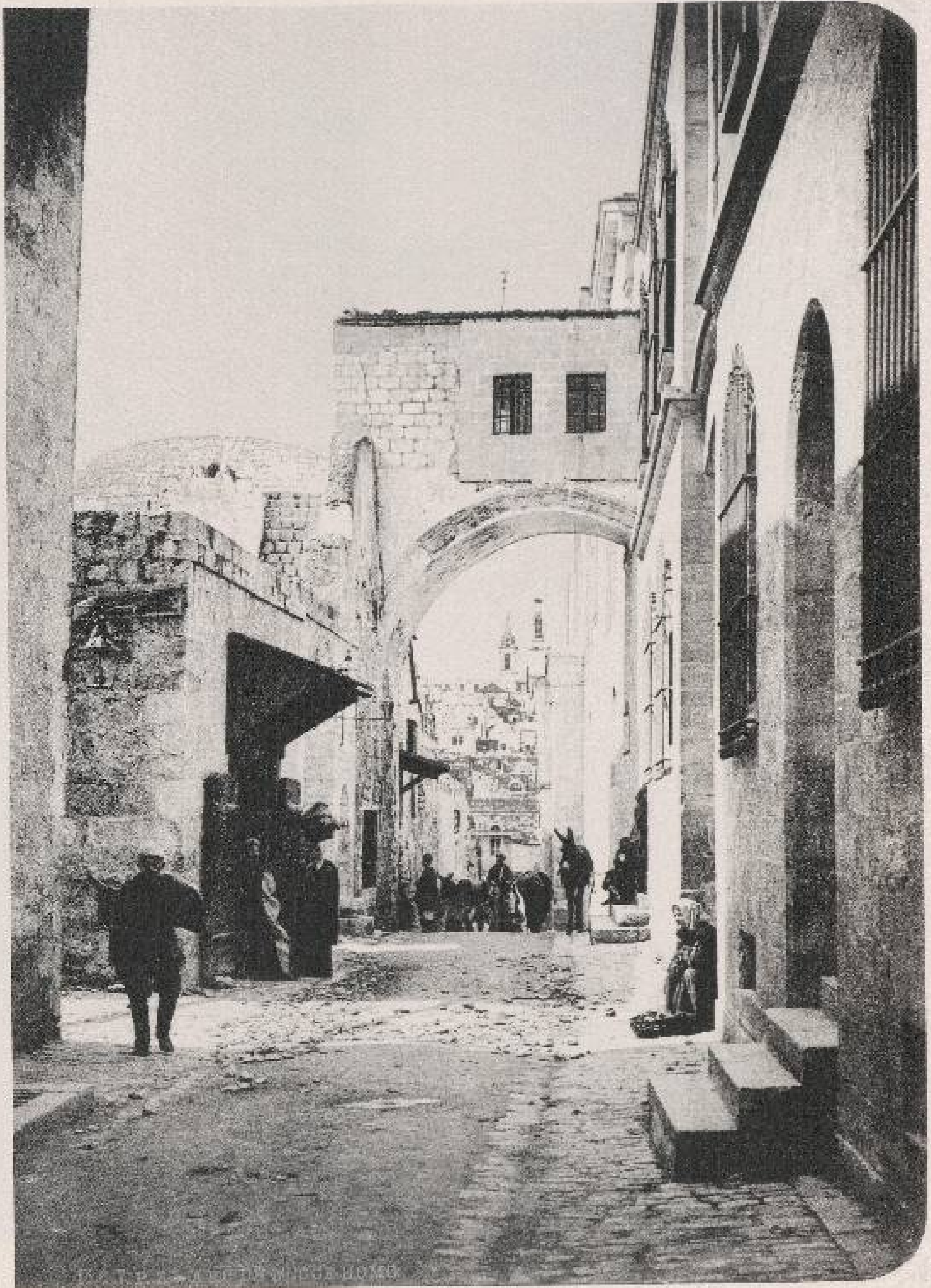
435 »

436 » | قبر السيدة مريم

عن الصور والمعلومات المتعلقة بقبر السيدة مريم انظر: ص 134.

433 | [illegible]

« 437 |

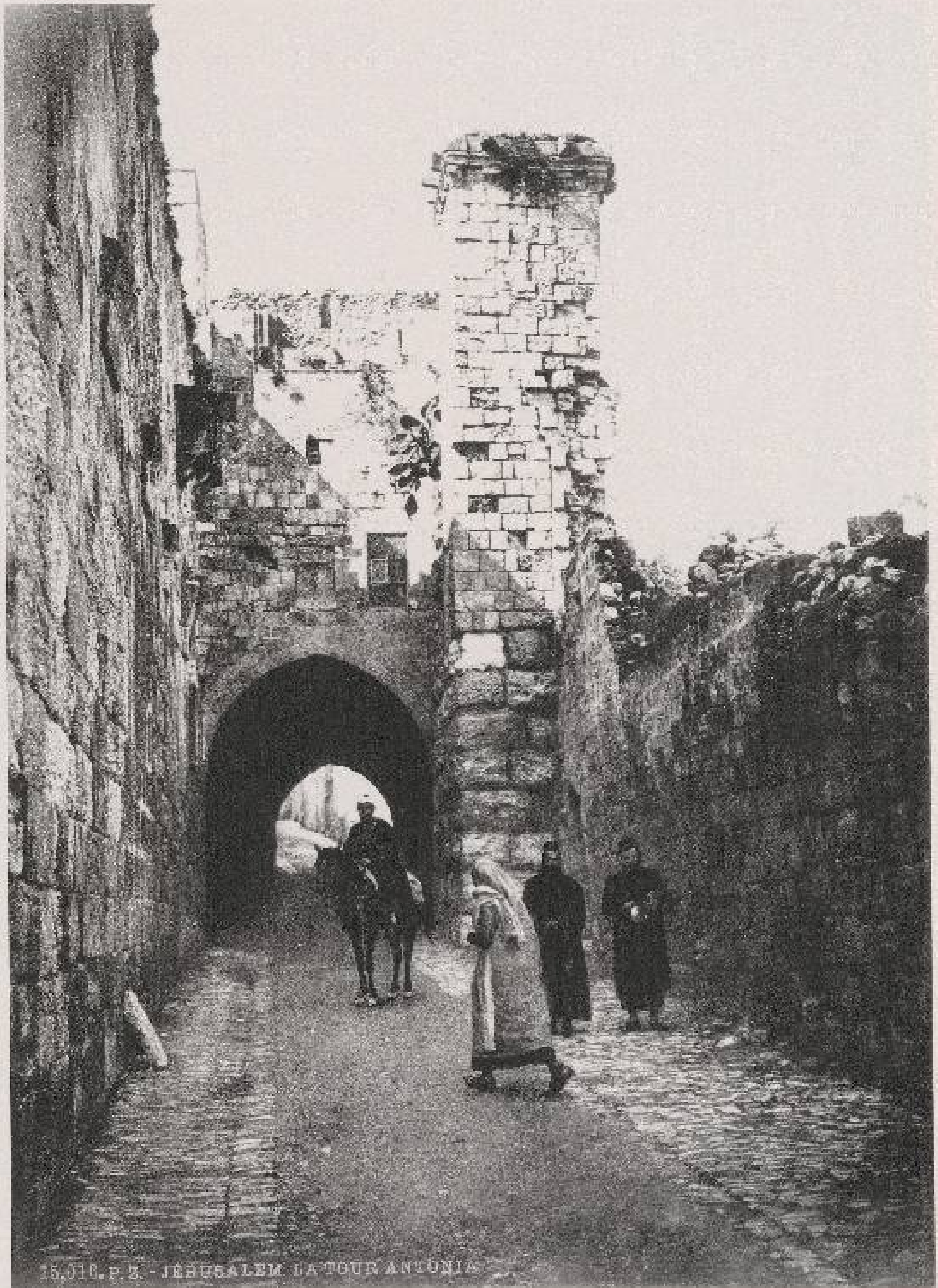


« 438 | **قوس الأكو هومو على طريق الآلام**

عن الصور والمعلومات المتعلقة بطريق الآلام وقوس الأكو هومو انظر: ص 96-١٤٠.


ARC DE L'ECCE HOMO

« 439



« 440 | **برج انطونيا**

عن الصور والمعلومات المتعلقة ببرج انطونيا انظر: ص ٩١-
٩٢.


15,816. P. Z. JÉRUSALEM. LA TOUR ANTONIA.



» 441 |

» 442 | عمال حجر في القدس

عن الصور المتعلقة بأصحاب المهن المختلفة في القدس انظر:
ص ٢٤٣ - ٢٥٧.

15.116. P.Z. TAILLEURS DE PIERRES A JERUSALEM





443 ‎|

444 ‎| **قروي بجوار القدس**

عن الصور المتعلقة بعلماء الدين المسلمين في القدس انظر: ص 262.



« 445 |

» 446 | **أطفال قرويون من أرجاء القدس**

عن وجوه الأطفال من القدس انظر: ص ١٨٥.



447

448 | **نساء مقدسيات في طريقهن إلى السوق**

عن وجوه النساء في أسواق القدس انظر: ص 246، 276.

15,117. P.Z. - PORTEUR D'EAU DE JERUSALEM

15,117. P.Z. - PORTEUR D'EAU DE JERUSALEM

» 449

» 450 | **ناقلو المياه المقدسيون**

عن الصور والمعلومات المتعلقة بناقلي المياه في القدس والأسبلة وقنوات المياه انظر ص: ٧٤، ٥٩ و٤١٧.



» 451 |

» 452 | **باعة خبز مقدسيون**

عن صور الباعة المتجولين المقدسيين وأماكن التسوق انظر: ص ٢٤٧، ٢٧٣، ٢٧٦.



« 453 |

« 454 | امرأتان قدمتا من قرية سلوان إلى القدس لبيع اللبن

عن وجود النساء التي يمكن مشاهدتها في أسواق القدس انظر ص: 246، 375.



455

456 | نساء عربيات يطحن الذرة في القدس

عن الصور المتعلقة بالنساء المقدسيات المساهمات في الإنتاج
انظر: ص ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٧١.


15 135. P. Z. PAYSANNES MOULANT DU BLE A JERUSALEM



457 ٪

458 ٪ | **اسكافي مقدسي**

عن صور أصحاب المهن المختلفة في القدس انظر: ص 343-350.





⁄ 459 |

» 460 | **شبان بدو على مقربة من القدس**

عن الصور والمعلومات المتعلقة بالبدويين في القدس وجوارها
انظر: ص ٢٥٧.



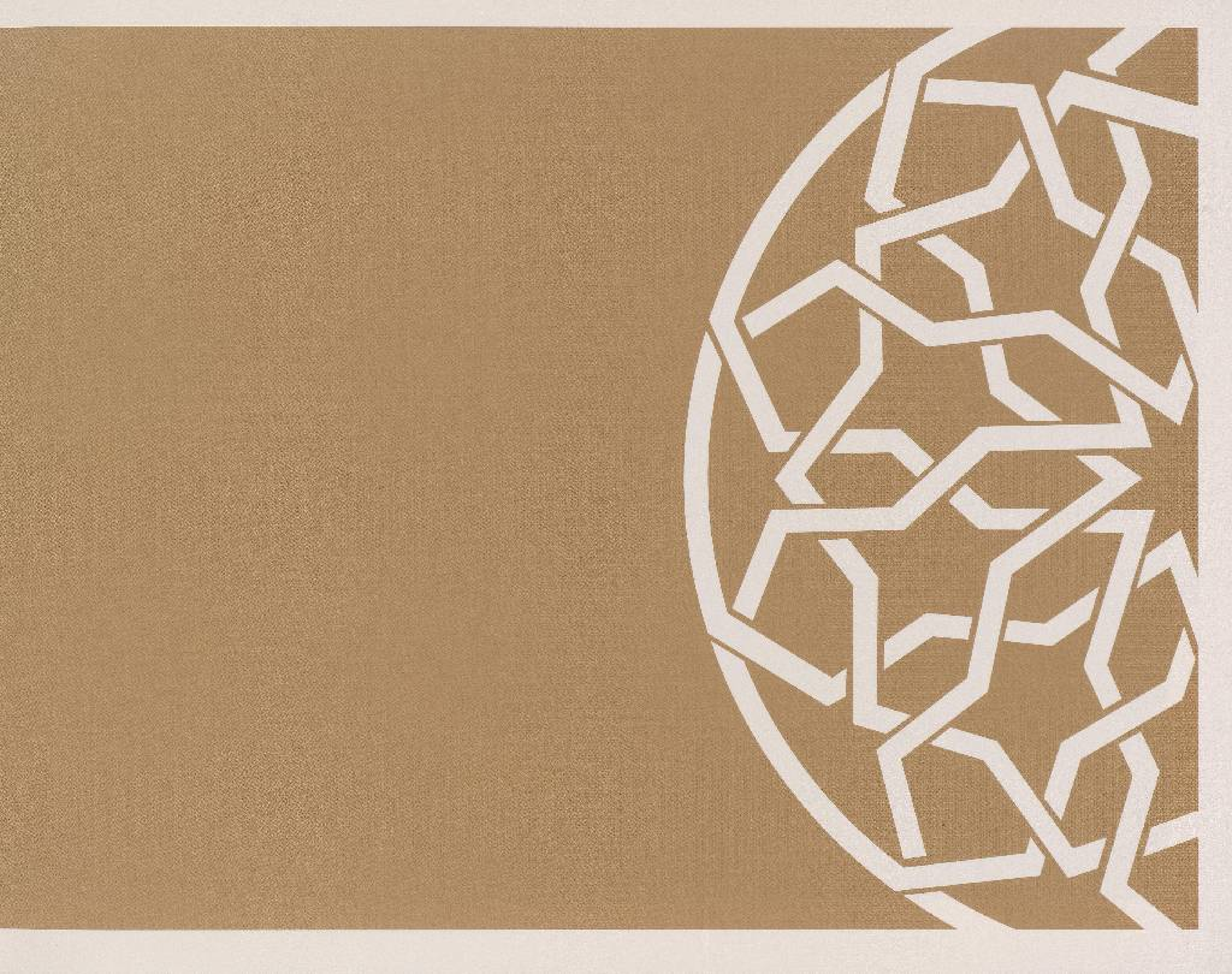


461 «

462 « | مغارة النبي عزير وقبره

عن المعلومات المتعلقة بمغارة النبي عزير بجوار القدس والمكان الذي يوجد فيه قبره وقرية العزيرية التي اخذت اسمها من هذا المكان انظر: ص ٤٤٠، ٤٤٦.

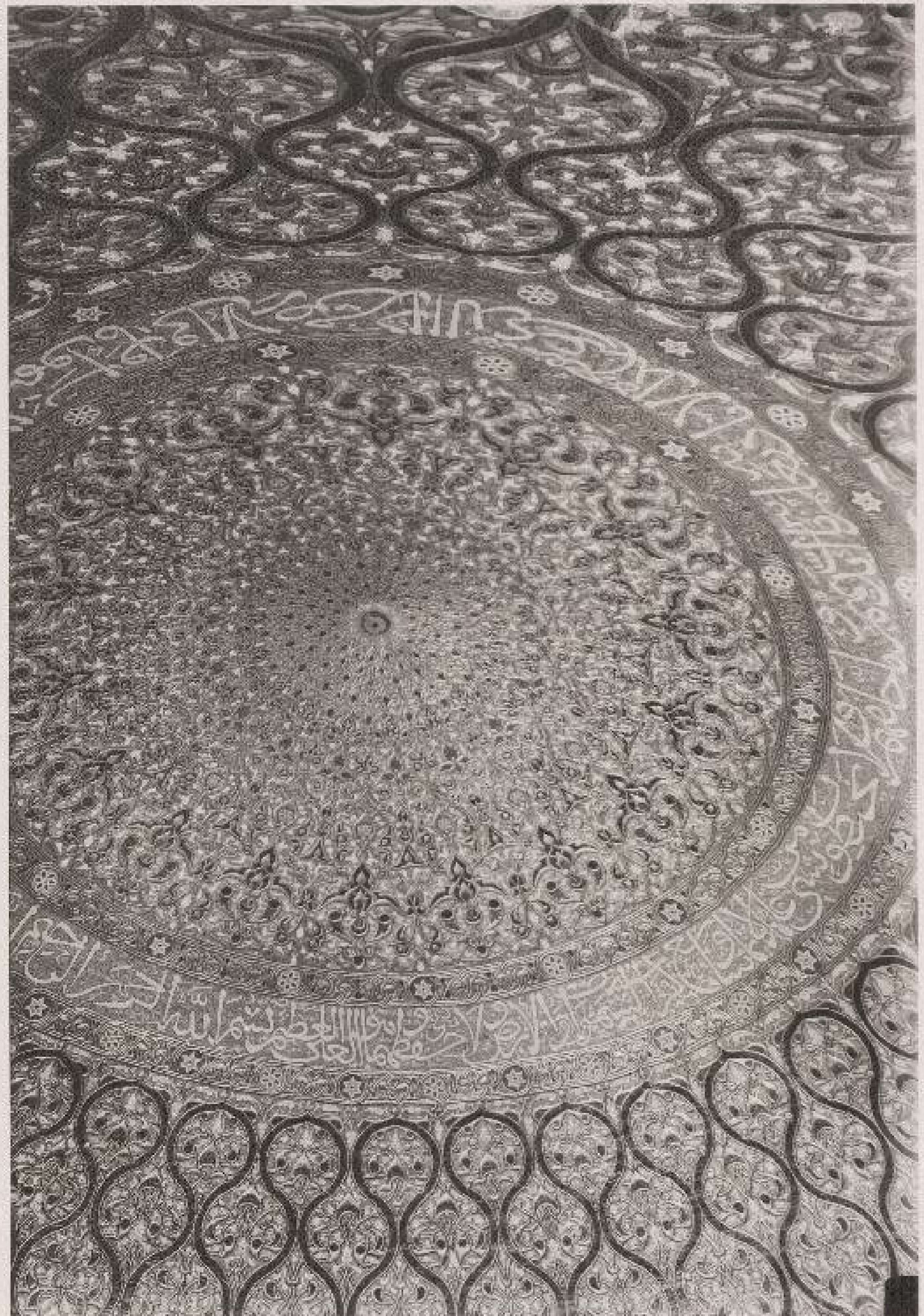
15,046. P.Z. - BETHANI





القسم الحادي عشر

صور خاصة

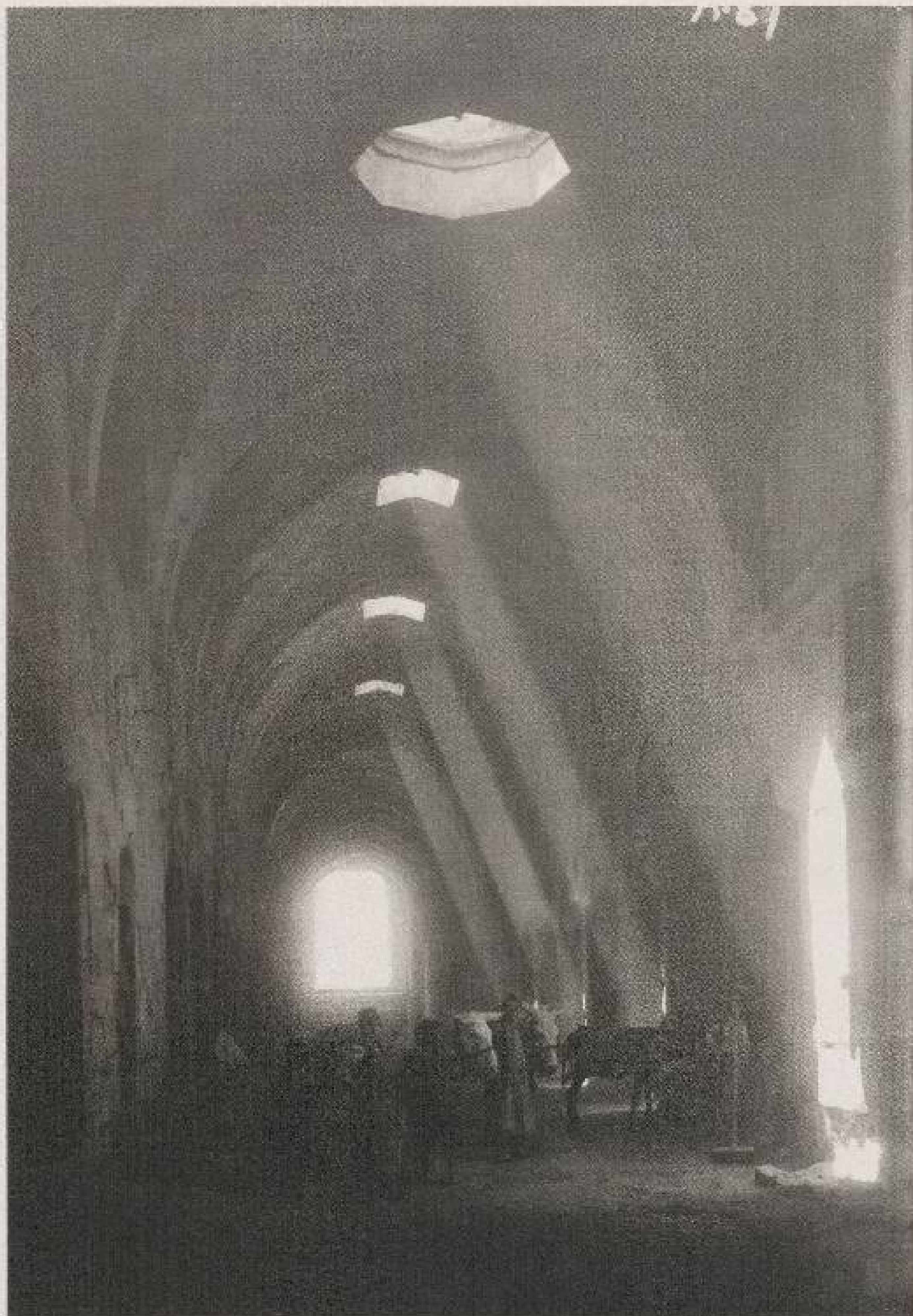


» 463 | الأعمال الذهبية لقبة الصخرة

» 464 | قبة الصخرة تحت الثلوج





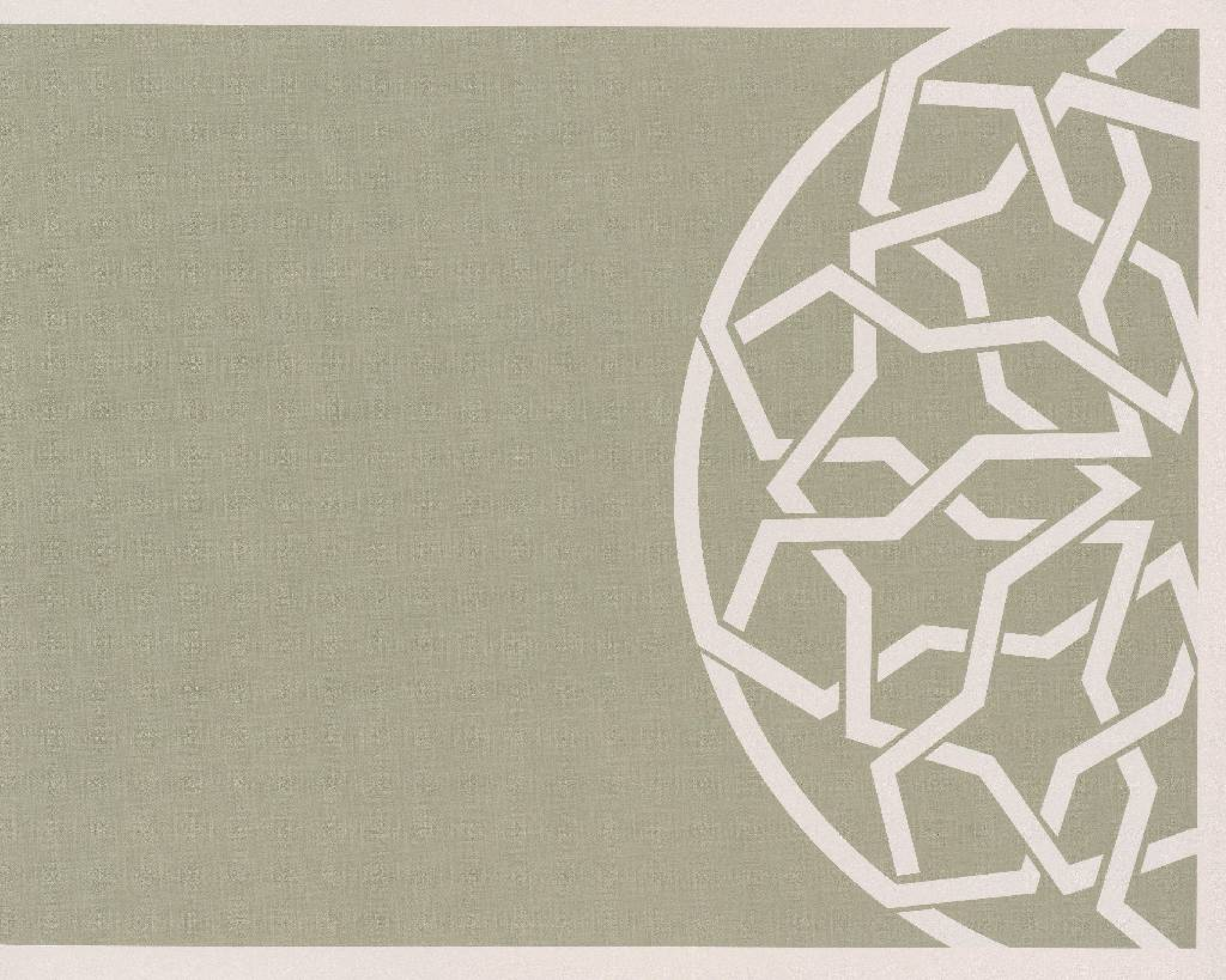






« 467 | المغارة التي كشف عنها منجم الحجر الروماني تحت مدينة القدس

˅ 468 | قافلة جمال في القدس



من الأخطاء والهفوات لأن ذلك يعتمد على الثقة المفرطة للإنسان بقدرته. وعند انجاز هذا الكتاب استعنا بطبيعة الحال بالألبومات المتوافرة والمؤلفات التاريخية وتحاليل الصور. والحقيقة أن ما يلفت النظر في الكتاب من جمال يعود معظمه إلى الآخرين وبضمنهم معماريو القدس. أما الأخطاء الواردة فيه فمنشؤها نحن.

إن عمل الخطأ هو دليل على القيام بعمل ما. وفي هذا العمل سعينا إلى انجاز عمل للقدس ولعشاقها، وسنكون سعداء لو تمكنا من نقل قرائنا إلى خارج نطاق المشاهد الواردة في الصور واشراكه في الجولة التي قمنا بها في أزقة القدس قبل قرن من الزمن.

كريم بالجي
أنقرة ٢٠٠٨